مجلة مجمع اللغة العربية



اهداءات ٢٠٠٣

أ.د / شوقى ضيف
رئيس مجمع اللغة العربية



مجلة مجمع اللغة العربية

(تصدر مرتين في السنة)

العدد السابع والثمانون

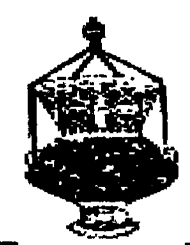
المحرم ١٤٢١ هـ / مايو ٢٠٠٠م

" القسم الأول "

محررا المجلة :

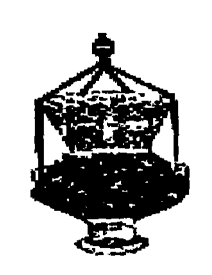
جمال عبد الحى أحمد

خالد محمد مصطفى



الفهرس

الموضوع	الصفحة
• كلمة افتتاح المؤتمر . للأستاذ الدكتور شوقي ضيف رئيس المجمع.	١
• كلمة في افتتاح المؤتمر . للأستاذ الدكتور مفيد شهاب. وزير التعليم العالي والدولة للبحث العلمي	٤
• بين مؤتمرين . للأستاذ إبراهيم الترزي الأمين العام للمجمع.	٩
• في ظلال المجد . قصيدة للأستاذ حسن عبد الله القرشي.	٢٠
• ازدهار الفصحى في القرن العشرين . للأستاذ الدكتور شوقي ضيف	٢٣
• المعجم العربي الموحد لألفاظ الحياة العامة في العصر الحديث . للأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة .	٣٧
• القاموس المغربي في رحلة ابن بطوطة للأستاذ الدكتور عبد الهادي التازي.	٧٣
• مجمع اللغة العربية وعصر الحاسبات. للأستاذ الدكتور محمود مختار .	٩٥
• حوسبة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع في ثلاثة وستين عامًا. ١٩٣٤-١٩٩٧ للأستاذ الدكتور محمد هيثم الخياط.	١٠١
• اللغة العربية ووسائل النهوض بها في مصر . للأستاذ الدكتور محمود حافظ.	١١٣
• بين الفصيحة والدارجة . للأستاذ الدكتور عبد الله الطيب .	١٢٧



الفهرس

الموضوع	الصفحة
• تصحيح " التصحيح " . للأستاذ الدكتور إبراهيم السامرائي .	١٣٣
• العربية لسان الله تعالى نزل بها آدم عليه السلام ثم تراوحت بين التفرد والتشتيت والكيد لها . للأستاذ الدكتور علي رجب .	١٤٥
• اللغة العربية في عصر تقنيات المعلومات. للأستاذ الدكتور محمود فهمي حجازي.	١٥٧
• اللغة العربية وتنازع الاختصاص بين أهل العلم والتعليم والإعلام . للأستاذ الدكتور كمال دسوقي	١٦٣
• قصيدة في رثاء الفقيد العلامة الأستاذ محمود محمد شاكر . للأستاذ الدكتور عبد الله الطيب.	١٩٩
• من قضايا اللغة العربية " العربية ومشاكلها في مجال المصطلحات العلمية ومناقشة حال هذه المصطلحات بين التعريب والوضع " للأستاذ الدكتور أحمد شفيق الخطيب .	٢٠٣
• أدلة جديدة على الأصول العربية لبنية التوشيح والزجل الدورية . للأستاذ الدكتور فيدريكو كورينتي	٢٢٧


بحوث ومحاضرات



كلمة الأستاذ الدكتور شوقي ضيف رئيس المجمع في افتتاح المؤتمر *

معالي الأستاذ الدكتور مفيد شهاب وزير التعليم العالي ووزير الدولة للبحث العلمي: الزملاء المجمعيون :

السيدات والسادة :

نجتمع اليوم لافتتاح مؤتمر المجمع السنوي للنهوض باللغة العربية لغة القرآن الكريم الخالدة بخلوده ، وأقدم باسم المجمع واسمي الشكر الصادق لمعالي الأستاذ الدكتور مفيد شهاب وزير التعليم العالي ووزير الدولة للبحث العلمي لمشاركته لنا في هذا المؤتمر والتنويه بأعماله اللغوية العلمية والترحيب بأعضائه الوافدين من البلدان العربية والإسلامية والغربية ، وأحييهم باسم المجمع واسمي تحية مقرونة بعواطف الحفاوة بهم جميعًا من عاملين ومراسلين ، وإني أشكر لحضراتهم جميعًا تلبيتهم الكريمة لدعوة المؤتمر وإثرائه ببحوثهم وأفكارهم العلمية القيمة ، وأتمنى لجميع الزملاء الوافدين طيب الإقامة بيننا في بلدهم الثاني مصر .

وعقب المؤتمر مباشرة ستنعقد ندوة لاتحاد مجامع اللغة العربية في الوطن العربي لمدة ثلاثة أيام ، وفتحت أبوابه- منذ العام الماضي - لانضمام الهيئات العلمية في بلداننا العربية التي ليس بها مجامع لغوية إليه، حتى لا تكون قراراته في توجيد المصطلحات العلمية ومعاجمها قاصرة عليه، بل تشاركه فيها الهيئات العلمية في البلاد العربية ، وانضمت إليه أكاديمية المملكة المغربية والمجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون ، وطلب الانضمام إليه هذا العام مكتب تنسيق التعريب بالرباط التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بجامعة الدول العربية وله نشاط كبير في نشر معاجم علمية .

وموضوع مؤتمر المجمع هذا العام قضايا اللغة العربية ، ومنها قضية تعلم الناشئة لها وتذليلها بحيث يتمثلون قواعدها تمثلا قويمًا، ومنذ الثلاثينيات في القرن الحاضر توضع محاولات في هذا

* ألقيت هذه الكلمة في الجلسة الافتتاحية لمؤتمر الدورة الرابعة والستين يوم الاثنين ١٠ من ذي القعدة سنة ١٤١٨هـ الموافق ٩ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٨م.

التذليل وتؤلف كتب ولا تزال مشكلة صعوباتها على الناشئة قائمة ووراء هذه القضية قضية العامية التي تزاحم الفصحى في ألسنة الناشئة لاستخدامهم لها في حياتهم اليومية في التخاطب بالمنزل والشارع ، وتنبغي مقاومتها بتحفيظ الناشئة جزءا من القرآن الكريم وعنايتهم فيه بالنطق السليم مع عرض نماذج أدبية من الشعر والنثر تحببهم في الفصحى . وفي رأيي أنه تنبغي في كل بلد عربي مواجهة العامية بحركة تصحيحية ، لأن كلمات العامية في جملتها تحريف لكلمات الفصحى.

ولا يختلف اثنان في أن تعلم الناشئة المصرية للغة أجنبية ضروري لهم ،وكثرت في هذه الأيام مدارس اللغات الأجنبية ، وقلما تعنى بتعليم العربية لغة الناشئة الأم ، وقد تهملها، مما يعود على الناشئة بأضرار جسيمة ، وينبغي أن لا تصرفنا فوائد تعلم الناشئة للغة الأجنبية عما تتضمن من أضرار وهي قضية جديرة بالمناقشة .

ومما هو حريٌّ بالمناقشة قضية الإعلام بالإذاعة والتلفزة أو بالإذاعتين المسموعة والمرئية ، وهما تستعملان العامية غالبًا ، وكلنا نعرف أن لهما تأثيرًا متواصلا في الجماهير الشعبية ، فكان ينبغي أن تستعملا الفصحى المبسطة التي تكتب بها الصحف وتقرؤها الملايين من الشعوب العربية صباح مساء . ويذيع التليفزيون السلاسل القصصية بالعامية ، وتقبل عليها الناشئة مساء . وينبغي أن تكون هذه السلاسل القصصية بالفصحى كما ينبغي أن يعمل الإعلام على حماية العربية لغة الثقافة والفكر والأدب والعلم والدين من كل ما يعوق تعلمها ونشرها في الأمة . وواجب أن يصبح التليفزيون أداة تثقيف وتربية بجانب أنه أداة تسلية وترفيه .

ومن قضايا اللغة العربية قضية تعريب التعليم الجامعي ، وعقد لها مجمعنا مؤتمرات عدة ، ولا توجد - في عصرنا الحاضر - أمة تنازلت عن لغتها وعلمت العلوم في جامعاتها بلغة أجنبية سوى الأمة العربية إلا ما كان من سوريا الشقيقة ، فإنها علمتها بالعربية منذ نحو ثمانين عامًا . ولا يستطيع أحد أن يزعم أن لغات العالم جميعًا أكثر طواعية ومرونة لتعليم العلوم

الحديــثة من اللغة العربية . ونصَّ قانون تنظــيم الجامعات المصرية في العشرينيات من القرن الحاضر على أن :" اللغة العربية لغة التعليم في الجامعات المصرية ما لم يقرر مجلس الجامعة في أحوال خاصة استعمال لغـــة أخرى . وكأن هذا الاستثناء أصبح في الكليات العلمية الجامعية القاعدة طوال ســبعين عامًا بل تزيد . وإن الأمة لتنتظر أن يبادر المجلس الأعلى للجامعات - في عهـــد سيادتكم - إلى البدء في الخطوات الكفيلة بتعريب التعليم الجامعي بحيث لا نكاد نمضي في القرن الحادي والعشرين إلا وقد تمَّ لمصر تعريب هذا التعليم . والقضية قضـــية بـــناء الصرح الحضاري للأمة في العصـــر الحاضـــر وما ينبغي أن يبذل له أساتذة الجامعات المصرية من جهود علمية خصبة مثمرة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

شوقي ضيف

رئيس المجمع

كلمة السيد الأستاذ الدكتور

مفيد شهاب

وزير التعليم العالي والدولة للبحث العلمي

الأستاذ الدكتور شوقي ضيف ، رئيس مجمع اللغة ورئيس اتحاد المجامع العربية:

الأعضاء الموقرون ، من المصريين والعرب والمستعربين .

الضيوف الكرام :

السيدات والسادة :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

في هذا المكان المهيب ، الذي يحرس العربية ، ويصون الفصحى ، لا يملك الإنسان إلا أن يشعر بالكثير من المهابة والإجلال ، ويُحسّ بالكثير من الفخر والاعتزاز ، وخاصة عندما يتحدث إلى أعلام الفكر ، وفقهاء اللغة ، وأساطين البيان .. أولئك العلماء الكبار ، الذين يجاهدون بكل ما في طاقتهم ، من أجل ازدهار اللغة العربية ، التي كرّمها الله تعالى بنزول القرآن الكريم ، وحمْل السنة النبوية الشريفة ، وأصبحت مستودعًا أمينًا للتراث العربي والإسلامي في مختلف مجالاته: الأدبية ، والفكرية ، والعلمية .

أجل ، في هذا المكان المهيب ، مجمع الخالدين ، يجري البحث العلمي بكل دأب وإخلاص ، وبكل صدق وتجّرد ، في سبيل تحقيق الأهداف الكبرى التي حدّدها المجمع لنفسه منذ إنشائه ، والتي تتمثل في الحرص على سلامة اللغة وتيسيرها ، ثم تنميتها وتزويدها بما تحتاجه من الألفاظ والمصطلحات ، وأخيرًا النهوض بالمعجم العربي وجعْله ملائماً لفن المعجمات الحديث.

وهنا ينبغي أن نذكر بالتقدير والعرفان أولئك الرواد العظام، الذين كان لهم دور هام في إنشاء مجمعكم الموقر. ويأتي في مقدمتهم الإمام محمد عبده ، الذي لاحظ أننا بحاجة إلى مجمع شبيه بالأكاديمية الفرنسية ، يُعنى بتاريخ اللغة ، ويزودها بالمصطلحات العلمية والحضارية الجديدة ، ويضع فيها معجمات لغوية

(*) ألقيت هذه الكلمة في الجلسة الافتتاحية لمؤتمر الدورة الرابعة والستين يوم الاثنين ١٠ من ذي القعدة سنة ١٤١٨هـ الموافق ٩ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٨م.

حديـــثة . ثم جاء من بعده ، أستاذ الجيل أحمـــد لطفـــي السيد ، الذي يعتبر الأب الحقيقي لهذا المجمع ، فلم يكتفِ بالدعوة إلى إنشـــائه ، وإنما أنشأ بالفعل ما يُسمّى بمجمـــع دار الكتـــب ســـنة ١٩١٦م ، وكانـــت محاولة فردية قامت على الجهود الذاتية ، أعقبها تدخل الدولة رسميًا بإنشاء هذا المجمع الجليل سنة ١٩٣٢م.

وهنا ملاحظتان بالتأمل . الأولى أن قيام مجمع اللغة العربية إنما جاء في البداية نتـيجة جهـــود أهلية ، تمامًا كما حدث بالنســـبة إلى إنشاء أول جامعة حديثة في مصـــر ، ثم مـــا لبثـــت الدولة أن تبنّته ودعمـــت أركانـــه ، حـــتى أصبح بحق مؤسســـة علمية رفيعة المستوى ، وحقق من النتائج أكثر مما كان متوقعًا (كمَثَل حـــبّة أنبتتْ سبعَ سنابل ، في كل سنبلة مائـــةُ حبَّة ، واللهُ يُضاعف لِمَنْ يشاء) . والملاحظـــة الثانية ، أن هذا المجمع الخالد قـــد أقام بنيانه ، منذ البداية ، على نظرة عالمية ، صدر فيها عن تقدير كامل للعلم في حد ذاته ، بصرف النظر عن جنسيات أصـــحابه ومعـــتقداتهم . فقد ضم — إلى جانـــب أعضـــائه المصريين — إخوةً من العلماء العرب والمستعربين ، وظل محافظًا على هذا التقليد الرائع بعد أن توسع فيه - حتى اليوم .

السيدات والسادة :

إن مجمـــع اللغـــة العربية بالقاهرة قد أصبح له تاريخه الحافل بجلائل الأعمال . وهـــو يُعدّ بكل المقاييس إحدى مفاخرنا الوطنـــية والقومية ، ليس فقط بسبب ما يضمه من صفوة العلماء والباحثين ، وإنما أيضًا بما حققه من إنجازات .. فهو يتابع بكل حرص ما يُهدّد لغتنا القومية ، ويقوم على الفور بمناهضته ، ويرصد بكل وعي تطـــور اللغة ، باعتبارها كائنًا اجتماعيًا ، ويرشـــد مسيرتها ، حتى تظل محافظة على أصـــالتها من ناحية ، غير منغلقة في وجه المستحدثات الحضارية من ناحية أخرى . وإلى جانب هذا وذاك ، فإنه يعمل بكل جد واجتهاد لتمهيد السبيل أمام متعلمي العربـــية ، ويـــبذل أقصى جهده لاختيار أدق الألفاظ ، وتحديد أنسب الأساليب ، لكـــي تعـــبر عـــن الفكـــر تعبيرًا دقيقًا وواضحًا .

وإن نظرة إلى مجموعة القرارات العلمية ، التي أصدرها المجمع من خلال مؤتمراته السابقة ، تؤكد ، بكل وضوح ، مدى الثراء الذي أصبحت تتميز به اللغة العربية المعاصرة ، في مصطلحات الطب والصيدلة، والرياضيات والهندسة ، والزراعة وعلم الأحياء ، والنفط والجيولوجيا ، والحاسب الآلي – إلى جانب مصطلحات الأدب والشريعة والفلسفة ، والحضارة .

ومما لاشك فيه أن وراء كل مصطلح أقره مجمعكم الموقر يقف جهد كبير ، وبحث دائب ، وتقدير وقياس واجتهاد ، صدرتْ من علماء ومتخصصين ، لاهم لهم إلا النهوض بلغتنا العربية ، ولا يشغلهم سوى الحفاظ على مكانتها متقدمة بين سائر لغات العالم .

السادة الأعلام :

رئيس وأعضاء المجمع الموقر :

إن اللغة وسيلة التفاهم الأولى ، كما أنها حاملة الفكر ومرآته . وإذا كنتم تعكفون على درس اللغة والبحث في أعماقها ، فإنكم تمهدون – في نفس الوقت – طرق الاتصال بين الأفراد والمجتمعات ، وتدعمون أواصر التقارب بين الأمم والشعوب ، كما أنكم تساعدون الفكر العربي لكي ينهض من جديد ، مشاركًا بفعالية أكثر في الحضارة الإنسانية المعاصرة، ومسهما فيها بإبداعاته التي أضاءت أمام الإنسانية طريق التقدم والنهضة .

من هنا ، فإننا ننظر إلى عملكم بكل التقدير والامتنان ، ونتوقع للغة العربية على أيديكم ، وبفضل جهودكم ، المزيد من الرفعة والازدهار .

وإذا سمحتم لي بكلمة شخصية في هذا المقام ، فإنني أود أن أصارحكم بأنني نشأت في أسرة تقدر اللغة العربية وتحترمها، وتحرص في نفس الوقت على أن تزود أبناءها باللغات الأجنبية ، لذلك فقد كبر معي إحساسي الشديد باللغة ، وتقديري العميق للكلمة الصائبة ، والأسلوب الدقيق الذي يعد انعكاسًا للفكر المنهجي الصحيح .

وما أحوجنا اليوم أن نربّي أبناءنا على هذا النحو ، وأن نغرس فيهم حب

العربية، وصحة التعبير بها عما يريدون ، من غير أن يقف التمسك باللغة القومية حائلا دون التزود باللغات الأجنبية التي يتواصلون بها مع ثقافات العالم المتنوعة .

ولابد أن نعترف أننا في مواجهة مهمة صعبة ، تقع علينا فيها مسئولية كبيرة . فنحن مطالبون بتسهيل مناهج تعليم اللغة العربية ، لأبنائها من ناحية ، ولغير الناطقين بها من ناحية أخرى . ونحن مطالبون بأن نجعل العربية لغة طيعة، تستجيب بسرعة لمتطلبات التطور المتلاحق ، والتقنيات المستحدثة . ونحن مطالبون بالاستمرار في وضع المعاجم العربية الحديثة لكل المستويات ، سواء كانت عامة أو متخصصة ، أحادية اللغة أو ثنائية ، حتى تكون مراجع معتمدة ، توحد للجميع طرق استخدام اللفظ المناسب في مكانه المناسب ، وأخيرًا فإننا مازلنا في انتظار كتاب قواعد اللغة العربية ، السهل البسيط المباشر ، الذي يأخذ بيد متعلم اللغة ومحبيها على السواء إلى الاستخدام اللغوي الصحيح ، من أقصر الطرق ، وفي أسرع وقت ممكن .

السادة الأعلام :

رئيس وأعضاء مجمع الخالدين:

إننا نعيش اليوم عصر الاتصالات بكل أبعاده ، التي جعلت من العالم الكبير قرية صغيرة ، يجري فيها تبادل المعلومات بسرعة فائقة ، وتتواصل فيها المجتمعات والثقافات بدون الحواجز التقليدية القديمة، لذلك فإننا مطالبون بمواجهة تحديات هذا العصر ، المتسارع الخطى ، المتعدد المجالات، ومن الواضح أن أمامنا فرصة كبيرة لجعل اللغة العربية إحدى أهم وسائل الاتصال بين كتلة هائلة من السكان ، في منطقة من أكثر مناطق العالم حركة وحيوية . وقد أثبتت اللغة العربية قدرتها الفائقة على تأكيد ذاتها بين لغات العالم المعاصر ، منذ أن أصبحت لغة معترفًا بها في المحافل الدولية ، والمؤتمرات العالمية . ولم تقصر أبدًا عن التعبير بدقة وكفاءة عن كل ما يراد منها ، سواء في المجالات الأدبية والفكرية والعلمية ، أو في المجالات السياسية ، والدبلوماسية ، والاستراتيجية .

السادة الأعلام :

رئيس وأعضاء مجمع الخالدين :

يـأتي مؤتمركم السنوي ، للدورة الرابعة والستين ، في وقت أصبح مجتمعنا كله مؤمنا بتطوير التعليم والبحث العلمي ، كمدخل أساسي لاقتحام قرن ميلادي جديد ، لا مكان فيه للخاملين أو الكسالى، وإنما البقاء والغلبة للمنافسين وذوي القدرة والكفاءة . ومنذ وقت مبكر، أدركت قيادتنا السياسية هذه الحقيقة ، فأعلن السيد الرئيس محمد حسني مبارك العقد ألأخير من القرن العشرين عقد التعليم ، وقفزت ميزانيته من ملايين الجنيهات إلى المليارات . كما يشهد البحث العلمي لدينا طفرة نوعية ، سوف تكون لها نتائجها الملموسة في المستقبل القريب . وفي ظل هذه النهضة ، وذلك التوجه ، فإنني أدعو كل السادة المجمعيين إلى المساهمة الفعالة بفكرهم ، وعلمهم ، وخبرتهم الطويلة في تلك المسيرة التي تشهدها مصرنا الغالية .

ويطيب لي في هذا المقام ، أن أتوجه بخالص الشكر والتقدير للقائمين على تنظيم هذا المؤتمر السنوي ، الحافل ، كما أرحب أشد الترحيب بكل العلماء الأفاضل، الذين يشرفون هذا المؤتمر بحضورهم ومشاركتهم ، من مختلف الأقطار الشقيقة والصديقة ، راجيا لهم طيب الإقامة في بلدهم الثاني مصر ، التي كانت ومازالت ركيزة للعروبة ، ومنارة عالية للحضارة الإنسانية .

وفقكم الله ، وسدد على طريق الحق والخير والعلم خطاكم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مفيد شهاب

وزير التعليم العالي

والدولة للبحث العلمي

بين مؤتمرين

للأستاذ إبراهيم الترزي

الأمين العام للمجمع

الأستاذ الدكتور شوقي ضيف رئيس المجمع العالي والبحث العلمي :

الأستاذ الدكتور شوقي ضيف رئيس المجمع:

الأساتذة الزملاء :

أيها السادة :

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ، وبعد فيسعدني أن أوجه تحية ترحيب ، مشفوعة بالشكر ، إلى السيد الوزير ، في أول لقاء حميم له بالمجمعيين ، في مؤتمرهم السنوي، كما أوجه تحية ترحيب ، مشفوعةً أيضًا بالشكر ، إلى من لَبَّوْا دعوةَ مؤتمرنا ، وبخاصة من وفدوا إلينا من زملائنا العرب والمستعربين ؛ لِيُؤدُّوا واجبهم المجمعيَّ في نظر ما أنجزه مجمعهم من مصطلحات علمية ، وقرارات لغوية ، ومواد معجمية، وهي — بحمد الله — حفيلة جليلة ، تناهز عِدَّتُها ثلاثة آلاف !

وإليكم البيان المعهود بأعمال مجمعنا ما بين مؤتمرين : سابق ولاحق .

المؤتمر السابق :

فاق مؤتمر الدورة المجمعية السابقة كل ما سبقه من مؤتمرات في عدد جلساته ؛ فقد بلغتْ عِدَّتُها عشرين جلسة ، منها تسعٌ علنية : أولاها جلسة افتتاح المؤتمر ، وثلاثٌ منها لتأبين أعضاء راحلين ، أولُهم: الأستاذ محمد بهجة الأثري عضو المجمع من العراق ، وألقى كلمة المجمع في تأبينه الأستاذ الدكتور يوسف عز الدين عضو المجمع المراسل من العراق ، وثانيهم: الأستاذ سعيد الأفغانيّ عضو المجمع من سوريَّة ، وألقى كلمة المجمع في تأبينه الأستاذ الدكتور شاكر الفحام رئيس مجمع دمشق ، وعضو مجمعنا من سورية ، وثالثهم : الأستاذ الدكتور جاك بيرك عضو المجمع من فرنسا ، وألقى كلمة المجمع في تأبينه الأستاذ الدكتور عبد الهادي التازي عضو المجمع من المغرب .

واستقبل في إحدى الجلسات العلنية

(*) ألقيت هذه الكلمة في الجلسة الافتتاحية لمؤتمر الدورة الرابعة والستين يوم الاثنين ١٠ من ذي القعدة سنة ١٤١٨هـ الموافق ٩من مارس(آذار)سنة١٩٩٨م.

الأستاذ الدكتور شاكر الفحام عضو المجمع من سورية ، وألقى كلمة المجمع في استقباله الأستاذ الدكتور شوقي ضيف رئيس المجمع .

وخصصت أربع جلسات علنية لأربع محاضرات عامة :

الأولى : " طه حسين المجمع " للأستاذ الدكتور شوقي ضيف رئيس المجمع .

والثانية : " قضية التعريب في مصر " للأستاذ الدكتور محمود حافظ نائب رئيس المجمع .

والثالثة : " اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم " للأستاذ الدكتور كمال بشر عضو المجمع .

والرابعة : " اللغة العربية والإسلام والعلم" للأستاذ الدكتور عبد الحافظ حلمي محمد عضو المجمع .

أما الجلسات الباقيات فكانت مغلقة ، نظر المؤتمر فيها مصطلحات : الفيزيقا والهندسة، والجيولوجيا، والرياضيات ، والحاسبات ، والنفط ، وعلوم الأحياء ، والطب ، والكيمياء ، والجغرافيا ، وأصول الفقه،والفلسفة،والتربية، الموسيقا.

كما نظر المؤتمر أعمال لجنة الألفاظ والأساليب ، ولجنة الأصول ، ولجنة اللهجات والبحوث اللغوية ، ولجنة المعجم الكبير .

أما البحوث الي قدمها الأساتذة الزملاء إلى المؤتمر فقد بلغت عدّتها عشرين بحثا ؛ عالج أكثرها موضوع المؤتمر، وهو "التعريب" ، وعالج باقيها أمورًا شتّى في اللغة ، والأدب ، والتاريخ، وغير ذلك .

وأصدر المؤتمر – في جلسته الختامية – توصيات ، منها ما يلي :

- يوصي المؤتمر الحكومة المصرية وسائر الحكومات العربية يالعمل على تعريب التعليم العالي والجامعي ؛ إعمالا للنص الوارد في قانون الجامعات،حتى لا تظل جامعات الأمة العربية هي الجامعات الوحيدة في العالم التي تدرس العلوم بلغة أجنبية.
- يوصي المؤتمر بالعمل على إنشاء هيئة كبرى للترجمة،تضع خطة محكمة لترجمة العلوم والتكنولوجيا الغربية،مع ملاحظة التطورات العصرية فيهما؛

خدمة لتعريب التعليم الجامعي ، على أن يلحق بهيئة الترجمة معهد "لتدريب طبقة من المترجمين الممتازين ، الذين يتقنون ترجمة العلوم والتكنولوجيا إلى اللغة العربية ، وترجمة التراث العربي ، وبخاصة معاني القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، إلى اللغات العالمية .

- يوصي المؤتمر بأن تعمل مجامع اللغة العربية ، والهيئات العلمية ، في الوطن العربي ، على إصدار معاجم تضم مصطلحات مصحوبة بتعاريف محددة لها — بجانب ما أصدرته منها — في علوم العصر الحديث ؛ كعلوم الهندسة الوراثية ، والتكنولوجيا الحيوية ، والإلكترونيات ، وعلوم البيئة ، والمحيط الجوي ، والاتصالات ، والمعلومات ، وعلوم الفضاء .

- يوصي المؤتمر بأن تعمل الحكومات العربية على الالتزام باللغة العربية الصحيحة في جميع وسائل الإعلام : المقروءة ، والمسموعة ، والمرئية ، وبخاصة مسارح الدولة ، والمسلسلات التليفزيونية والإذاعية .

- يوصي المؤتمر بأن تعني وزارات الإعلام ، وهيئات الإذاعتين : المسموعة والمرئية بإعداد دورات تدريبية للعاملين فيها ؛ لتدريبهم على الضبط الإعرابي ، والنطق السليم .

- يؤكد المؤتمر ما سبق أن أوصى به من التزام رجال الدولة والمسؤولين في الوطن العربي أن تكون خطبهم وبياناتهم الموجهة إلى الجماهير بلغة عربية سليمة .

المجلس واللجان :

عقد المجلس ثلاثًا وثلاثين جلسة ، منها ثلاث علنية : أبّن في الأولى الأستاذ مصطفى أمين عضو المجمع ، وألقى كلمة المجمع في تأبينه الأستاذ الدكتور سليمان حزين عضو المجمع ، وأبن في الثانية الأستاذ محمود شاكر عضو المجمع ، وألقى كلمة المجمع في تأبينه الأستاذ الدكتور شوقي ضيف رئيس المجمع ، وابن في الجلسة الثالثة الدكتور أبو شادي الروبي عضو المجمع، وألقى كلمة المجمع في تأبينه الأستاذ الدكتور محمود حافظ نائب رئيس المجمع . وقد رزئ المجمع بوفاة

الأستاذ الدكتور محمد السيد غلاب عضو المجمع ، وسيقام حفل تأبينه عقب هذا المؤتمر ، إن شاء الله.

ونظر المجلس في الجلسات الثلاثين الباقية مصطلحات في الفيزيقا ، والهندسة والرياضيات ، والمعالجة الإلكترونية ، وعلوم الأحياء ، والنفط ، والكيمياء والصيدلة ، والجغرافيا ، والتاريخ والآثار ، والرياضة البدنية ، والأدب ، والشريعة ، والفلسفة ، وعلم النفس والتربية .

كما نظر المجلس أعمال لجنة الألفاظ والأساليب ، ولجنة الأصول ، ولجنة اللهجات والبحوث اللغوية .

وسينظر المؤتمر ما أنجزته هذه اللجان مع طائفة جديدة من موادّ المعجم الكبير.

مطبوعات المجمع :

صَدَر من مطبوعات المجمع :

- الجزء السابع من معجم التكملة ، والذيل والصلة ، للزبيدي ، بتحقيق الأستاذ عبد الوهاب عوض الله رئيس قطاع المجمع ، ومراجعة الأستاذ مصطفى حجازي عضو المجمع .
- أجزاء مجلة المجمع ، من الخامس والسبعين إلى الثمانين .
- وتحت الطبع :
- المجموعة السابعة والثلاثون من المصطلحات العلمية والفنية .
- معجم القانون ، الذي يَصْدر كاملا، شاملا كل فروع القانون ، ويتضمن نحو سبعة آلاف مصطلح .
- معجم المصطلحات الهندسية ، ويتضمن نحو ثلاثة آلاف مصطلح .
- الجزء الثالث من معجم المصطلحات الطبية ، ويتضمن كذلك نحو ثلاثة آلاف مصطلح .
- وفي الطريق إلى المطبعة :
- المجموعتان : الثامنة والثلاثون ، والتاسعة والثلاثون من مجموعة المصطلحات .
- ومعجم المصطلحات الموسيقية .
- والجزءان : الرابع والخامس من المعجم الكبير .
- أجزاء المجلة : من الحادي والثمانين إلى الثالث والثمانين .

أيها السادة :

يشـــهد العـــالم تقدمًا هائلاً ؛ بل قفزات باهـــرة ، في الاتصالات والمعلومات ،بما يتـــيحه العلم من مخترعات تتطور تطورًا مـــتلاحقًا في كـــل مجال ، ومن ذلك ما يســـمَّى " ثـــورة المعلومات " ، ودخل الحاســـب الآلي – أو الحاســـوب – كل معهد علمي ، ومؤسسة ، ونادٍ ، بل كل بيت ، ومحلٍّ تجاريٍّ صغير .

ولم يكن المجمع بعيدًا عن ذلك ؛ فقد أنشأ – منذ سنوات – مركزًا للحاسبات، بإشـــراف شيخ جليل من علمائنا ، جمع إلى خـــبرة الشيوخ حماسة الشباب ، هو الأســـتاذ الدكـــتور محمود مختار ، مقرر لجـــنة المعالجة الإلكترونية بالمجمع ، وقد أشـــرف كذلـــك عـــلى إنشـــاء قاعة للحاسبات ذات أجهزة متطورة متكاملة ، كـــان الفضل في تزويد المجمع بها للأستاذ الدكـــتور محمد هيثم الخياط عضو المجمع المراســـل مـــن سورية ، ونائب الرئيس الإقلـــيمي لمـــنظمة الصحة العالمية ؛ التي استهداها – مشكورًا ومشكورةً – هذه الأجهزة للمجمع .

أيها السادة :

لقد أخذ المجمع يفتح صومعته لجمهرة المـــثقفين ، ويوثـــق اتصاله المباشر بهم ؛ فأنشأ لجنة ثقافية برئاسة الأستاذ الدكتور كمال بشر ، استهلت نشاطها بندوة عن الشـــاعر اللغـــوي الأديب الأستاذ على الجـــارم عضو المجمع الراحل ، ثم عقدت نـــدوة أخرى عالجت فيها " قضايا الشعر المعاصر ".

ولا يفوتـــني التـــنويه بتقدير عالمي للأســـتاذ الدكـــتور محمود حافظ نائب رئـــيس المجمع ، الذي اختير عضوًا بهيئة المستشارين بالاتحاد الدولي لتاريخ العلوم ، في بلجيكا.

أيها السادة :

اللغـــات في حاجة دائمة إلى معاودة الـــنظر ، حينًا بعد حين ؛ فهي في حركة دائبة من النمو ، والتطور ، والتجديد .

واللغـــات في هـــذا كله تحتاج إلى مـــا يحفـــظ علـــيها صحتها وعافيتها ، وطـــب اللغـــات لا يـــنهض بـــه إلى المجـــامع ، والنبغاء الأكفاء أولو العزم من الباحثين .

وريادة اللغات إلى الآفاق الجديدة في كل علم ، وأدب ، وفن ، لا يتولاها كذلك إلى المجامع ، وهؤلاء النبغاء الأكفاء.

فالنمو اللغوي حين ينشأ عن طبيعة اللغة يجدد شبابها وحيويتها ؛ لأنه يزيدها قدرة على العطاء ، والتفاعل مع الحياة ؛ فهو يستنهض في اللغة إمكاناتها الاشتقاقية، وطاقاتها البيانية ؛ للتعبير عن الناس ، وما ينشئون من علم ، وأدب ، وفن ، وما يصنعون من حضارة متجددة، وما يأخذون به أنفسهم من حياة تتطور في مجتمعاتهم، على امتداد الزمان والمكان.

هذا هو النمو اللغوي الصحي؛ لأنه ينشأ عن طبيعة اللغة نفسها .

أما النمو اللغوي العشوائي فإنه يصيب اللغة بالترهل والغثاثة ، والإعياء والفهاهة ؛ لأنه ينشأ في اللغة عن دخيل يتسلل إليها ، وغريب يسطو عليها ، وهجين يندس في ألفاظها وأساليبها ، دون رقيب أو حسيب، أو ضابط أو رابط، من المجامع ، وعلماء اللغة والاصطلاح .

وقد يظن البعض أن هذا النمو اللغوي العشوائي يزيد اللغة غنى ، وذلك ظن فطير أهوج ، بل وهم مكذوب ؛ فهذا النمو اللغوي العشوائي تضخم لغوي غير حميد ، نسأل الله تعالى أن يعيذ لغتنا منه ، وكما قال الشاعر الحكيم أبو الطيب المتنبي لسيف الدولة :

أعيذها نظرات منك صادقة
أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

وطب اللغات الذي يخلصها من هذا الداء والوباء لا يحذقه إلا كل نطاسي من جهابذة اللغة والعلم ، في مجامعهم وجامعاتهم .

واللغات يداهمها هذا الوباء إذا أصاب شعوبها الضعف والخمول ، كما حدث لبلداننا العربية والإسلامية ؛ حين استكانت إلى حياة الرغد والرفاهية ، ومزقتها الأطماع والأهواء ، بعد أن كانت راياتها ترفرف شامخة فوق ربوع الأندلس ، ممتدة إلى تخوم الصين والروم ، وكانت حضارتها سيدة الحضارات،ولغتها العربية سيدة اللغات،استوعبت كل العلوم، وطورتها،وابتكرت فيها ، فأقبل

لأوربيون وغيرهم على تعلم العربية، لغة العلم والحضارة ، وكان الأوربيون يفاخرون بتعلم العربية، وبالرحلة إلى العلماء العرب والمسلمين ؛ ليأخذوا عنهم علومهم ، وينقلوها إلى بلادهم ، حيث قامت النهضة الأوربية على أسس من علوم العرب وحضارتهم . ثم أدرك العرب داء الترف، وغرقوا في ملذاتهم ، وعصفت بهم الفرقة،فتداعت حضارتهم ، ولم تقو لغتهم على مقاومة الدخيل من سائر اللغات .

ويستشري هذا الوباء اللغوي كذلك حين تقع الشعوب فريسة غزو واحتلال ؛ فالغازي المحتل يعمل جاهدًا على أن يغزو كل مقومات الشعب الذي يقع في قبضته، ومن أهم هذه المقومات اللغة ؛ لأنها لسان فكره وثقافته ، وبالهيمنة عليهما يصبح الغزو غزوًا للعقول والنفوس ، فيضمن تبعيتها له ، حتى بعد رحيل جيوشه ، وإنهاء غزوه العسكري ، ومازالت هذه الظاهرة اللغوية تطالعنا في كثير من بلدان آسيا وإفريقيا . وكم عانت بلادنا العربية من ذلك حين تعرضت لغتنا لغزوات من التركية ، والإنجليزية والفرنسية ، والإيطالية ، وأتاح ذلك الفرصة للغة العامية ؛ فداهمت حمى الفصحى المستباح، كما شد من أزر دعاة العامية !

وقد استفز ذلك همم الغير من علماء العربية وأدبائها ومفكريها ، فهبوا متصدين له ، داعين إلى إنشاء المجامع اللغوية ؛ ليكون أعضاؤها سدنة للغة كتاب الله الكريم ، يحمون حماها ، ويأخذون بحقها في كل مجال أدبي وفني ، وعلمي وإعلامي ، وثقافي وحضاري ، واضعين ضوابط لما يستخدمونه من مصطلحات أجنبية عالمية ، حتى تزداد لغتنا ثراء وعطاء ، وقدرة على التعبير عن كل جديد في العلم والحضارة ، وبذلك تصبح مؤهلة لأن تكون لغة علم عالمية ، وتحقق أمل أمتنا في تعريب التعليم !

أيها السادة :

الموضوع المقترح للبحث في مؤتمر هذه الدورة المجمعية (الرابعة والستين) هو : "قضايا اللغة العربية"، وهو موضوع عظيم الخطر، بليغ الأثر ، في حياتنا العلمية ، والتعليمية ، والإعلامية ، والثقافية .

ومجمعنا – منذ نشأته – لم يغفل معالجة قضايا اللغة العربية ؛ فقد عكف على فحصها وعلاجها ، على امتداد دوراته المجمعية .

فموقفنا اليوم من موضوع مؤتمر هذه الدورة إنما هو " عود على بدء " ، ومراجعة لما سبق أن عالجه مجمعنا من قضايا اللغة العربية ؛ حتى لا يظن ظان أن مجمعنا لم ينتبه لقضايا لغتنا إلا اليوم ، ومجمعنا مبتلى بالظنون والاتهامات ، التي يرمى بها من كل جانب ، وبخاصة من إعلامنا الذي لو اقترب من المجمع ، وتعرف على نشاطه لقال كلمة إنصاف تقدره حق قدره .

فقد أخذ مجمعنا في دوراته الأولى – منذ أكثر من ستين عامًا – يعالج قضايا: الدخيل ، والمولد ، والتعزيب ، والنحت ، والاشتقاق من أسماء الأعيان العربية والأجنبية ، كما عالج مجمعنا قضية وضع المصطلحات العلمية والفنية والحرفية ، وقضية توحيد النطق بالحروف العربية ، وقضية اللهجات العربية : قديمها وحديثها، وقصية ألفاظ الحياة العامة ، التي سميت فيما بعد " ألفاظ الحضارة " ، وقد أنشأ المجمع لجنة خاصة بها؛ لعظيم أهميتها، واتصالها الوثيق بحياة الناس في بيوتهم ، وأسواقهم ، ونواديهم ، وحرفهم، وغير ذلك من شؤون حياة مجتمعنا العربي المعاصر .

كما عالج مجمعنا قضايا:إحياء التراث العربي، والتأليف المعجمي : قديمًا وحديثا، ولغة العلم ، ولغة الإعلام ، ولغة الصحافة ، والفصحى والعامية ، والعامي الفصيح، والأعلام الجغرافية ، والتعريب .

أما قضية تيسير النحو – وبخاصة النحو التعليمي – فقد ظل المجمع يعاود علاجها على امتداد ثلاثين عامًا ؛ ففي أوائل الأربعينيات بدأت قضية النحو التعليمي تستنهض اهتمام المجمعيين ، وتلح عليهم ، حين عمت الشكوى من تعليم النحو لدى الناشئة ومعلميهم ؛ فدفعت وزارة المعارف –حينذاك– هذه القضية الكبرى إلى ساحة مجمعنا ، لنظرها ، والفصل فيها .

والحق أن الشكوى من النحو ليست وليدة هذا العصر ؛ فهي قديمة قدم النحو

نفســـه ، فالنحو بين علوم اللغة له دولة وصـــولة ، حتى صار سلطانه مهابًا لدى المـــتحدثين والكاتبين ، بل لقد هابه كثير من أرباب الفصاحة والبيان ، فهذا الخليفة الأموي " عبد الملك بن مروان " المعروف بطلاقـــة لسانه وبلاغته – حين قيل له : لقد عجل إليك الشيب يا أمير المؤمنين!.. قـــال: " لقد شيبني ارتقاء المنابر وخوف اللحن ! ".

وهذا الكسائي شيخ نحاة الكوفة يقول :

إنما النحو قياس يتبع
وبه في كل علم ينتفع
فإذا ما أبصر النحو الفتى
مر في النطق مرًّا واتسع
واتقاه كل من جالسه
من جليس ناطق أو مستمع
وإذا لم يبصر النحو الفتى
هاب أن ينطق جبنا وانقمع

ولكـــن الـــنحاة حين أخذوا يوغلون في قواعـــد النحو ، ويبالغون في تفريعاتها ، وعلـــلها ، ويكـــثرون القول في الصرف ومصـــطلحاته، حـــتى بدا كلامهم كأنه رطانـــة أعجمية في أسماع بعض العرب ؛ لأنهـــم لم يكونوا قد ألفوه بعد في القرن الأول من الهجرة ، وقد أثار هذا غضب " أبي مسلم" مؤدب" عبد الملك بن مروان"، واستنكره ، فقال هذا الشعر :

قد كان أخذهم في النحو يعجبني
حتى تعاطوا كلام الزنج والروم
لما سمعت كلاما لست أعرفه
كأنه زجل الغربان والبوم
تركت نحوهم ، والله يعصمني
من التقحم في تلك الجراثيم

وكتب رفيع بن سلمة إلى أبي عثمان بكر المـــازني – عالم النحو المشهور – يشكو إلـــيه مـــا يعانيه من الإضمار في النحو ، وبخاصـــة إضمار " أن " بعد الفاء والواو المقترنتين بالمضارع ، فقال :

تفكرت في النحو حتى مللت
واتعبت نفسي به والبدن
وأتعبت بكرًا واصحابه
بطول المسائل في كل فن
وكنت بظاهره عالمًا
وكنت بباطنه ذا فطن
خلا أن بابًا – عليه العفاء–
للفاء يا ليته لم يكن

وللواو باب إلى جنبه

من المقت أحسبه قد لعن

أجيبوا لما قيل هذا كذا

على النصب؛ قالوا : بإضمار"أن"

لقد خفت يا بكر من طول ما

أفكر في أمر " أن " أن أجن

أمـــا عَمّـــار الكلبيُّ" فقد أخذ يَنْعَى على الـــنُّحاةِ ولَعَهـــم بالتَّفنُّن في الإعراب ، وضَرْبِ أمثلةٍ أخذوا يتداولونها ؛ كقولهم: "ضَرَبَ عبد الله زيدًا " ، فقال يشكو بهذا الشعر :

ماذا لقيت من المستعربين ومن

قياس نحوهم هذا الذي ابتدعوا

إن قلت قافية بكرًا يكون لها

معنى يخالف ما قاسوا، وما صنعوا

قالوا : لَحَنْتَ ؛ فهذا الحرفُ منخفضٌ

وذاك نَصْبٌ ، وهذا ليس يرتفعُ

وحَرَّشوا بين " عبد الله " في سَفَه

وبين" زَيْدٍ " ، وطال الضَّرْبُ والوَجَعُ

بل إن بعض كبار النحاة ضاق بالإغراق في الـــتأويل الإعرابيِّ ، كقولهم في المثال المشـــهور الذي لا يكاد يَخْلُو منه كتابُ نحـــوٍ: " أكلـــتُ السمكةَ حتى رأسها " بنصبَ رأسها ورفعه وجرِّه ، على تأويل "حتى" في كل حال ، حتى قال شيخٌ من شـــيوخ النحاة وهو " الفَرّاء " :"سأموت وفي نفسي شيءٌ من حتى " !

وقد شهدتْ هذه القاعة التي نحن فيها الآن شيخًا من شيوخ اللغة في عصرنا هو الأســـتاذ كمال بشر الذي يلقي محاضرة في مؤتمـــرنا السابق ، جعل عنوانها كأنه صيحة احتجاج يوجهها إلى الإعرابيين من الـــنحاة فقال :" النحو ليس الإعراب ، والإعراب ليس النحو " !

ومـــن قبل في الأندلس ، منذ ثمانية قـــرون ، كتـــب " ابـــن مضاء " كتابه المشهور: " الردُّ على النُّحاة " الذي حقَّقه أستاذنا الدكتور شوقي ضيف ، في صدر شـــبابه ، وقد ظلَّ الدكتور شوقي مَعْنيًّا بقضـــية " تيسير النحو " ، وقَدَّم – منذ رُبع قرن – مشروعًا لتيسير النحو ، حظي بتقدير المجلس والمؤتمر ، وصَدَرَ في كُتَيِّب تَداوَـــله الباحـــثون في شؤون النحو . ثم أصدر الأستاذ الدكتور حسين كامل بهاء الديـــن وزير التربية والعليم قرارًا بتأليف لجنةٍ من المجمعيين ورجال التعليم ، برئاسة

الأســتاذ الدكـتور شوقي ضيف رئيس
المجمـع، لوضع أسس النحو التعليمي في
مراحل التعليم المدرسي .

في خـتام كلمتي أجدد الترحيب بكم ،
والشكر لكم .
والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

إبراهيم الترزي

الأمين العام لمجمع اللغة العربية

في ظلال المجد
قصيدة

للأستاذ حسن عبد الله القرشي

وثبة الفكرِ لَدى العام الجديد
مرحبا يا صانعا أمجادها

تتـــلقانا بعيـــد بعـــد عيـــد
لغة القرآن في خير مديد

تتـــــلقانا رؤى علـــوية
والذي شيد في أرباضنا

ليس يثني ومضها أعتى السدود
فهما تبقى إلى يوم الخلود

تتـــــلقانا وفي مجمعـــنا
وجلا الضاد عروسا حلوة

عرس الأعراس في اليوم السعيد
تطي جلوتها عذب النشيد

مجمع تهدى النجلات له
يزهو التاريخ في أفيائها

من كرام مثل العزة رصيد
وترى الآداب أفوان عقود

عاش للأجيال يجلو السنا
والسنا ينبع من واحاتها

فجنوا من حقله حب الحصيد
وينادي صيبا هل من زيد ؟

* * *

كم توافى رهطه كي يهبوا
يا بني يعرب والخطب دنا

فأرزا لحكمة أثمار خلود
وصقور البغي تزهو بالحشود

يتبـــارون على ســـاحته
كلهم قد شط في إجرامه

بجليل فاره المعنى فريد
يضمر الغدر بعزم من حديد

همهم والمجد يعلي شأنهم
فلنقم وحدة شعب صامد

وهواهم ، وهو مقياس السعود
تتحدى كل جبار عنيد

* * *

أن يروا مجمعهم فوق الذرى
راية العرب شرائع مدة

علما يعلو على كل صعيد
خالق الأكوان ذو البطش الشديد

فهو أحرى بجهـــود فـــذة
تتحرى للجنى أزهى الورود

* * *

هي لن تخشى انحسارًا أبدًا   عن نيوب هي كالسم المبيد
منذ (بدر) وهي زلزال رعود   ويخال (القدس) ملكًا خالصًا خالصًا
عقدت للنصر دومًا موثقًا   يحتويه دون حق وشهود
واحتوى الموثق إقرار العهود   قد رضعنا الخلف مرًا علقمًا
إن يكن جار زمان بحصى   كشراب ، سائغ الطعم برود
فغدًا يحفل بالدر النضيد   وتعادينا عداء أحمقا
والدنى كر ، وفر ولقده   ليس يهوداه لنا غير اليهود
يتدانى النصر من حبل الوريد   وهو لولا الخلف فينا والذي
لم يطل يأسي ولا دام أسى   نشر الأفلاك في الأفق البعيد
صنعة الأبطال تحطيم القيود   كانت الدنيا لنا مزرعة
والعدى مهما تمادوا بالأفرى   وبنو صهيون أشباه العبيد
فسيلقون بأعماق اللحود   سألوني إننا في رقبة
وديار العرب مهما اغتربت   ما الذي أبدعت من حالي النشيد
فقصاراها إلى عود حميد   جاءك الغيث لم تمطر لنا
قدم الطاغي ستلقى قطعها   ما يلذ الصبت ذا القلب العميد
ليس هذا زمن الباغي المريد   قلت إن الشعر في مشغلة
لوحوا بالسلم فاهزت له   عن رحيق الحب في زاهي الوجود
أنفس خالته يدنو للمريد   فأسألوني عن دم في وطني
فبدا أكذوبة ممقوته   أيجف الدم عن صدر الشهيد
بسوى حرب حياة ووجود   ودعوا الشعر حزينًا إنني
يسترد الحر فيها أرضه   لا أجيب اليوم عن (بيت القصيد)
فإذا بالخصم كالكلب الطريد   غير أني في غد قد أشتري
بعد ما عاش كوحش طاشر   لي شبابة إرنان بعيد

حامل الراية أطلق للذرى
راية للنبشمين الأسور
واراني الأقدام عن آبائهم
من رعوة ثم عن خير جدود
راية الأعلام أحرى بالعلا
في يدي قرم وفي كف عضيد
(خالد) واحدها يوم الوغى
والفتى (المقداد) ذو الرأي السديد
والآتي كم قد سخت أرواحهم
في سـبيل الله تهفـو للمـزيد

أين منا المثـل العليـا التي
عاش فيها المجد نبراس الجنود ؟
لم تكن تخشى حماماً أو ردى
كم لدى الجنة من روح شهيد
وحمانا ذمـة فـي دمنـا
ليس بحمية سوى عالي الجهود
شعلة المجد سرت من روحنا
ليس يحيا الضوء من غير وقود

حسن عبد الله القرشي
عضو المجمع المراسل
من السعودية

ازدهار الفصحى في القرن العشرين

للأستاذ الدكتور شوقي ضيف رئيس المجمع

الزملاء المجمعيون ، سيداتي وسادتي :

الفصحى لغة عريقة تتعمق في التاريخ إذ نشأت منذ نحو ستة عشر قرنًا ، وهي -بذلك- أقدم اللغات الحية زمنًا وأطولها حياة ، تولدت من لهجة قريش وارتفعت إلى منـــزلة لغة أدبية لعرب الجزيرة العربية في الجاهلية ، وإنما اختارت قبائل الجزيرة لهجة مكة القرشية لتكون لغة أدبية عامةً لها لأن مكة كانت مهوى أفئدتهم بسبب مركـــزها الديـــني الروحي والاقتصادي المـــادي فكانـــت حارســـة الكعبة بيت عبادتهم ، وكانت قوافلها التجارية تجوب الجزيـــرة شمـــالاً وجنوبًا وشرقًا ، وكان العرب يجتمعون بها في أعيادهم الدينية وفي الأسواق المحيطة بمكة ، وبخاصة في عُكاظ ينشـــدون فيها أشعارهم ، ويحتكمون إلى الـــنقاد لإعـــلان أسماء المتفوقين فيهم . وكانت القبائل العربية ترى الحبشة تسيطر على اليمن ثم الفرس ، ويسيطر الروم على القبائل في الشـــمال الغربي للجـــزيرة ، والفـــرس على القبائل في الحيرة والشمال الشـــرقي ، فتجمعت قلوبهم حول مكة الـــتي لم تدِن يومًا لسلطان أجنبي فكانت رمز استقلالهم وعاصمة ديانتهم الوثنية ، وكان طبيعيًا أن يشعروا بسمو لهجتها ، وأن يتخذوها لغتهم الأدبية التي يصوغون فـــيها أدعيتهم الدينية وأشعارهم . ونوَّه أســـلافنا بجمال اللهجة القرشية الفصحى وتفوقهـــا على اللهجات العربية من مثل قـــول أحمد بن فارس :"إن قريشًا أفصح العـــرب ألسنة وأصفاهم لغة " ويقول أبو نصـــر الفـــارابي : "كانت قريش أجود العـــرب انـــتقاء للأفصـــح من الألفاظ وأسهلها على اللسان عند النطق وأحسنها مسموعًا وأبينها إبانة عما في النفس ".

وحظيـــت هـــذه الفصحى القرشية بنـــزول القرآن الكريم فيها وما صبّ بها من إشاعات بلاغية وربانية بحيث لم يتح لأمـــة مـــن الأمم كتاب يماثله في روعة البـــيان، وظن الأسلاف أن هذه الروعة

(*)ألقيت هذه المحاضرة في الجلسة الثانية يوم ١٠ من ذي القعدة سنة ١٤١٨هـــ الموافق ٩ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٨م .

وحدهــا مــدار إعجازه وحدها ووقفوا عندها يصورونها في مباحث قيمة ، وفاتهم من وجوه إعجازه أنه ينقل من يتلوه ومن سمعــه إلى حضــور رباني يملك عليه لبه وقلــبه، ويستولي على كيانه ، فيستسلم للرســول ويعلن إليه إسلامه على نحو ما كــان يحدث للمسلمين القرشيين الأولين وما حدث لعمر بن الخطاب ، فقد كان كافــرًا وملأه خاله أبو جهل أكبر أعداء الرسول حَنقًا عليه وغضبًا لتفريقه الجماعة في مكة، وأقسم لخاله ليقتلنه وتقلد سيفه، وسار في شوارع مكة وفيها علم أن أخته فاطمة وزوجها سعيد بن زيد أسلما ولم يكــن يعلم، وسمعهما يتلوان القرآن قبل دخولــه البيت فدخل غاضبًا في عنف ، وضرب أخته فقالت له: قد أسلمنا فاصنع ما بدالك . يقول عمر: - كما في عيون الأثر - فرأيت كتابًا في ناحية من البيت، فقلــت لأختي أعطنيه ، ولم أزل بها حتى أعطــته لي ، فــإذا فيه سورة الحديد ، وقرأت في أولها (بسم الله الرحمن الرحيم) فذُعــرت ورميت الصحيفة من يدي ثم رجعــتْ إليَّ نفسي فإذا فيها : (سبح لله مــا في الســموات والأرض وهو العزيز الحكيم) فكلما مررت باسم من أسماء الله ذُعــرت ثم ترجع إلي نفسي حتى بلغت الآيــة : (آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) وبلغتُ إلى قوله : (إن كنــتم مؤمنين) فقلت أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله . ووضع عمــر سيفه في غِمده وذهب مهرولا إلى رسول الله وأعلن إليه إسلامه . وفي هذا الخبر ما يصور بدقة ما أقوله من أن القرآن الكريم يمسك بزمام تاليه وسامعه ، بحيث يستسلم لله ورسوله، وهو إعجاز عبر عنه عمــر بقوله إنه كان يذعر كلما تلا اسمًا من أسماء الله .

وسمع الوليد بن المغيرة الرسول — صلى الله عليه وسلم- وهو يتلو بعض آيات من القرآن وكان من ألد أعدائه ، فتوجَّه إلى نفر من قريش قائلا:"والله لقد سمعت من محمد كلاما، ما هو من كلام الإنس ولا مــن كلام الجنِّ وإن له لحلاوة وإن عليه لطــلاوة " . وقد شعر بوضوح أن آيات القــرآن تباين كلام الإنس من شعرائهم الفصحاء كما تُباين كلام الجن الذي كان

يزعم كُهانهم أنهم ينطقونهم به ، فهو ليس شعرًا موزونًا مما كان ينطق به شعراؤهم ، ولا سجعا مقفىً مما كان ينطق به كهانهم. إنه نمط جديد باهر يؤثر في النفوس والقلوب.

وقد عملت هذه الفصحى القرآنية على تقريب ما بينها وبين اللهجات القبلية إذ كان العرب يتلونه آناء الليل وأطراف النهار ، وتغلغلت هذه الفصحى باليَمَن في الإنحاء الداخلية التي كانت لا تزال تتكلم اللغة الحميرية . ولما فُتحت البلاد الإسلامية أخذت هذه الفصحى تسود شرقًا وغربًا إذ كانت تلاوةُ القرآن فرضًا مكتوبًا على كل مسلم، ويقول الله تعالى: (ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشةً ضنكا ونحشُرُه يومَ القيامةِ أعمى قال ربِّ لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرًا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتَها وكذلك اليوم تُنْسى) وبذلك تحول المسلمون في جميع أقطار البلاد الإسلامية إلى حفظه للقرآن يتلوه كبيرهم وصغيرهم ، حتى من سكنوا منهم في رءوس الجبال وفي الصحارى النائية مما جعل المسلمين في كل بقاع الأرض ينطبعون بطوابع الفصحى القرآنية.

وتتميز فصحى القرآن بأسلوبهم الرصين مع الجزالة والعذوبة وقربها من الأفهام حتى تلمس شغاف القلوب ، أسلوب واضح يلذ الآذان حين تستمع إليه والأفواه حين تنطق به والأفئدة حين تصغى له ، وقد استطاع أن يفتح قلوب الشعوب حين فتح العرب الأمصار من أواسط آسيا إلى المحيط الأطلنطي فإذا جميعها تَهْجُر لغاتها وتزايل ألسنتها ، وتحل فيها جميعًا لغته الصافية الشفافة بألفاظها الناصعة المستحسنة في الآذان وعلى الأفواه.

وهذا الأسلوب الرائع هو الذي أقام عمود العربية وحافظ على مقوماتها وأوضاعها في العالم العربي الكبير إلى اليوم، وكان المظنون حين حملت العربية في العصر العباسي علوم الأوائل السابقين لها جميعًا والفلسفة اليونانية أن تحدث تغيُّراتٌ وانحرافات في أوضاع العربية ، ولم تحدث، إذ وسعتها العربية باشتقاقاتها وصيغها الكثيرة، وتمثَّلت كل ما نقل إليها

من الحضارات السابقة :: الهندية والفارسية واليونانية من علم وفكر وفلسفة ، وأضافت في جميع المجالات الفلسفية والعلمية إضافات باهرة جعلتها تنفرد بقيادة العالم علميًا وفلسفيًا وحضاريًا وأخذت تذيع علومها وفلسفتها في أوربا وأقطار العالم لمدة ستة قرون من القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي إلى القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي ملأت فيها الأرض علمًا وأدبا وفلسفة ..

وحدثت خطوب وأحداث كثيرة ماتت لغات كانت ناطقة ومنتشرة مثل اللغتين اليونانية العتيقة واللاتينية ، وبَلِيَتْ منها فصحى العربية بلاء كثيرًا جعل حضارة الأمة العربية وما يُطْوَى فيها من العلوم والفلسفة تكاد تتوقف ويصيبها عُطِلٌ شديد ، غيرَ أنها لم تمت وظل لواؤها مرفوعًا طوال عدة قرون خمدت فيها وركدت إلى أن وصلت إلى القرن التاسع عشر الميلادي بعد كل ما أصابها من الكوارث والخطوب سليمةً دون أن يعتريها شيء من الفساد أو الاختلال . وكانت مصر قد بدأت نهضة علمية ، فضمتها إلى صدرها وأخذت تنقل إليها العلوم الحديث للغرب ، وأدتها أداء دقيقًا ، وسرعان ما كوَّنت مصر منها لغة علمية في القرن الماضي انتفعت بها جاراتها العربية ، وعرَّبت - مع العلوم الغَرْبِيَّة - القانون الفرنسي وعلم الاقتصاد ويسميه العرب علْمَ المعاش . ولم تلبث مصر في العقود الأخيرة من القرن الماضي أن بدأت ترجمة الآداب الأوربية وما ينطوي فيها من الأعمال القصصية والمسرحية .

وكانت فصحى الشعر في هذه العقود قد تخلّصت - على يد البارودي - من أغلال البديع الثقيلة ومن أساليبه الركيكة الغثة وأصبح الشعر يصور حياة الشاعر ومشاعره وحياة أمته مع استعارته من أسلافه إطارهم الشعري، غير أنه يملؤه بروحه وبشخصيته وبأمته وأحداثها السياسية مما اختلف عليه من أيام نعيم وأيام بؤس ونفي في سرنديب .

ونمضي إلى القرن العشرين فيخلفه حافظ وشوقي البارودي ، أما حافظ فنشدَّ إلى قيثارة الفصحى وترا وطنيًا ثائرًا ملأ به قلوب الشعب المصري حماسة وصلابة

لمنازلة الإنجليز المحتلين لدياره ، وهو فيه يعد سابقًا لشعراء مصر والبلاد العربية ، وشدَّ مع هذا الوتر وترا عربيا وكان أو ما وقع فيه من نغم نداء قويا للمصريين والعرب لإغاثة الفصحى ضد أعدائها المستعمرين إذ هاجمها قاض إنجليزي بمحكمة الاستئناف الأهلية يسمى ويلمور ألف كتابا عن لغة أهل القاهرة سنة ١٩٠٢ دعا فيه لاتخاذ العامية لغة للآداب والعلم في مصر ، وأحدث الكتاب هزَّةً حادَّة في مصر والبلاد العربية . وردَّ عليه ردا عنيفا حماة الفصحى وفي مقدمتهم حافظ إبراهيم إذ نشر ضد دعوته قصيدته: "اللغة العربية تنعي حظها بين أهلها " مصوبا أبياتها - كالسهام - إلى دعوته فقضت عليها قضاء مبرما وفيها يقول على لسان الفصحى :

وسعتُ كتاب الله لفظًا وغاية
وما ضقت عن آي به وعظات

فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة
وتنسيق أسماء لمخترعات

أنا البحر في أحشائه الدر كامن
فهل سألوا الغواص عن صدفاتي

وحافظ يرد في هذه الأبيات على ما كان يردده أعداء الفصحى من أنها لا تحمل مصطلحات العلوم الغربية ومخترعات الغرب، ويقول إن هذا ليس من قصور ذاتي فيها إنما هو قصور في أهلها ، ويقول حافظ إنه يكفيها فخرًا أنها وسعت كتاب الله وآياته المحكمة مشيرًا بذلك إلى أن دعوة ويلمور باستخدام العامية تحمل في طياتها دعوة إلى القطيعة بيننا وبين القرآن الذي يضمه المصريون إلى صدورهم وقلوبهم وهدمت القصيدة دعوة ويلمور من أساسها ، واضطر إلى مغادرة مصر في غير رجعة .

ويقف حافظ مع سورية ولبنان ضد الاستعمار ، مسلطا عليه نارا حامية من أشعاره ويستشعر بقوة ما بين مصر والبلاد العربية الشقيقة من أخوة ، وينتصر دائمًا للشيخ محمد عبده فيما كان يأخذ به نفسه من الإصلاح الديني ، ويشدُّ إلى قيثارة الفصحى وترا جديدا سبق به معاصريه من شعراء العربية غير منازع ، وأقصد وتر الشعر الاجتماعي الذي يصور فيه عِلَلنا الاجتماعية والأخلاقية ، مع

الدعوة إلى البر بالفقراء والبؤساء ، وحثّ الأثـرياء عـلى بـذل أموالهم للملاجئ والجمعيات الخيرية.

وشدَّ شوقي إلى قيثارة الفصحى وترًا اجتماعيًّا بديعا كما شدَّ إليها وترا وطنيًّا رائعًا اشترك فيهما الوطني والاجتماعي مع حافظ، وله فيهما أبيات نادرة مثل قوله:

وطني لو شُغِلْتُ بالخلد عنه
نازعتني إليه في الخلد نفسي

فحتى لو كان ينعم في أعطاف الخلد وجنبات الجنان لن ينساه ولن يغرب عن خـياله ، فمصر معبودته بتراثها العبق . وشـد في قيثارة الفصحى وترا عربيًا في غايـة الروعة ، وقصائده في دمشق قلما تجد دمشقيًا لا يحفظها ولا يتغنى بأبياتها ، من ذلك قصيدته القافية التي نظمها حين صوَّب الفرنسيون عليها مدافعهم ، وفيها يدعـو السوريين إلى استمرار الثورة على الفرنسـيين وبذل دمائهم وأرواحهم في سبيل ما يريدون من الحرية والاستقلال ، يقول :

وللحرية الحمراء بابٌ
بكل يدٍ مضرَّجةٍ يُدَقُّ

وشد إلى قيثارة الفصحى وترا تاريخيًّا تغـنى فيه بتاريخ مصر وأمجادها الفرعونية غـناء حارا ، وله في هذا التاريخ قصائد فريدة مثل قصيدته في أبي الهول وقصيدته في اكتشـاف قـبر تـوت عنخ آمون وقصيدته: النيل وفيها صور تاريخ الفراعنة وأمجادهم الحضارية العريقة ، وذكر تابوت موسـى وقصـة يوسف وإخوته ومريم وعيسـى ونـزول الإسـلام في مصـر واستضـاءتها بأنواره مجسما في ذلك كله شخصـية النيل المعنوية بجانب شخصيته الحسـية . وشدَّ إلى قيثارة الفصحى وترًا دينيًّا بمدائح للرسول صلى الله عليه وسلم، يـتفوق فيها على جميع معاصريه ، ومن أروعهـا يتيمـته الفـريدة الـتي سمَّاها الـبردة والـتي نظمها على غرار مَدْحه نـبوية للبوصـيري تحـدث فـيها عن سـيرة الرسـول وشمائله العطرة ، وردَّ فـيها على أعداء الإسلام الذين يزعمون أنـه إنمـا انتشر بالسيف وسفك الدماء قائلا:

قالوا غزوتَ ورُسْلُ الله ما بُعِثُوا
لقتل نَفْسٍ ولا جاءوا لسفك دَمِ

جَهْلٌ وتضليل أحلامٍ وسَفْسَطَةٌ
فَتَحْتَ بِالسَّيْفِ بَعْدَ الفَتْحِ بالقَلَمِ

ولـــو أن هؤلاء الأعداء قرءوا القرآن وما فيه من قوله تعالى :" وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين " لعرفوا أن حروب الرسول صلى الله عليه وسلم لم تكن عدوانية إنما كانـــت دفاعية . ولشوقي أبيات كثيرة نـــادرة في مديح الرسول صلى الله عليه وسلم كقوله في افتتاح قصيدة في ذكرى المولد النبوي :

وُلد الهدى فالكائنات ضياءُ
وفَمُ الزَّمَانِ تبسُّمٌ وثناءُ

ويتحدث في فواتحها عن مولده وما حدث فيه من خوارق متعددة . وشوقي عـــبقري الشـــعر العربي الحديث ، وقد احتذىٰ الشعراء في مصر والبلدان العربية نماذجـــه ونماذج حافظ في الشعر الوطني والاجتماعي ، وبذلك أظلت مدرستهما : مدرسة الإحياء في العالم العربي من الخليج إلى المحيط .

ونشـــأ جيل جديد يمثله عبد الرحمن شكري وإبراهيم المازني وعباس العقاد اتجه بفصحى الشعر وِجهَة لم تُعْرَف لها قديمًا إذ جعلوا قصائدها تعبر عن معانٍ إنسانية عامـــة وعن الطبيعة والكون وعن النفس ودخائلها ومطامحها وآلامها وأحلامها ، واســـتغرق هذا الجيل منـــزع الرومانسية في الغرب ، ولكل منهم دواوين متعددة . وخلفت هذا الجيل مدرسة أبولو ، ويتألق فـــيها إبراهيم ناجي وعلى محمود طه أما إبراهـــيم نـــاجي فغـــرق في المـــنـــزع الرومانسي الأوربي إلى أذنيه، فجعل شعره ذاتـــيًّا وجدانيًّا يتغنى فيه بحب شقي عاثر غـــناءٍ كله ألم وشجن وقلق ممض وكأنه يتجرع الحياة من كوب ماء مرير ، وكان على محمود طه مثل ناجي يتأثر بالمنـــزع الرومانســـي الوجداني ، وعني في شعره برصف الألفاظ الخلابة التي تؤثر في قارئه برنينها وألحانها المتلاحقة . وله ولصاحبه - مـــثل شـــعراء المدرســـتين السابقتين - تجديدات في الأوزان والقوافي .

ويشيع - منذ أواسط القرن العشرين- نمـــط جديد من الشعر يتخفف من أثقال العروض، فيلغي القافية المطردة إلغاء تامًّا، ويلغـــي معهـــا فكـــرة الشطر والبيت ،

فالقصيدة من هذا النمط الجديد لا تتكون من أبيات بل تتكون من سطور متلاحقة، ولا تستبقي من العروض الموروث للشعر العربي سوى التفعيلة إذ يعتمد عليها في سطوره ، ولذلك سموا هذا النمط شعر التفعيلة ، ومن شعرائه الممتازين نازك الملائكة بالعراق، وصلاح عبد الصبور بمصر ومنذ ظهر شعراؤه كثرة مفرطة في العالم العربي .

ومما يذكر لشوقي أنه أدخل في فصحى الشعر العربي فنًا شعريًا جديدًا هو فن الشعر التمثيلي الغربي ، وقد أراد به أن يقاوم تيار اللغة العامية الذي طغى على المسرح المصري ، ونجح في ذلك نجاحًا منقطع النظير ، وفتن الشباب بأعماله التمثيلية لإرضاء عواطفهم الوطنية والعربية، ولتمصيره هذا الفن الأوربي إذ جعله فنًا مصريًا عربيًا لأول مرة في تاريخنا الحديث ، وقد ألف فيه ثلاث مسرحيات ترضي العواطف الوطنية وهي مصرع كليوباترا وقمبيز وعلى بك الكبير، ومسرحيتين ترضيان العواطف العربية الإسلامية ، وهما مجنون ليلى وعنترة ، وألحق بهما مسرحية نثرية هي أميرة الأندلس . وخلفه عزيز أباظة واتخذ منه إمامًا يتبع خطاه ، فينظم على قيثارة الفصحى مسرحية وطنية هي شجرة الدر ومسرحيات عربية ، هي قيس ولبنى والعباسة والناصر وغروب الأندلس سوى مسرحياته شهريار وقافلة النور وأوراق الخريف .

وعلى هذا النحو ازدهر الشعر العربي في القرن العشرين وازدهرت معه فصحاه إذ وقع الشعراء على قيثارتها مالا يكاد يحصى من الدواوين ذات الاتجاهات الجديدة لا في مصر وحدها بل في جميع أقطار العالم العربي ، سوى ما صاغ لها شوقي وعزيز أباظة من الشعر التمثيلي المسرحي .

وإذا انتقلنا من فصحى الشعر إلى فصحى النثر في القرن العشرين لاحظنا - منذ فواتحه - أن الكتّاب تخلصوا من أسلوب السجع وما كان يثقله من أغلال البديع ، وتحولوا إلى أسلوب مرسل خال من العوائق ، وأخذوا يُمَرِّنونه في موضوعات سياسية واجتماعية وفي أداء

ما يترجمونه من الموضوعات والمعاني الغربية ، وظهر حينئذ خطباءُ وكتابٌ كبارٌ مثل مصطفى كامل ومصطفى لطفي المنفلوطي وأحمد لطفي السيد ، أما مصطفى كامل فكان خطيب الأمة السياسي ، الذي ينازل الاحتلال الإنجليزي منازلة حادة ، ويعد مؤسس الخطابة السياسية في مصر والبلاد العربية ، ونماها بعده سعد زغلول وخطباء الأحزاب السياسية ، واقترنت بها الخطابة القضائية ، إذ نقلنا نظام القضاء الغربي وما يتصل به من المحامين المدافعين عن المُدَّعِين والمتهمين ، ونبغت في الخطابة القضائية طائفة كبيرة من المحامين . ونهضت مصر بهذين اللونين من الخطابة في الأدب العربي الحديث ، فهي التي أتيح لها من بين البلاد العربية أن تنشط فيهما ، إذ كانت الحريات مكبوتة في تلك البلاد بسبب خضوعها للترك أو لفرنسا ، ولم ينقل إليها مبكرًا النظام القضائي الغربي كما نقل إلى مصر .

وأما مصطفى لطفي المنفلوطي فكان محررا في صحيفة المؤيد ، ولم يكن يكتب في السياسة إنما كان يكتب في بعض جوانب حياتنا الاجتماعية مقالات نشرها في تلك الصحيفة بعنوان " نظرات " تحول فيها إلى ما يشبه مصلحا اجتماعيا ، إذ يتحدث فيها عن عيوب المجتمع وما يتصل بها من مساوئ الأخلاق ، ويدعو إلى البر بالفقراء مصورا حياتهم وما فيها من هوان، كما يدعوا إلى التمسك بالفضائل. وهو يعني - في نظراته - بفصحى سلسلة عذبة يتيح لها جرسا حسن الوقع في النفوس ، وظل الشباب في عصره وبعده يعجبون به إعجابًا شديدًا .

وكان أحمد لطفي السيد محرر صحيفة الجريدة ، وكان في مقالاته بها يعنى بتلقين الشعب المصري حقوقه وواجباته السياسية وما ينبغي أن يسود فيه من مبادئ الحرية : حرية الفرد وحرية الأمة وكان لا يزال يحاول تربية الشعب وتعريفه بما ينبغي له من النظم السياسية والاجتماعية السديدة ومن الاستقلال الذي ينزل من الأمة منزلة الخبز والماء. وكل ذلك يؤدي بفصحى جزلة رصينة .

ونمضي بعد الحرب العالمية الأولى في هذا القرن فتنشأ عندنا الأحزاب ويؤسس كل حزب لنفسه صحيفة ينشر فيها آراءه في السياسة والحكم . وأخذت صحف الأحزاب وما عاصرها من مجلات أدبية كالهلال والمقتطف تنقل إلى القراء بحوثا في الأدب والفكر الغربيين ، وألحقت بصحف الأحزاب مجلات أدبية مثل السياسة الأسبوعية والبلاغ الأسبوعي ، ونشطت الكتابات الأدبية ، ويحمل لواءها العقاد والمازني في الكتابات النقدية وطه حسين ومحمد حسين هيكل في المثل العليا في الأدب ونقده - ولعباس العقاد وطه حسين حوار واسع في منزعهما للتجديد مع مصطفى صادق الرافعي الذي كان يحمل راية القديم ويدافع عنه دفاعًا حارا ، وكان سلامة موسى ثائرًا على القديم ثورة عنيفة ويدعو بقوة إلى نبذ كل ما يتصل به من علم وأدب ونظم سياسية ، ولا بأس عنده أن نجعل لغتنا أقرب إلى العامية .

وكان سلامة موسى يقف وحده ، فإن أدباء مصر المجددين من أمثال طه حسين وهيكل وعباس العقاد والمازني كانوا يجمعون على أن يظلوا - ويظل معهم الكتاب في مصر وغير مصر - مع الفصحى الرصينة الناصعة البديعة ، فهم يحرصون على الإعراب وعلى ألفاظ الفصحى السائغة التي تقررها المعاجم ، وهم في هذا الإطار يجددون تجديدًا لا يخرجون به عن أصول الفصحى ، وإنما يثريها وينميها بفكر جديد .

ومما لا ريب فيه أن هؤلاء المجددين العظام من أدبائنا أحدثوا في الفصحى العربية مرونة واسعة وقد أخذت جماعتهم تتكاثر وتتسع لعناصر من الشباب الذين حذقوا اللغات الأجنبية وفقهوا بدقة الآداب الغربية مثل توفيق الحكيم الروائي ومحمود تيمور القصصي بحيث أصبحنا بين الحربين العالميتين الأولى والثانية في هذا القرن نملك أدبا مصريًا عربيًا جديدًا نبت في وطن مصري على أيدي طائفة من المصريين .

وتتطور حياة المصريين العلمية والأدبية بعد الحرب العالمية الثانية تطورا واسعًا لسبب مهم ، وهو أن الجامعات

المصرية أنشأت أجيالا متخصصة في كل فرع من فروع العلم والأدب الغربيين ، ونتج عن ذلك أن أصبحت الفصحى لسانا لكثير من ألوان الأدب والعلم ، ونشأت بيننا طبقة من العلماء تحسن التعبير العلمي والأدبي . واتسعت ترجمة الفكر الغربي ، وحقا كان قد سبق إلى ذلك كبار الأدباء السابقين مثل المازني وطه حسين ومحمد حسين هيكل ، وقد تلاهم الشباب الذين تخرجوا في الجامعات، وأقبلوا على ترجمة الفكر من جميع اللغات الأوربية التي ثقفوها كما أقبلوا على بسط المذاهب الأدبية الغربية من كلاسيكية ورومانسية وواقعية ورمزية وسريالية ، واشتركت معهم في هذه الجهود الخصبة أدباء البلاد العربية من الشباب وغير الشباب .

ونشأ عن ذلك أن أخذت حياة الأدب العربي المعاصر تتصل بحياة الآداب الغربية ، إذ أخذ الشباب في مصر وغير مصر يحاول إحداث نماذج من المسرحيات والقصص تطابق نماذج الغربيين في هذين الفنين على نحو ما هو معروف عن توفيق الحكيم ومحمود تيمور ويحيى حقي ونجيب محفوظ وغيرهم كثيرون ممن يجيدون الفن المسرحي والفن القصصي . وأخذت مسرحيات توفيق الحكيم تترجم إلى اللغات الأجنبية ، وتمثل على بعض مسارح الغرب في فرنسا والنمسا وإيطاليا. وترجم إلى اللغات الأجنبية قصص كثيرة لمحمود تيمور .ويحيى حقي ونجيب محفوظ ولقصاصين آخرين في مصر والبلاد العربية ، وظفرت بعض قصص نجيب محفوظ بجائزة نوبل العالمية ، وهو اعتراف بأن أدبه عالمي إنساني وأن أدبنا العربي يرقى إلى مرتبة الآداب العالمية الحية الكبرى .

وحتى الآن لم أتكلم عن الصحافة وتأثيرها الكبير في الفصحى وقد نشأت عندنا الصحافة في الثلث الأخير من القرن الماضي ، وأخذت تعنى بالشعب وتصوير ميوله وأهوائه السياسية، وكان ذلك تحولا كبيرًا بالفصحى ، إذ كان طال بها العهد في مخاطبة الحكام والأمراء والطبقة المثقفة في الأمة ، وكانت تخاطبهم بلغة مسجوعة تراكمت عليها أعشاب البديع ، وهي

الآن تخاطب الشعب ، فكان طبيعيًّا أن تنفي السجع وأعشاب البديع عن لغتها وتخاطبه بلغة سهلة واضحة يستطيع أن يفهمها توا.

وتصادف أن المطبعة أظهرت محرري الصحف على أعمال أدبية للأسلاف من أمثال ابن المقفع كتبت بأسلوب مرسل ليس فيه سجع ولا بديع ، فتحولوا إلى الكتابة بهذا الأسلوب ، حتى يفهم الشعب ما يريدون أن يقولوه ، وحتى لا يجد مشقة في هذا الفهم .

ويتولى الصحافة والصحف في القرن العشرين محررون نابهون كثيرون أخذوا يبسطون أساليبهم الصحفية تبسيطًا لا ينزل بها إلى مستوى العامة والابتذال ، وفي نفس الوقت لا تعلو عليهم ولا ترتفع بحيث يشعرون بشيء من العسر في قراءتها وفهمها ، أساليب سهلة وواضحة حتى لا يعزفهمها على الطبقات الدنيا في الشعب إذ تريد الصحف أن تذيع وتنتشر في جماهيره . ومن أجل ذلك يحتاج الصحفي دائمًا إلى التبسيط في تفكيره وأسلوبه . وإذا كانت الفكرة التي يريد أن يبلغها إلى الجماهير الشعبية مرتفعة في نفسها حاول بكل ما يستطيع أن يبسطها إلى أقصى حند، حتى تكون واضحة للجماهير ، وحتى لا تجد أي مشقة في فهمها ، ولابد أن يختار لها فصحى سهلة مبسطة غاية التبسيط . ومع تعاقب العقود في القرن الحاضر بلغت الصحافة المصرية من تبسيط الفصحى أقصى حد ممكن .

والصحافة - بذلك - أنشأت لنا فصحى جديدة بين العربية الموروثة والعامية التي نتداولها في حياتنا اليومية ، ففيها فصاحة الأولى ، وفيها سهولة الثانية وقربها من الأفهام . وأتاحت الصحافة المصرية لهذه الفصحى المصرية الجديدة أن تنتشر لا في مصر وحدها بل في العالم العربي جميعه، إذ تقبل عليها الجماهير القارئة في البلاد العربية في لبنان وسوريا والأردن والعراق والحجاز والسودان وبلدان المغرب ، وأصبحت الفصحى الصحفية المصرية هي الفصحى الشائعة في البلاد العربية . وتكثر الصحف في مصر والعالم العربي منذ منتصف القرن الحاضر، حتى ليصدر منها يوميا مئات وتكثر معها

المجلات الأدبية ويبلغ قراء بعض الصحف في مصر مليونا وأكثر ، وأعجب أن يقول بعض الكتاب إننا في حاجة إلى لغة وسطى بين اللغة الموروثة والعامية ، والصحافة قد أوجدت له هذه اللغة وهو والجماهير يحملونها ويقرءونها صباح مساء، ولو جمعت في أي بلد عربي لتكونت منها تلال .

ولم تتفرع من الفصحى في القرن العشرين فصحى الصحافة وحدها ، وقد تفرعت منها فصحى أدبية متنوعة تنوعا واسعا بتنوع الفنون التي استحدثتها مصر في القرن الحاضر ، وفي مقدمتها فن المقالة وقد أُفْرِدَت لها مجلات أسبوعية مثل السياسة الأسبوعية والبلاغ الأسبوعي والرسالة والثقافة ومجلات شهرية مثل الهلال وكانت تعنى المقتطف بعرض الحركة العلمية عند الغربيين وتصوير نظرياتها المختلفة بخلاف المجلات التي سبقتها فقد عنيت بالأدب ومباحث الغربيين العميقة في الفكر والأخلاق والفلسفة والاجتماع والاقتصاد . ومنذ أواسط القرن تتكاثر المقالات في الصحف وتتكاثر المجلات ، ويصبح لكل كلية علمية مجلة .

ولم يكن للفصحى في الماضي سوى المقامات التي تصور مغامرات أديب متسول يخلب سامعيه ببلاغة عباراته ، وكنا قد أخذنا نتأثر بالأدب الغربي ولم يلبث هيكل في العقد الثاني من القرن الحاضر أن كتب قصة اجتماعية طويلة مستضيئًا فيها بالقصص الغربي وتقاليده ، ويكثر بعد الحرب الأولى في هذا القرن الشباب الذين يكتبون الأقصوصة كتابة فنية . ويُكثر محمود تيمور من الأقاصيص والقصص الاجتماعية الطويلة ، ويبلغ الذروة في فن القصة ، ويشاركه في القصة الطويلة طه حسين واصفًا الحياة المصرية المازني متجها في قصصه إلى التحليل النفسي ، ويتكاثر معهم القصاص من الشباب ، ونمضي بعد ثورتنا المصرية فيحدث انفجار في كتابة القصة عندنا سواء من حيث كثرة القصاص أو من حيث كثرة ما ينتجون من القصص بالفصحى ، مما يُصَوِّرُ نشاطا هائلا بفن القصة في القرن العشرين ، ونال الأستاذ

نجيب محفوظ في هذا الفن - كما أسلفنا - جائزة نوبل الأدبية .

ولم تعرف الفصحى فن المسرحية قبل القرن العشرين ، وما تتقدم إلى العقد الثاني من هذا القرن حتى يلمع اسم كاتبين مسرحيين هما فرح أنطون وإبراهيم رمزي دَرَسَا أصول هذا الفن الغربي وألّفَا فيه مسرحيات تاريخية واجتماعية،وتضع الحرب العالمية أوزارها، وينشط التمثيل المسرحي وتؤلّف له مسرحيات اجتماعية مختلفة ، وتنشئ الدولة في سنة ١٩٣٤ الفرقة القومية كما تنشئ المعهد العالي للتمثيل ، ويظهر توفيق الحكيم ، ويثب بالتأليف المسرحي وثبة كبرى ، ويُرْسِي قواعده في النثر كما أرساها شوقي في الشعر ، ويتابع نشر مسرحياته البديعة . وكما حدث بعد الثورة انفجار في فن القصة ، وتكاثر مؤلفوها في مصر وغير مصر حدث انفجار مقابل في فن المسرحية وتكاثر مؤلفوها وتكاثرت المسرحيات .

وواضح من كل ما أسلفت أن الفصحى ازدهرت في القرن العشرين ازدهارًا عظيمًا ، فقد تفرع منها فصحى صحفية مبسطة يحملها الملايين من الجماهير المصرية والعربية يوميًا ، وبث في فصحى النثر كبار الأدباء نضرة ورونقا رائعين . وليس ذلك ما حققته فحسب ، فإنها أدت أداء بديعًا ما استحدثناه من فنون المقالة والقصة والمسرحية وبذلك عاشت - طوال القرن العشرين - في النثر والشعر جميعًا حياة مزدهرة أعظم ما يكون الازدهار وأروعه .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

شوقي ضيف
رئيس المجمع

المعجم العربي الموحّد

للألفاظ الحياة العامة في العصر الحديث (*)

للأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة

ترددت كثيرًا في تحديد عنوان هذا البحث الذي يتناول قضية من أهم القضايا اللغوية التي تواجه العربية في مسيرتها العلمية والأدبية والاجتماعية والتقنية في العصر الحديث . والعربية التي نتحدث عنها هي العربية الفصيحة التي تمثل جوهر وجود أمتنا وهي في الوقت ذاته لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، لغة العروبة والإسلام ... ومنذ أصبحت العربية لغة الوحي الألهي ، فقد انتقلت من كونها لغة أمة من الأمم تصدق عليها نواميس نشوء اللغات وارتقائها واندثارها أو انحلالها إلى لغات أخرى . أقول : انتقلت العربية الفصيحة من حيث ثوابتها إلى كونها لغة خالدة بخلود القرآن الكريم . فالعربية الفصيحة باقية إلى الأبد، طالما بقي في الكون مسلمون مؤمنون بكتاب الله العزيز الذي أنزله الله – سبحانه وتعالى – وحيًا على رسوله الأمين صلوات الله وسلامه عليه، بلسان عربي مبين.

وتتصل هذه القضية اللغوية بمواكبة العربية متطورات الحياة والتعبير عن شؤونها وأدواتها وكل ما يمت لها بسبب في هذا الكون الرحب . فتوقفت مليا عند تحديد طبيعة هذا المعجم موضوع البحث، وتحديد هوية ألفاظه ومفرداته فاتجه الفكر بادئ ذي بدء إلى القول : " ألفاظ الحضارة في العصر الحديث "، ولكنني شعرت بتساؤلات تطفو على الذهن ، منها ما يتعلق بتحديد مفهوم الحضارة ... ومنها ما يتعلق بتعريف أهل الحضارة، والشعوب التي تنتسب إلى حضارة معينة ... وكثرة الشروح والتعريفات اللغوية والاصطلاحية لكلمة " حضارة " . فقيل: الحضارة تعني الإقامة في الحضر وهي خلاف البداوة ، ويقال : فلان من أهل الحضارة أي من سكان المدن والقرى

* ألقي هذا البحث في الجلسة الثالثة يوم الثلاثاء ١١ من ذي القعدة سنة ١٤١٨هـ الموافق ١٠ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٨م

وليس من سكان الخيم.

وإن نظـرة شـاملة في تاريخ هذه المجـتمعات الإنسانية تدلنا على أن هذه المجتمعات متحولة ونامية ومتطورة ، وأن الـتفريق بين الحضارة والبداوة لا يتعدى الـتحديد اللغـوي ، ويصبح الأمر أكثر وضـوحًا عـندما يتناول الحديث صفة الجمع " الحضارات " ومفردها حضارة ، إذ يـتعدى معـناه اللغـوي إلى معـنى اصـطلاحي يعـني مجمـوع الخصائص الاجتماعـية والدينـية والخلقية والتقنية والعلمية والفنية الشائعة عند شعب معين، كالحضارات المصرية القديمة، والصينية وما بـين الـرافدين واليونانـية واللاتينـية والعربـية والأوربـية ... إلخ وإن هـذا المدلـول يشـمل الحياة المادية والروحية للإنسان ...

ونحـن عندما نتحدث عن " ألفاظ الحضـارة " في مشـروعنا المعجمي في الوقـت الحاضر ، فإنما نعني جميع الألفاظ التي يستعملها الإنسان العربي في " حياته العامـة" من مأكل ومشرب وملبوسات ومـا يتعلق بها ... ومن منـزل وأدوات منـزلية وأثاث وما يتعلق بشؤون البيت. وكذلـك أسماء الأماكن العامة والخاصة ومـا يـتعلق بهـا، والمكاتـب وأدواتها وأجهـزتها، والمركـبات وما يتعلق بها ، والحـرف وأنـواع المهـن والصناعات وأدواتها والمواد المستعملة فيها،وكذلك ما يتعلق بالتربية الرياضية وأنشطتها،وجوانب الحـياة الفنية ، ومجالات الترويح والزينة. ويتعدى هذا المدلول ، التعبير عن الأدوات والأشـياء الماديـة إلى التعبير عن الحياة الثقافية العامة التي تنم عن الحس الحضاري والاجـتماعي والذوق الجمالي في التعامل بين الأفراد والجماعات في حياتهم اليومية، وفي لغـة مخـتلف وسـائل الاتصالات الجماهيرية.

ونحـن إذ حدَّدنـا الموضوعات التي يتناولها مشروع معجمنا ، فلا ضير علينا إذا أطلـق علـيه عنوان :" المعجم العربي الموحَّـد لألفـاظ الحياة العامة في العصر الحديـث " أو " المعجـم العربي الموحَّد لألفـاظ الحضارة في العصر الحديث " ، وربمـا كان الأخذ بعبارة " ألفاظ الحياة العامـة " أكثر دقة ووضوحًا وأبعد عن

اللبس الذي تثيره عبارة " ألفاظ الحضارة في العصر الحديث " ..

ومهمـا تكن التسمية التي نختارها ، فـإن " ألفاظ الحياة العامة " أو " ألفاظ الحضـارة" تضرب في جذورها بعيدًا في حـياة أمتـنا في أقاليمها المختلفة . وهي مسـتمرة ونامـية ومتطورة عبر القرون باستمرار الحياة ذاتها ، والحاجة إلى التعبير عن شؤونها وعن كل طارئ جديد . وإن العفويـة وإشاعة الاستعمال والحاجة إلى التعـبير، تكـون الأسس الثابتة في إنشاء الألفـاظ والتعابير الاصطلاحية التي كان الـناس يشعرون بالحاجة إليها في مختلف أقاليمهم ومدنهم وبيئاتهم .

وربما كان من الصواب ، أن ننبه منذ البداية في بحثـنا هذا ، إلى قضية لغوية مهمـة رافقت العربية الفصيحة الموحدة بعـد أن أصبحت لغة القرآن الكريم ولغة الإسـلام في العقيدة والفكر والسياسة . وتتمثل هذه القضية باللبس الذي حدث في فهـم العلاقـة بين لغة الحياة اليومية وألفاظها الدالة على مختلف شؤون الحياة المعيشية ، وبين العامية. فقد خرج العرب، مـن جزيـرتهم ، يرفعون راية الإسلام ، ويحملـون القـرآن الكريم دعوة إنسانية سـامية ، تتساوى أمامها أجناس البشر وألوانهم وأعراقهم ، دون إكراه أو قهر . وقد خرج الصحابة والتابعون ، مجاهدين في جـيوش الفـتح ، معلمين وناشرين مبادئ الإسلام . فكانت حلقات العلم ، وتعلـيم القـرآن الكـريم والسنة النبوية الشريفة تسير جنبًا إلى جنب مع الجيوش الفاتحة . وأصبح تعلم القرآن الكريم وتعلم العربية قراءة وكتابة واجبا على كل مسلم يدخل في هذا الدين الحنيف .... وإن نظرة شـاملة عـلى المدى الذي وصلت إليه الفـتوحات الإسلامية في صدر الإسلام والعصـر الأموي ، تبين لنا مدى الأصالة في تعريب الشعوب المختلفة التي اعتنقت الإسلام . فما إن يمر جيلان أو ثلاثة على أبـناء مـن اعتنقوا الإسلام حتى تصبح العربية لغة التفسير والحديث والفقه، ولغة النثر والشعر والعلم ، كما تحدثنا الوثائق التي بين أيدينا حول تعريب هذه الشعوب ولاسيما تعريب الأندلس .

فمنذ مطلع القرن الثالث الهجري،نجد

أن حركة التعريب قد امتدت في الأندلس لتشمل الطوائف المسيحية التي بقيت محافظة على عقيدتها . وكان من طبيعة الأشياء ، وسنن العمران البشري والامتداد الجغرافي للدولة الإسلامية من حدود الصين والهند شرقًا إلى أطراف أوروبا غربًا ، بشعوبها ولغاتها المختلفة ، أن تتجه الدراسات اللغوية العربية ، إلى تفسير القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، وإلى تعلم العربية في مصادرها الأصيلة في الشعر والنثر والخطابة ... فالنص القرآني هو النص الذي نشأت حوله جميع الدراسات اللغوية والأدبية الأخرى .

وكان الشعر في العصر الجاهلي وفي صدر الإسلام والعصر الأموي ، وكذلك ما حفظ من خطب ورسائل ونثر ، هي المصادر اللغوية الأساسية في تفسير ألفاظ القرآن الكريم وفهم معانيه ... والأمثلة على ذلك كثيرة ، ومنها كتاب " العقد " لابن عبد ربه الأندلسي . فقد ألف هذا الكتاب في أوائل القرن الرابع الهجري بالأندلس ، ومن المعروف أن ابن عبد ربه لم يخرج من الأندلس طيلة حياته ، ومع ذلك فقد اقتصر في اختيار النصوص، على النصوص المشرقية التي لا تتجاوز صدر الإسلام والعصر الأموي . وقد أخطأ الصاحب بن عباد ، في فهم هدف ابن عبد ربه الأندلسي من تأليف "العقد" عندما قال : هذه بضاعتنا رُدت إلينا . إذ كان الصاحب يتوقع أن يقرأ أدبا أندلسيا، في هذا المصنف الأندلسي ، ولكنه وجد فيه النصوص الأدبية المشرقية . وحقيقة الأمر أن ابن عبد ربه ، أراد أن يضع كتابًا تعليميا لأبناء وطنه في الأندلس ، فاختار نصوصا من العربية العالية ، التي تمثل ذروة الفصاحة والبلاغة والإبانة ... فجاء كتاب " العقد " ليمثل أهم المصادر اللغوية والأدبية .

وسارت المؤلفات اللغوية والمعجمية ، منذ وقت مبكر ومنذ معجم " العين " للخليل بن أحمد وهي تعنى بالعربية الفصيحة ، بثوابتها نحوًا وصرفًا وتجويد لفظ ، وبأساليبها التي تنأى عن الدخيل ... والمعاجم التراثية في معظمها يأخذ بعضها عن بعض . وهي في ذلك كله

حريصة على اللغة العربية الفصيحة ، اللغة الجامعــة ، لغــة الــثقافة والفكر والعلم والسياسة .

ومــنذ الــبداية كان إلى جانب لغة الكــتابة في مســتوياتها الأدبية والعلمية المختلفة ، اللغة المحكية بمستوياتها المختلفة أيضًــا . فاللغــة المحكية تختلف عن اللغة المكتوبة في جميع اللغات ، حديثًا وقديمًا . وإن اللغة العربية المحكية لا تعني بالضرورة اللغة العامية، أو بعبارة أدق اللهجة العامية العربية . وإنما تبتعد اللغة المحكية أو تقترب مــن اللغة الفصيحة ، تبعًا لانتشار الثقافة والمســتوى العلمي والفكري في شرائح المجتمع العربي وبيئاته .

وكــان من نواميس العمران البشري ودواعــي شؤون الحياة اليومية في أقاليم الدولــة الإسلامية ، وفي مجتمعات مدنها وقــراها وريفها وبواديها ، أن تعبر اللغة العربــية المحكية عن حاجات الإنسان في حياته المعاشية من مطعومات وملبوسات ومشــمومات وأثــاث وبيوت ومساجد وأدوات وحــرف وصناعات وتجارات ، ودور العلم والمستشفيات (المارستانات) ... إلخ وما كان يعني التعبير عن هذا كله أنــه تعبير بلغة عامية أو يصنَّف في أبواب اللحن . فقد استوعبت العربية ، في تماسها مــع حضارات الشعوب الأخرى كل ما يــتعلق بــأدب الحواس ، مما لا تعرفه في بيئــتها الأصلية . فأخذت من حضارات مختلف الأمم أسماء مأكولاتها ومطعوماتها ومشــروباتها ...إلخ عــلى سبيل التعريب وأدخلــته لغــتها وأجــرت عليه قوانين العربــية. وفي كــثير من الأحيان أضفت عــلى هذه الألفاظ المعجمية رونق العربية ... فهذا رافد أصيل إلى جانب الاشتقاق والمجــاز والنقل والنحت والوضع ، يجعل العربــية لغــة حــية نامية ، عبر مسيرتها التاريخية ، قادرة على التعبير عن حاجات الإنســان العربي وعن كل جديد ، سواء أكان أعجمي المنبت أم عربي المنشأ .

وإن نظرة فاحصة في معاجمنا التراثية العربــية ، تــبين لنا بسهولة أنها قد نأت بنفســها عن تسجيل ألفاظ الحياة اليومية وتعابيرهــا ، لا لــزهد بهــا ولا لاتهام لعجمــتها ولا لِغَمْزٍ لفصاحتها ، ولكن لأنهــا ، على حد ما نراه ، خارجة عن

مناهجها ولا تقع في مجال اهتمامها ، ولا تنتظمها الأهداف التي سعت إلى تحقيقها.
وربما من المفيد في هذا الباب أن نتوقف عن مقدمة ابن منظور جمال الدين أبو الفضل محمد بن المكرم بن علي بن أحمد الأنصاري الخزرجي المصري المتوفى سنة ٧١١هـ في معجمه " لسان العرب " الذي يوصف بحق بأنه "أم المعاجم العربية" جميعًا .

يقول ابن منظور في مقدمته : "وإني لم أزل مشغوفًا بمطالعات كتب اللغات والاطلاع على تصانيفها وعلل تصاريفها، ورأيت علماءها بين رجلين : أمَّا مَنْ أحسن جمعَهُ فإنه لم يُحْسن وضعه ، وأما من أجاد وضعه ، فإنه لم يجد جَمْعَه ".

ثم ينتقل ابن منظور إلى الحديث عن مصادره التي أخذ عنها ، فيحددها بقوله: "ولم أجد في كتب اللغة أجمل من " تهذيب اللغة " لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري . ولا أكمل من " المحكم " لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده الأندلسي رحمهما الله ، وهما من أمهات كتب اللغة على التحقيق ، وما عداهما بالنسبة إليهما ثنيات للطريق .، غير أن كلا منهما مطلب عسر المهلك ، ونَهل وعر المسلك ... فأهمل الناس أمرهما ... وليس لذلك سببٌ إلا سوء الترتيب ، وتخليط التفصيل والتبويب". وبعد هذا التقويم والإشادة بمكانة هذين المصدرين اللغويين ونقد منهجهما ، يتحدث ابن منظور عن الجوهري فيقول :" ورأيت أبا نصر إسماعيل بن حَمَّاد الجوهري ، قد أحسن ترتيب مختصره ، وشهره - بسهولة وضعه- فخف على الناس أمره فتناولوه ... غير أنه في جو اللغة كالذَّرَّة ... وإن كان في نحرها كالدُّرَّة ... وهو مع ذلك قد صحَف وحرّف وجَزَف فيما صَرَّف ، فأتيح له الشيخ أبو محمد بن بري ، فتتبع ما فيه ، وأملى عليه أماليه ، مُخرجًا لسقطاته مؤرخًا لغلطاته ، فاستخرت الله سبحانه وتعالى في جمع هذا الكتاب المبارك ... ولم أخرج فيه عمًّا في هذه الأصول ، ورتبته ترتيب "الصحاح" في الأبواب والفصول "...

وبعد ذلك يحدثنا عن مصدره في الأخبار والآثار والكلام على معجزات

القــرآن الكــريم ، فــيقول :"وقصدت توشــيحه بجليل الأخبار وجميل الآثار ، مضافًا إلى ما فيه من آيات القرآن الكريم، والكــلام على معجزات الذكر الحكيم ، ليتحــلى بترصيع دررها عقْدُه ، ويكون عــلى مــدار الآيــات والأخبار والآثار والأمــثال والأشعار حلّهُ وعقْدُه ، فرأيتُ أبــا السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجَزري،قد جاء في ذلك بالنهاية... " وبعد أن يقــوِّم ابن منظور هذا المصدر المهم ، يــبين مــا أضافه إليه وما أدخله عليه ، فيقول :" ... غير أنه [أي ابن الأثير] لم يضع الكلمات في محلّها ، ولا راعى زائد حــروفها من أصلها ، فوضعت كلا منها في مكانــه ، وأظهرته مع برهانه ، فجاء هذا الكتاب بحمد الله واضح المنهج سهل السلوك ...".

تحدث ابن منظور في مقدمته هذه بأنه جمــع مــا في هــذه المصادر من العلوم واللغــات والشواهد والأدلة ، بحيث يغني بمــا فيه عن غيره ، ويفتقر غيره إليه . إلى أن يقــول : "فجمعت في هذا الكتاب ما تفرق ، وقرنت بين ما غرب منها وبين ما شرق . فانتظم شمل تلك الأصول في هذا المجموع..".

وربمــا يجيب ابن منظور عن التساؤلات حول أهداف وضع هذه المعاجم اللغوية، وحرصــها عــلى تسجيل العربية بنقائها وفصــاحتها ، التي واكبت نزول القرآن الكــريم واستمرت بعده فيما سمي بعصر الاحتجاج ، وذلك بقوله :

" وأنــا مــع ذلــك ، لا أدّعي فيه دَعْوى، فأقول : شافهتُ أو سمعتُ ، أو فعلتُ أو صغتُ ، أو شددتُ أو رحلتُ ، أو نقلــت عن العرب العرباء أو حملت ، فكل هذه الدعاوي لم يترك فيها الأزهري وابــن سيده لقائل مقالا ، ولم يخليا فيه لأحد مجالا ، فإنهما عيَّنا في كتابيهما عَمَّن رويا ...".

ويجمــل ابــن منظور عمله في هذا المعجــم اللغوي الأساسي بقوله :" وليس لي في هــذا الكتاب فضيلة أمتُّ بها ، ولا وسيلة أتمسك بسببها ، سوى أني جمعت فيه ما تفرق في تلك الكتب من العلوم ، وبســطت القول فيه ولم أشبع باليسير ... فمــن وقف فيه على صواب أو زلل ، أو

صحة أو خلل، فعهدته على المصنف الأول ... لأنني نقلت من كل أصل مضمونه ، ولم أبدل فيه شيئًا ... بل أديت الأمانة في نقل الأصول بالنص ... فليعتد من ينقل عن كتابي هذا أنه ينقل عن هذه الأصول الخمسة ...".

ويخلص ابن منظور في مقدمته إلى تحديد هدفه من هذا العمل الجليل ، فيقول: "فإني لم أقصد سوى حفظ أصول هذه اللغة النبوية وضبط فضلها ، إذ عليه مدار أحكام الكتاب العزيز ، والسنة النبوية ، ولأن العالم بغوامضها يعلم ما توافق فيه النية اللسان ، ويخالف فيه اللسان النية ، وذلك لما رأيته قد غلب في هذا الأوان من اختلاف الألسنة والألوان، حتى أصبح اللحن في الكلام يعد لحنا مردودا ، وصار النطق بالعربية من المعايب معدودًا . وتنافس الناس في تصانيف الترجمات في اللغة الأعجمية ، وتفاصحوا في غير اللغة العربية ، فجمعت هذا الكتاب في زمن أهله بغير لغته يفخرون ".

رحم الله ابن منظور ، فعلى الرغم من القرون السبعة التي تفصل بيننا وبينه ... فمازال معجمه " لسان العرب " المرجع اللغوي الأساس عند الباحثين والدارسين في الجامعات ومراكز البحث ...

ونحن في هذا العرض الشامل ، لابد أن نفرق بين معجمات لغوية ، حرصت على تقييد فصيح العربية وانتظام شمل أصولها في مواطنها وبيئاتها الأصلية وعلى ألسنة رواتها وشعرائها وفصحائها والخطباء والكتاب والمترسلين ... وبين الكتب والمصنفات التي ألفت في مختلف مجالات العلوم والفنون والآداب ، واستعملت مصطلحات وألفاظًا ، لم تدخل المعاجم العربية . وإن أي دراسة لغوية جادة ، ستجد في هذه المؤلفات مصدرًا خصبًا للتطور التاريخي الذي طرأ على ألفاظ اللغة العربية ودلالاتها على مر العصور .

فإذا كانت المعاجم العربية التراثية ، التي عنيت بفصاحة اللغة ونقائها لم تسجل ألفاظ الحياة العامة والمصطلحات العلمية ، فإنها لم تنكر وجودها ، ولا قضت بتحريمها ولا تعرضت إلى نسبها . فالألفاظ الأعجمية التي تلوكها الألسن

العربـية ويكثر استعمالها ، تدخل الكلم العربي ، وتصبح عربية الهوية .

ولم تتعرض هذه المعاجم التراثية لمؤلفات المؤرخين والجغرافيين والأطباء والنباتيين والفلكيين والقصاصين ، ومصطلحاتهم ومفرداتهم اللغوية ومستويات أساليبهم التي تقترب من اللغة المحكية . ونحن نعتقد أن ذلك يرجع إلى اختلاف في الأهداف ، فإن ثوابت العربية من حيث الجوهر ومن حيث هي لغة ، كانت القاعدة الأساسية التي يصدر عنها كل نشاط فكري وعلمي وثقافي . ولم تكن العربية في يوم من الأيام بمعزل عن الحياة اليومية والتعبير عن مختلف شؤونها وحاجاتها ، سواء أكانت لغة محكية أم مكتوبة . وإذا كانت اللغة المكتوبة ، قد عنيت من حيث المبدأ بكل ما هو عام ، ويقع بمركز اهتمام الأمة ووحدتها في العقيدة وعلوم القرآن وعلوم الحديث وعلوم اللغة وعلم الكلام والمنطق وعلوم الأوائل ... مستعملة مفردات لغوية ومصطلحات موحدة يفهمها المشتغلون بهذه العلوم والمهتمون بها ، فإن هذه اللغة المكتوبة لم تحجم عن تصوير الحياة الاجتماعية في بيئات ومهن مختلفة ، مستعملة لغاتها ومفرداتها الخاصة بها وإن مؤلفات الجاحظ لاسيما كتابه البخلاء وكتاب الحيوان ، وكتاب البيان والتبيين ، لخير شاهد على استعماله ألفاظ الأطعمة وألفاظ الأشربة ، وألفاظ الملابس ، وألفاظ الموسيقى والغناء، وألفاظ المجون واللهو ، وألفاظ اللعب ، وألفاظ اللهجات الخاصة ، وألفاظ اللصوص.

ولم يتردد الجاحظ في كثير من الأحيان عن الاجتهاد اللغوي بعيدًا عن معجم العربية الذي تعارف عليه اللغويون في ذلك العصر .

وكان ابن المقفع ، منذ بداية العصر العباسي ، قد نحا باللغة المكتوبة منحى لا يبعد كثيرًا عن اللغة المحكية من حيث الألفاظ والتعابير والنظم ، كما نرى ذلك فيما وصل إلينا من مؤلفاته " الأدب الكبير" و " الأدب الصغير " وترجمته لكتاب كليلة ودمنة والفصل الخاص الذي تعزوه معظم الروايات إليه .

ومـــن أهم المصنفات التي تصور لنا بعـــض الجوانـــب من الحياة الاجتماعية والفنية في العصر العباسي ، ويعتبر مصدرًا مهمـــا للتطور اللغوي في ذلك العصر ، كـــتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني . وربمـــا كان من المفيد أن نورد هذا النص من الأغاني ،

يقـــول أبو الفرج : " وقد حدثني الحسين بـــن محمد ... فقال : حدثني هارون بن مخـــارق، قال : حدثني أبي [أي مخارق المغني المشهور] قال : جاءني أبو العتاهية ، فقال: قد عزمت على أن أتزود منك يومًا تهـــبه لي، فما تنشط ؟ فقلت : متى شئت ... فـــلما كـــان من غد باكرني رسوله فجئته ، فأدخلني بيتا له نظيفًا ، فيه فرش نظـــيف ، ثم دعا بمائدة عليها خبز سميذ وخـــل وبقل وملح ، وجدي مشوي . فأكلـــنا مـــنه ، ثم دعـــا بسمك مشوي فأصـــبنا منه حتى اكتفينا، ثم دعا بحلواء ، فأصـــبنا مـــنها وغسلنا أيدينا ، وجاؤونا بفاكهة وريحان وألوان من الأنبذة ، فقال اختر ما يصح لك منها، فاخترت وشربت وصب قدحا ثم قال : غنني في قولي .."[1]

ومـمـــا يجدر ذكره أن هذه المصنفات الأدبية ، كانت تجد طريقها من بغداد إلى قرطبة . فقد ذكرت الروايات أن النسخة الأولى مـــن كتاب الأغاني ، قد وصلت قرطبة قبل أن تطرح في أسواق بغداد ... وهـــذا يعـــني أن الألفـــاظ الحضـــارية والاجتماعية الشائعة في المجتمع البغدادي ، لم تكن غريبة عن الذوق اللغوي الجمالي في المجتمع القرطبي ، في أزهى عصوره .

ونحـــن إذا تحدثـــنا عن الأدب الذي صـــور ألـــوان الحياة الاجتماعية وأدواتها الحضارية، لابد أن نشير إلى بديع الزمان الهمداني ومقاماته ، وأن نتوقف مليًا عند مصنفات القاضي أبي علي المحسن بن علي التـــنوخي ؛ المـــتوفى سنة ٣٨٤هـــ ومن أهمهـــا كـــتابه: "نشوار المحاضرة وأخبار المذاكـــرة " الذي ألفه في عشرين عامًا ، كمـــا تنبئـــنا بعض الروايات ، وكذلك كتابه " الفرج بعد الشدة " الذي ألفه بعد كتاب النشوار .

(١) أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني ، المجلد الثالث ، القسم الأول ، ص ٣٤٦ ، بيروت .

وإن القصص التي أوردها التنوخي في " النشوار " ، تصور لنا كثيرًا من جوانب الحـياة الاجتماعية والسياسية والثقافية في القرن الرابع الهجري ببغداد والبصرة. وقد وصـف كتابه النشوار في مقدمته قائلا: "هـذه ألفاظ تلقطتها من أفواه الرجال ، وما دار بينهم في المجالس ، وأكثرها مما لا يكـاد يتجاوز به الحفظ في الضمائر إلى التخليد في الدفاتر ، وأظنها ما سبقت إلى كتـب مثله ، ولا تخليد بطون الصحف بشيء من جنسه وشكله ، والعادة جارية في مـثله أن يحفظ إذا سُمع ليُذاكر به إذا جـرى ما يشبهه ويقتضيه ، وعرض ما يوجبه ويشهد عليه " (١)

وفي قصصـه وحكاياتـه صور حية للمجـتمع البغدادي ، بل وتعتبر نصوص هـذه الحكايـات مصدرًا مهمًا لدراسة ألفاظ الحضارة العباسية التي يوردها أحيانًا بالتعـبير البغدادي . يتحدث مثلا عن " الـباقلاء" بدون همزة ، فيقول : " فدخل يومًا إلى دهليز داره ، فرأى قشر باقلا " ... ويتحدث عن " البوابين " وعن " الفراش" وعن " الطيار " [وهو نوع من السفن السريعة] وعن " الطَّسْتُ " وعن " المـزملة" و "الخـيازر " وعن " جامة بجاذي " وعن " الجهبد " وعن " الكر " وعـن "البطرك" و"الجاثليق" و"الغرانق" وعـن "القطف" ... وعن " الدخالات" وعـن "الـروز" وعن ألوان الأطعمة ... والأمثلة في هذا المجال كثيرة .

وكذلـك يصـدق الحديث في هذا الـباب عن القصص التي أوردها التنوخي في كـتابه "الفـرج بعد الشدة" وربما لا نعـدو الصـواب، إذا قلـنا إن مؤلفات الجاحظ وكتاب القاضي التنوخي المعنون "نشوار المحاضرة " ، تعتبر من أهم المصادر لدراسـة التطور اللغوي الذي طرأ على العربية في العصر العباسي .

وكان للتمازج الحضاري آثار عميقة في ألفـاظ الحياة العامة في مختلف الأقطار ولاسيما في اللغة المحكية . وكان للحضارة الفارسية آثارها الواضحة ببغداد عاصمة الخلافة . فتحدثنا الروايات عن الأصناف الفارسية في المأكولات والمشروبات

(١) القاضي أبو علي الحسن بن علي التنوخي،نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة،ح ١ - ١٣٩١،٨هـ - ١٩٧١م / ج ١ص ١ .

والمشمومات .. وقد ذكر الجاحظ كثيرًا منها في كتابه " البخلاء " وفي سائر مؤلفاته ... ولا غرابة أن هذه الكلمات المعربة، وقد تداولها المجتمع البغدادي وصقلتها الألسنة ، قد دخلت في لغة الكتابة. فقد أصبحت بالاستعمال والشيوع عربية كسائر الكلام العربي . وتحدثنا الروايات أنه وضع على مائدة المأمون ثلاثمئة لون من الطعام ...!!

ولم تكن هذه الظاهرة مقتصرة على بغداد وعلى الحضارة الفارسية ، ولكنها تشمل جميع مراكز الإشعاع الثقافي في الدولة الإسلامية ، وتختلف في مدى اختلاطها بالأمم الأخرى ومقدار تأثرها بحضاراتها ، وكان للحضارة الفارسية طابع خاص في الحياة الاجتماعية ببغداد عاصمة الخلافة ، ومحط الأنظار . ففي الأندلس مثلا يحدثنا ابن سيده المتوفى سنة (٤٥٨هـ) في كتابه المخصص قائلا : "وعلى هذا ما نشاهد الآن من اختراعات الصناع لآلات صنائعهم من الأسماء كالنجار والصائغ والحائك والملاح "[١].

ولا شك أن " عجمية أهل الأندلس " والعربية الدارجة تركت آثارها في لغة أصحاب المهن والحرف ، مما يؤكد اختلاف الأسماء باختلاف الأقاليم .

إن تعداد المصنفات التي عنيت بتصوير النواحي الاجتماعية وتناولت شؤون الحياة اليومية ، كثيرة . وربما كان من أهم الأعمال اللغوية في هذا الباب ، أن تتبنى مؤسسة عربية مشروع استخراج الألفاظ العربية التي تعنى بألفاظ الحضارة ، من المعاجم والكتب ، كي تكون رافدًا من روافد المعجم الحديث لألفاظ الحياة العامة.

وإن هذه الفكرة لتقودني بالضرورة إلى ذلك المشروع اللغوي الضخم الذي ينتظر إرادة الأمة العربية وتوفير الإمكانات المادية والعلمية لإنجازه على مستوى الوطن العربي ، وهو ما دعوناه بمشروع "الذخيرة العربية " . بإن يجرد التراث العربي ، من خلال دواوين الشعراء وجميع المؤلفات والمصنفات في مختلف فروع المعرفة، ومنذ أقدم ما وصل إلينا ، لتبيان

(١) انظر : أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده، المخصص،ح ١- ٥ بيروت ج ١ ص ٤-٥.

معاني الألفاظ من خلال النصوص ، على مدارج التطور التاريخي حتى الوقت الحاضر... وسيكون هذا المشروع اللغوي، المصدر الذي يقوم عليه مشروع المعجم التاريخي لألفاظ اللغة العربية ، وكذلك مشاريع لغوية أخرى كثيرة ومنها استخراج الألفاظ العربية التي تعني بمسائل الحضارة ... وسيكون رافدًا مهمًا لمعجمات متخصصة حديثة ، تساير العصر الحديث في عملية مستمرة ونامية ومتطورة ...

وإنه لمن المحزن ، كما أشرنا سابقًا ، أن "لسان العرب " لابن منظور ، الذي تفصل بيننا وبينه فجوة زمنية تتجاوز سبعة القرون ، مازال المصدر الرئيس الذي نعول عليه في الوقت الحاضر . وجاء معجم الزَّبيدي الذي سماه " تاج العروس" بعد "لسان العرب" لابن منظور بعدة قرون ، وسار على منهجه واتكأ عليه ، وأضاف إليه مفردات جديدة ... فألفاظ الحضارة أو ما نسميها بألفاظ الحياة العامة مستمرة في حياة أمتنا العربية في أقاليمها المختلفة عبر القرون وباستمرار الحياة ذاتها ، وما تدعو إليه حاجة الأمة أفرادًا وجماعات إلى التعبير عن شؤونها ولوازمها . وقد تشعبت الوسائل وأقحم على العربية المحكية كل دخيل أعجمي وعامي دون تشذيب أو تهذيب ، ودون خطة أو منهج علمي .

وتمت القطيعة بين اللغة المحكية والعربية المكتوبة ، وزادت الفصحى عزلة، وزادت العامية استشراء وانتشارا، وبدأ الحديث عن وضع معاجم للعاميات العربية بين المستعربين في أوربا منذ القرن السابع عشر الميلادي ... ووضعت عدد من المعاجم الثنائية والثلاثية للعربية والتركية والفارسية .

ويحدثنا المستعرب "دوزي " في مقدمة عمله اللغوي الضخم عن تلك المعاجم والمحاولات لوضع معجم للعربية الحديثة بعيدًا عمَّا أسماه " العربية الكلاسيكية"[1]. وقد صدر مؤلف "دوزي" الموسوعي، "تكملة المعاجم العربية " عام ١٨٨١م وقبل وفاة مؤلفه بسنتين ، وكان هدفه أن يتتبع المفردات والألفاظ التي لم ترو في المعاجم العربية ،

فشـــرحها بالفرنسية وأشار إلى مصادرها وفـــق مـــنهج علمي رصين ... وكانت مصادر "دوزي" الأساسية ، كتب التراث المنشـــورة والمخطوطة، التي تناولت شتى الموضـــوعات التاريخـــية وكتب التراجم والـــرحلات والكتـــب الأدبـــية والطبية والعلمية وقصص ألف ليلة وليلة وكتاب الأغاني ... إلخ .

وفي بدايـــة القـــرن العشرين ، وبعد انـــتهاء الحـــرب العالمية الأولى ، وإعلان استقلال الدولة العربية السورية ، انطلقت حـــركة مباركة للتعريب وإعادة السيادة للغـــة العربية الفصيحة في أوطانها . فبدأ التعريب في جميع نواحي الحياة الحضارية والعلمية ... وتأسس المجمع العلمي العربي بدمشـــق ســـنة ١٩١٩م ، وأنشئ معهد الطـــب العـــربي بدمشق ، يدرس جميع موضوعات الطب باللغة العربية ، وكذلك أنشئ معهد الحقوق وأصبحت العربية لغة الـــتدريس الجامعي... وأقبل رجال العلم والفكـــر واللغة على التعريب الشامل في دواويـــن الدولـــة وفي المؤسسات العلمية وفي ألفـــاظ الحياة العامة. وتجاوب رجال الفكـــر العربي في مختلف أقطار العروبة ، لهذه الحركة المباركة في بلاد الشام .

وفي هـــذا العـــرض الشامل للمسيرة التاريخـــية لموضوع ألفاظ الحضارة أو ما سميناه ألفاظ الحياة العامة ، نجد لزامًا علينا أن نشـــير إلى مقـــالات أحمد تيمور التي نشـــرها مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ســـنتي ١٩٢٢م و ١٩٢٣م تحت عنوان: "تفســـير الألفـــاظ العباســـية في "نشوار المحاضـــرة" . وكان الجزء الأول من هذا الكتاب ، قد نشر في ذلك الوقت ، وهو كل ما وجد في خزانة باريس ، على حد تعبير أحمد تيمور.يقول صاحب المقال[1]: "نشوار المحضارة من خير كتب المحاضرات وأمـــتعها ، كنا نسمع به فنشتاقه ونرى نقولا عنه فنـــزيد إليه شوقًا ...".

إلى أن يقـــول : " وقد طالعت هذا الجزء ، فعثرت فيه على طائفة من الألفاظ العباســـية الكثيرة الورود في أخبار ذلك العهـــد، وغالبها لم تتعرض المعاجم التي بأيدينا إلى ذكره ... وإنما قلنا العباسية من بـــاب التغليـــب لأن جلها من الألفاظ الحادثـــة في العصـــر العباسي الأول إما

بالتوليد والتعريب أو بالاستعمال في غير ما وضعت له بضروب من التجوز والتوسع ...". وبعد أن يتحدث أحمد تيمور عن الصعوبات التي جابهته في مثل هذه المباحث ، يقول موضحًا منهجه: "وقد اكتفيت في هذه الألفاظ ببيان أصولها وتوضيح معانيها غير متعرض لحكم استعمالها عند أئمة اللغة ولا ملتزم ذكر ما يقابلها من الفصيح تجنبًا لأيقاظ فتنة نائمة وإثارة جدال عقيم جربناه مرارًا، فلم نفترق فيه على وجه جميل ...".

وربما كان من المفيد أن نورد نصًا من هذا العمل اللغوي الرائد يبين منهجه في البحث . فقد انطلق الباحث من اللغة العربية، يتتبعها من خلال النصوص لتوضيح معناها. فقد تناول كلمتي "التُّنَّاء والأَكَرَة" قائلا : ذكر [أي التنوخي في نشوار المحاضرة ، وهو الجزء الوحيد المعروف في ذلك الوقت] في "ص٤" :في أصناف الناس الذين أورد أخبارهم في الكتاب " التُّنَّاء والمزارعين . وأرباب الخراج والأرضين . والأَكَرَة والفلاحين". التُّنَّاء والأَكَرَة لفظان كادا يكونان خاصين بالعصر العباسي الأول ، ولو تتبعتهما لوجدتهما كثيري الورود في أخباره ، ثم يأخذان في القلة بعد ذلك إلى أن لا ترى لهما أثرًا من الذكر . أما التُّنَّاء بضم الأول وتشديد النون فجمع " تانئ" وقد ورد في قوله (٨٨) وكان أبوه شاهدًا جليلا تانئًا موسرًا ". وورد التُّنَّاء في "أحسن التقاسيم للمقدسي في وصفه لشيراز وأهلها (ص٤٣٠) بما نصه: "ولهم خصائص وصنائع وعقل ودهاء ومعروف وصدقات وبهاء ومشايخ ووجوه وتُنَّاء".

وفي تاريخ الوزراء للصابي "ص٢١٠" أنفذ في درجه كتابًا في جلد يضمن فيه المال والدم وقد شهد فيه جماعة الشهود والوجوه والتُّنَّاء في البلد " . ومعنى التانئ الدهقان أي رئيس القرية وحاكمها . والظاهر أنهم أطلقوه أيضًا على العين من أعيان الزراع وإن لم يكن متوليًا شؤون قريته ، كما يطلق المصريون الآن " العمدة" على دهقان القرية ، وعلى الوجيه السري من أعيان الريف.. أما الأكرة

بفتحتين فجمع أكّار بالفتح وتشديد الكاف وهو الزّرّاع ... إلخ [1] .

ويواصل أحمد تيمور بحثه وفق هذا المنهج اللغوي العلمي ، فيتحدث عن الألفاظ الآتية : أصحاب الستائر والمقيسون، والمتقاينون ، والقمائحيون والمقالون ، والزراق والأنبجات .

وفي تتمة هذا المقال يواصل البحث ، فيتحدث عن الألفاظ الآتية : التفار والمكسود والهيب والزوبينات والنقرة والسكباج [2] .

ثم يتحدث أحمد تيمور عن الألفاظ الآتية وفق المنهج ذاته : الجذر ومخلط خراسان ، والفيج والكيتاني والمتخلف.[3]

ويتابع بحوثه في تفسير الألفاظ العباسية في كتاب " النشوار " في المجلة ذاتها في الجزء السابع وفي الجزء الثامن وفي الجزء الحادي عشر ... هذا مع العلم أنه لم يكن بين يديه إذ ذاك سوى الجزء الأول ، وهو كل ما كان يعرف من كتاب "النشوار". لقد وضع أحمد تيمور ، رحمه الله من خلال هذه البحوث ، منهجًا علميًّا حيًّا.

إنّ القيام بتجريد التراث العربي، من كتب ومصنفات ومعاجم ودواوين لاستخراج الألفاظ العربية التي تعنى بمختلف شؤون الحياة العامة ، وإن إنجاز هذا العمل اللغوي المهم ليقع على عاتق المجامع اللغوية العربية ومراكز البحوث العلمية في الجامعات. وسيكون عند إنجازه مصدرًا مهمًّا من المصادر التي تعيننا على وضع الألفاظ والمصطلحات الجديدة، مما تفتقر إليه العربية في العصر الحديث .

وإن إشارة أحمد تيمور إلى " الفتنة" التي لا يرغب في إيقاظها ، -على حد تعبيره- إنما هي إشارة إلى تيارين كانا محتدمين في ذلك الوقت. فتيار يرى التعبير بالألفاظ الدارجة على الأفواه ولاسيما فيما يتصل بالميدان الحضاري الشامل للحياة العامة، وهذا يعني طغيان العامي والدخيل . وتيار آخر يرى الإفصاح في التعبير عن ذلك كله ، تارة بالتنقيب في مكانز اللغة عن الكلمات العربية التي تدل من قرب أو بعد على ما طرأ من المسميات ، ماديةً كانت أو معنوية ، وتارة باستحداث ألفاظ وصيغ من المادة

العربية الصميمة ، تسد الحاجة إلى التعبير الحضـــاري في حياتنا الراهنة . وهذا ما فصل الحديث عنه عضو مجمع اللغة العربية المـــرحوم محمود تيمور في مقدمة مؤلفه " معجم الحضارة"[1].

إن الإشـــارات التي نتلمسها في هذه المقدمـــة النفيسة تحملنا على الاعتقاد بأن محمود تيمور كتبها في النصف الثاني من عقـــد الخمسينات . وأعلن عن انتصاره للفصـــحى وغلبة تيارها ، فيقول: " ولم يـــبق كـــبير جدال في أننا إلى الفصحى جانحون، وعن الدخيل والعامي متجافون، وحسبنا أن الفصحى هي في يومها الحاضر - كمـــا كانـــت على توالي الحقب ، في حضـــارة العرب- لغة علم ومعرفة للأمة العربية ... لذلك بات من واجبنا أن نمكن لهذه الفصحى ، في ميدان التعبير الحضاري الشامل للحياة العامة : في البيت والمصنع والمـــتجر والســـوق ، حتى يجد الكاتب حاجته منها، سهلا منالها ، حين يتوق إلى الإفضـــاء بمـــا يخطر لفكره من معنى، أو يعـــالج وصـــف مـــا يقع تحت عينه من أداة ...".

وفي خضم هذا الجدال ، يجهر محمود تيمور بدعوته انتصارًا للفصحى فيقول : "حرصـــت عـــلى أن أجهر بالدعوة إلى "تفصـــيح " أدوات الحضارة أو "تحضير" كـــلمات الفصحى ... فتناولت بالبحث والـــنقد مـــا تفرق من ألفاظ في الكتب والصحف وما إليها من المطبوعات ...".

وربما كان من المهم أن نورد هنا ما عرضـــه محمود تيمور الكاتب القصصي والمجمعـــي اللغوي حول ما يخامر مشاعر الكـــتاب من ضيق أمام عجز لغة الكتابة عن التعبير الدقيق عن شؤون الحياة العامة، يقـــول: "فالكاتب يعيا بوصف مخدع أو مائدة أو نحوهما ، إلا أن يختار أحد أمرين أحلاهمـــا مر ، فإما أن يحشد على قلمه الكـــلمات الأجنبية أو العامية ، وإما أن يتخذ للتعبير ألفاظًا فصيحة بجفوة لم تأنس بها الأسماع ".

ونحـــن نعـــتقد أن هذه هي القضية الشائكة. أما معجم ألفاظ الحضارة فهي كـــلمات الحـــياة العامة التي تستعمل في البـــيوت والشوارع وعند أصحاب المهن وفي المدارس والمكاتب ودور الفن واللهو

وغيرها ... وهذه الألفاظ على حد تعبيره: "إنما هي خلايا حية في بنية اللغة العربية، تمبها جديدًا من النمو والثراء والشمول".

ولاشك أن صلة " ألفاظ الحضارة" بجماهير الناس ، على مختلف شرائحهم الاجتماعية وتباين أذواقهم ، تلقي ضوءا على الصعوبات التي تكتنف وضع هذه الألفاظ وإشاعة استعمالها .

ويبدو ، كما أشار صاحب " معجم الحضارة " في مقدمته أن مجمع اللغة العربية بالقاهرة قد تصدى لهذا الموضوع اللغوي الحضاري ، منذ نشأته في الثلاثينيات من هذا القرن . يقول محمود تيمور : "أقبل المجمع على المسميات الدائرة في الحياة العامة، يحاول أن يتخذ لاسمائها الأجنبية بديلا مستمدًا من الكلم الفصاح . ذلك كان منذ سنين أوفت على العشرين ، فاستقبل الجمهور كلمات المجمع في شؤون الحياة العامة بما يستقبل به الداخل فيما لا يعنيه .

أنكر الناس من المجمع أن يراقب أفواههم فيما يتناقلونه من كلمات البيوت والشوارع والأسواق ... ولم يجد المجمع بدًا من أن يترك هذا الميدان العام ، ريثما ينفتح في شأنه وجه من الرأي والتدبير ، وأن يصرف جهده إلى ميادين خاصة، هي مصطلحات العلوم والفنون ، تلك التي تجري في معاهد التربية والتعليم ...".

وفي موقف المجمع حيال هذا التيار الساخر وتقولات المعترضين من أصحاب الأقلام اللاذعة والألسنة الحادة ، يقول صاحب معجم الحضارة: "أمسك المجمع عن ألفاظ الحضارة الدائرة في الحياة العامة، وأغلبها دخيل على العربية غير فصيح ، ولعله أمسك على مضض ، أو لعله أمسك إلى حين ...".

وينتقل محمود تيمور إلى الحديث عن أصالة النزعة إلى العربية الفصيحة في نفوس الناطقين بها ، وأنها كامنة في أذواق أدباء العربية وكتابها . يقول: "لقد أخذ الجمهور ينهض بهذا العبء الذي كان المجمع يريد النهوض به وحده منذ عشرين سنة مضت أو تزيد . ذلك هو الجمهور يضع لنفسه ألفاظ الحضارة عربية فصيحة، فهو يسهم في تحقيق أغراض المجمع مريدًا أو غير مريد، وأولئك هم الكتاب

يشـــيعون مـــن فصيح ألفاظ الحضارة ما يشيعون ...".

وفي هـــذا العـــرض التاريخي الدقيق لمســـيرة "معجم ألفاظ الحضارة" ، يرسي محمـــود تـــيمور قواعد منهجيته في هذا المـــيدان اللغوي، الذي اقترن باسمه رحمه الله، مـــنذ اســـتقبل عضوًا في المجمع سنة ١٩٥٠م، عـــلى حـــد تعبير المرحوم بدر الدين أبو غازي . يقول: "هذه عشرات بـــل مئات من كلمات تتمثل للأعين في الصـــحف السيارة ، والنشرات العامة ، وضـــعها من الكتاب فريق ، فاستعملها مـــنهم فـــريق ، وإذا هـــي مدد في لغة الجمهـــور بين كتاب وقراء... لم يكن لي مـــن عمل في كثير من هذه الكلمات إلا أني أرصدت له بعض الوقت، فتلقفته من هنا وهناك : حفيًا به ، آملاً أن يحله المجمع محلـــه مـــن النظر والتمحيص "... ويختم حديـــثه قائلا : "هذا حصاد الناس وتلك ثمارهم ...".

إنـــه يرى منهجًا متكاملا في وضع المعجـــم الحضاري ، يشارك فيه جمهور الناس وعامة الكتاب والعلماء إلى جانب المؤسسات اللغوية . ونحن نعتقد أن المجامع اللغويـــة العربـــية هي صاحبة الشأن من خـــلال "اتحاد المجامع اللغوية العربية" في الـــنظر والتمحيص وإسباغ الشرعية على المولـــود الجديـــد أمـــام الطغيان الأجنبي الدخيل من ألفاظ الحضارة الحديثة .

ولا شك أن هذا يقودنا إلى ضرورة وضـــع مـــنهج علمي محدد ، للتعبير عن المصـــطلحات الجديدة في ميادين العلوم والفنون وأدوات الحضارة الحديثة .

وبعـــد حوالي عقدين من الانقطاع أعـــاد مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، الكرة لـــلخوض في موضـــوع ألفاظ الحضارة الدائرة في الحياة العامة ، وبعد أن أمسك عنها على مضض ولعله " أمسك إلى حين " على حد تعبير محمود تيمور ، رحمه الله، وجـــاءت الوقائع لتؤكد أنه " أمسك إلى حين" ...

وكان للجنة ألفاظ الحضارة في المجمع جهود خيرة . وتدل الوقائع التي بين أيدينا أن اسم المرحوم الأستاذ محمود تيمور قد اقـــترن بألفاظ الحضارة منذ استقبله مجمع الخالدين سنة ١٩٥٠م .

ويقول الأستاذ بدر الدين أبو غازي في تصـديره " معجـم ألفاظ الحضارة ومصـطلحات الفنون "[1] : "استأثرت ألفـاظ الحضارة بجهد تيمور واستنفدت معظم طاقاته في السنوات الأخيرة . وكان يترصد لكل جديد من الكلم ويلاحق ما يظهر من ألفاظ في الحياة العامة ويحله محل النظر والتمحيص ..." ويشير أبو غازي إلى اهـتمام المجمـع الكبير بألفاظ الحضارة فيقول: "وسرى في هذا الميدان من ميادين عمل المجمع نشاط كبير ، ظل متصلا بعد رحـيل تيمور حين تولى ألفاظ الحضارة المـؤرخ الجليل الأستاذ محمد رفعت ، ثم أعقـبه العالم الأديب الأستاذ محمد خلف الله أحمد ...".

وقـد لا نعدو الصواب ، إذا قلنا : سـار المجمع في إقراره ألفاظ الحضارة ، عـلى غرار منهجه في وضع المصطلحات العلمية في مختلف العلوم والفنون وإقرارها . وساد الاتجاه بالبدء بالمصطلح الأجنبي ، بالإنجليزية والفرنسية ، ثم يوضع ما يقابله باللغـة العربية ، مع شرح واضح ودقيق باللغة العربية ، وقد يكتفي بلفظة أجنبية واحـدة . وتوالـت أعمال لجنة ألفاظ الحضـارة وشملت مصطلحات الفنون في حقـبة من الزمن . وأصبحت لها مكانة مهمـة بين مجموعة المصطلحات العلمية والفنـية الـتي يقـرها المجمع في مؤتمره السـنوي. وربما كان من المفيد أن نورد بعـض المقتطفات مما أقره مؤتمر المجمع في دورته السنوية . ومنها مثلاً : [2]

- المنفضة أو الطفاية Cendrier

الوعـاء الصـغير الذي تطفأ فيه لفائف الدخان وتلقى فيه الأعقاب .

- قطاعة الورق – المقطع

Coupe – Papier, Paper Knife

أداة لفتح الرسائل والصحائف .

- الأريكة (كنبة) Canapé – Sofa

مقعد طويل يتسع لجلوس بضعة أشخاص وله عادة ظهر يعتمد عليه في الجلوس .

- موقد غاز Boutagaz

ذو شعلة أو شعلتين أو أكثر .

ومثال آخر [3] يتناول مصطلحات ألفاظ الحضـارة في صـنعة الكهرباء ، وحرفة تشـكيل الحديـد بالتسـخين والطرق، والسباكة،والرقص،وألفاظ حضارية مختلفة.

وجــاءت ألفاظ صنعة الكهرباء في خمسة وأربعين مصطلحًا ، وألفاظ حرفة تشكيل الحديــد بالتسخين والطرق (الحدادة) في خمسة عشر مصطلحًا ، والسباكة في سبعة وخمسين مصطلحًا ، والرقص في اثني عشر مصطلحًا . وسلك المجمع في هذه القوائم المنهج السابق ، ومنها:

الخامة : Raw Material

المــادة الأولية التي لم تجر عليها عمليات التشــكيل ، أي أنها المادة الأولية قبل أن تعالج . (والخام ما لم يعالج) .

وورد في هذه المجموعة العنوان التالي : ألفاظ حضارية مختلفة (وضعها الأستاذ تيمور)وجاءت في عشرة مصطلحات،ومنها:

- قائد الفرقة الموسيقية Chef d'orchestre

- رصيف (كورنيش) Corniche

الطــريق المرصوف الذي يحف بالبحر أو النهر .

- التجمل Make up

التزويق أو الزواق .

ومــثال آخر من مصطلحات ألفاظ الحضارة التي أقرها مؤتمر المجمع بالاشتراك مــع المجمـــع العلمي العراقي ، في الجلسة الخامســة للمؤتمر بتاريخ ١٩٦٧/٢/٤م. وكــان عددها مئة وأربعة مصطلحات . وجاءت وفق المنهج التالي [١]:

اللفظ الشائع	اللفــظ المقترح الذي وافق عليه المؤتمر	البيـــــان	المصطلح الأجنبي
– تكييف الهواء	تكييف الهواء	عملــية يؤديها جهاز خاص يعدل جو المكان بالتبريد أو التدفئة.	Air conditioning (E) Air conditioné (F)
– الثلاّجة	مُبَرِّدة	صندوق يوضع فيه الثلج لتبريد الأشياء .	Ice Box (E)
– الثلاّجة	الثلاجة	خــزانة محكمة الإغلاق تحفظ ما يوضع فيها من أطعمة ونحوها في جو مثلوج .	Refrigerator (E) Refrigerateur (F)
– الفريزر	المثلجة	مكان في الثلاجة تبلغ في البرودة درجة التثليج.	Freezer

وربمـــا كان من المفيد أن نشير إلى مثال آخـــر في المنهجـــية التي اتبعها المجمع في موضـــوع مصـــطلحات ألفاظ الحضارة القديمـــة . وقـــد جاءت في مئة وأربعة مصـــطلحات ، تحـــت عـــنوان (علم المصريات) (ايجبتولوجي Egyptologie)[1]

وكان منهج المجمع في هذا الموضوع، بـــأن رتب الألفاظ وفق حروف الهجاء اللاتينـــية ، ووضـــعت المصـــطلحات بالفرنسية والإنجليزية والألمانية ، ووضع مقابـــلها المصطلح باللغة العربية . ومن الواضـــح أن المنطلق كان من المصطلح الأجنبي ...

واســـتمر المجمـــع بالقاهرة في هذا العمـــل الدؤوب . وحرصت لجنة ألفاظ الحضارة أن تقدم إلى مؤتمر المجمع في كل عام حصادًا وفيرًا ، وبعد أن توافر لدى المجمع نتاج خصب ، رأى أن يفرد لهذه الجهود الخيرة معجمًا خاصًا أطلق عليه تيمنًا " اسم " معجم ألفاظ الحضارة ".

وقامـــت اللجنة المكلفة بهذه المهمة باســـتعراض قوائم الألفاظ والمصطلحات الـــتي يمكن إدخالها في هذا المعجم ، ثم صنفتها في أقسام شملت الكثير من ألفاظ أدوات الحياة الحديثة وكذلك من ألفاظ الحرف والصناعات والتربية الرياضية ... وقســـمت عمـــلها إلى قسمين : القسم الأول ويشـــتمل عـــلى ألفاظ الحضارة واشتمل أولا: على الثياب وما يتعلق بها والمأكولات.والمنـــزل والأدوات المنـــزلية.

وثانيًا على الأماكن وما يتعلق بها ، والمكتب وأدواته ، والمركبات وما يتعلق بهـــا ، والحـــرف والصـــناعات والمواد المستخدمة فيها .

واشـــتمل الفرع الثالث على التربية الرياضية وعلى ما سمي بألفاظ متنوعة .

أما القسم الثاني فيشتمل على ألفاظ الفـــنون التشكيلية ومصطلحاتها ، وعلى مصـــطلحات الرقص والموسيقا وكذلك على مصطلحات السينما .

ومن الواضح أن مصطلحات الفنون الجمـــيلة جديـــرة بأن تكون في معجم خـــاص بهـــا كما هو الشأن في مختلف العلـــوم. وبالفعل فقد تشكلت في المجمع فـــيما بعـــد لجـــنة خاصة بمصطلحات الفنون.

وأشـــرف على هذا المعجم المرحوم الأســـتاذ بـــدر الدين أبو غازي عضو المجمع، وصدره بكلمة مهمة تلقي الضوء على أهمية هذا العمل اللغوي ، والمراحل التي مر بها . ومن هذه الجوانب المهمة ما يتعلق بالمنهج الذي سلكه المجمع في وضع مصـــطلحات ألفاظ الحضارة وإقرارها .

فقـــد نظـــر إلى معجم ألفاظ الحضارة الحديـــثة ، بأنـــه نوع فريد ، على حد تعـــبيره، بين المعجمات في فروع العلوم المخـــتلفة . فهـــو حصاد جهد سنوات طـــوال لتطويع اللغة العربية لمواجهة كل مستحدثات الحضارة الحديثة . وربما كان مـــن المهـــم أن نلفت الانتباه إلى عبارة "مستحدثات الحضارة الحديث" ، وهي كمـــا نـــراها المهمة الرئيسة التي انبرى لمعالجتها المجمعيون والكتاب والصحفيون ... وتـــأتي قضـــية الإجماع على " ألفاظ الحضـــارة " ، لـــتلقي بظلالها في معترك الشـــيوع والاستعمال وتفاوت الأدوات والأغـــراض ... والســـهولة والصعوبة ، وهويـــة الانتماء إلى العربية الفصيحة أو الدخيل العامي .

ويشـــير أبو غازي إلى هذا السجال المســـتمر ، حول أهدى الطرق وأوضح المـــناهج لاســـتيعاب العربية ما يجد من مصـــطلحات ، فـــيقول في تصديره : "وطالمـــا دار بين المجمعيين سجال حول الوسائل التي يمكن التذرع بها لتزويد اللغة العربـــية بمصطلحات الجديد في ميادين الحضارة الحديثة . فمن المجمعيين من رأى الأخذ من ألفاظ السوق، ما يتفق وقياس العربية واستبعاد ما يخالفها ، ومنهم من نـــاقش فكـــرة أخذ الأسماء التي يطلقها الصـــناع وأصحاب الحرف على آلاتهم وأدواتهـــم دون أن تناقش ونتلمس وجه الصواب فيها ...

ولاحظ بعضهم أن كثيرًا من الفاظ السوق يستخدم في مصر وغير مصر من الـــبلاد العربـــية ، ومعنى هذا أنه قديم وصحيح وإن كانت المعاجم لم ترصده . وأجـــاز المجمعيون في مساجلاتهم القديمة تعريـــب المسميات الإفرنجية ، ورجحوا التعريب على قبول كلمات عربية محرفة. كمـــا تعقبوا استعمال الجمهور لألفاظ عربـــية بحـــتة ساقتهم إليها سليقتهم ...

وأفسحوا السبيل في ألفاظ الحضارة إلى الاشتقاق الذي يقبله الناس ...

ولا شك أن هذه القضايا جميعها ، التي أوردها المرحوم أبو غازي ، قد وجدت طريقها إلى مجال الحوار والمساجلات ، وعلى صفحات الجرائد والمجلات ... وفي جميع الأحوال لا تعدم من ينتصر لهذا القول أو لذاك .. ونحن نعتقد أن جميع هذه الأفكار المهمة تسهم في وضع منهج علمي سليم يتصف بالحيوية والمرونة ويكفل إرساء القواعد العامة لوضع معجم عربي موحد لألفاظ الحضارة في العصر الحديث .

وكان للجهود الفردية للعلماء والكتاب والباحثين ، آثار مهمة في ميدان ألفاظ الحضارة في العصر الحديث . وأرى من الواجب أن تؤخذ هذه الجهود في الحسبان في مرحلة الجمع والاستقصاء وفي إطار خطة شاملة ومتكاملة لوضع معجمنا العتيد ، المعجم العربي الموحد لألفاظ الحضارة في العصر الحديث . ويحضرني في هذا المجال ذكر معجمات ألفاظ الحياة الاجتماعية في دواوين الشعراء ، ومعجمات ألفاظ الحياة الاجتماعية في أدب أهم الكتاب العرب قديمًا وحديثًا، وسلسلة المعاجم التي أعدها المجمعي الجليل الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله ، بالرباط في مختلف المهن والحرف، وإن كان قد اقتصر في منهجه على البدء بالألفاظ الفرنسية ووضع مقابلاتها العربية ، ونذكر أيضًا العمل القيم الذي أنجزه العالم التونسي الدكتور أحمد ذياب في " أدوات الحضارة" ، وما احتواه من صور الأدوات الجراحية لتوضح الأدوات كلما عرضت على عامة المثقفين وأهل الاختصاص .

وخلاصة القول ، فإن فكرة وضع معجم عربي شامل لألفاظ الحضارة في العصر الحديث ، كانت تراود مؤسساتنا اللغوية والعلماء والكتاب الغيارى على لغة أمتهم ، اللغة الجامعة ، لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، لغة العروبة والإسلام منذ مطلع هذا القرن . وإن الجهود الخيرة التي أشرنا إليها في هذا الحديث الشامل لهي لبنات مهمة في بناء المعجم الموحد لألفاظ الحضارة ... وكان

للأفكـــار الـــتي طرحت على مدي هذا القـــرن، والجهـــود التي أنجزت في هذا الميدان اللغوي الحضاري العروبي ، آثارها العميقة في القرار الذي اتخذه اتحاد المجامع اللغويـــة العربـــية بوضع المعجم العربي الموحـــد لألفـــاظ الحضـــارة في العصر الحديـــث وذلك في اجتماعه الذي عقد بالقاهرة في آذار (مارس) سنة ١٩٩٧م، في مقـــر الاتحـــاد بمجمع اللغة العربية ، برئاســـة رئـــيس الاتحاد الأستاذ الجليل الدكتور شوقي ضيف . فقد رأى مجلس الاتحاد أن يتولى كل مجمع وضع مشروع لمعجم ألفاظ الحضارة في قطره ، وترسل مشـــاريع المعجمات جميعها إلى الاتحاد ،لإدخالهـــا في الحاســـوب ، والانـــتهاء بإصـــدار معجـــم عربي موحد لألفاظ الحضارة في العصر الحديث على مستوى الوطن العربي .

لقد شغلني موضوع " معجم ألفاظ الحضـــارة " مـــنذ سنين ، ويحزنني عدم وجـــود معجم أو مصدر عربي يمكن أن يعود إليه الكاتب العربي أو متعلم العربية من غير الناطقين بها ، إذا ما أراد أن يعبر عـــن حاجـــات الحـــياة العامة وأدواتها الحضـــارية ، بلغـــة عربية سليمة . وهنا يلـــتقي الكاتـــب القصصي والصحفي والإذاعـــي في مختلف وسائل الاتصالات الجماهيريـــة وكذلـــك مؤلفـــو الكتب المدرســـية والمـــربون والمســـؤولون في الـــنقابات المهنـــية والحرفية عن التطور الـــثقافي والمهـــني بـــين أصحاب المهن والحـــرف ... إنهـــم جمـــيعًا يلتقون في شـــعورهم بعـــدم وجود معجم موحد يمدهم بسهولة ويسر ، بما يريدون التعبير عنه من مصطلحات مهنهم وألفاظ الحياة العامـــة ... ولـــذا نرى طغيان العاميات والألفـــاظ الأجنبـــية على أقلام الكتاب والمذيعـــين ، إذا اســـتثنينا بعض ذوي الاجـــتهاد والغيرة على العربية ووحدة ثقافتها ...

وإذا نظرنا حولنا إلى الأمم المتقدمة، نجدهـــا قـــد عنيـــت أشد العناية بلغاتها القومية ، ووفرت جميع الإمكانات المادية والفكـــرية لخدمـــة أهدافها ... فوضعت المعـــاجم اللغويـــة بأنواعها ومستوياتها المخـــتلفة ووضـــعت المعجمات العلمية

المتخصصة . وحرصت على أن تشمل معجماتهـــا العامة الألفاظ التي تعبر عن حاجات الحياة العامة ، التي يحتاجها كل مواطن في حياته اليومية .

وربما كان الواجب يقضي علينا أن نـــنظر إلى وضع " المعجم العربي الموحد لألفاظ الحضارة في العصر الحديث "، من خلال هذه الأبعاد التي أشرنا إليها ، ومن خـــلال تجارب الأمم المتقدمة التي سبقتنا في هـــذا المضـــمار . وإن الخـــبرة في الحاســـوب وبرمجياته واستعمال التقنيات الحديـــثة المتقدمة ، لتحتل مكانة أساسية في تنفـــيذ هذا المشروع اللغوي العربي ، على مستوى الوطن العربي . وإن الهدف الذي نحدده لأنفسنا يمكن أن نجمله بأن نصدر معجمًا عربيًا لألفاظ الحضارة في العصر الحديث ، بحيث لا يتعدى المدلول الواحد اللفظة أو اللفظتين . ولا يدور في خلدنا أن تفرض ألفاظ هذا المعجم فرضًا قهريًا على ألسنة وأقلام الكتاب ، ولكن لـــيكون مرجعًا يسهل الوصول إليه إلى كـــل مـــن يريد أن يفيد منه في مختلف الشـــؤون الثقافـــية ولاسيما فيما يتعلق بوسائل الاتصالات الجماهيرية التي باتت تـــتجاوز أقطارها المحلية إلى أقطار الوطن العربي بل وإلى الناطقين بالعربية في العالم أجمع .

ونحن نرى أن أهداف هذا المعجم ، وطبيعة تكوينه ، تجعله يختلف كثيرًا من حيث المنهج عن الأعمال المهمة السابقة. فـــتلك الأعمال تكون رافدًا من روافده المهمة .

لاشك أننا أمام عمل لغوي كبير ، جعله اتحاد المجامع اللغوية أحد أهدافه في رعاية العربية وتقدمها بل ورعاية وحدة الأمـــة العربـــية وتوطيد دعائم وحدتها الثقافية . وإن من أهم مقومات نجاح هذا العمـــل ، أن يؤمن القائمون عليه بأهميته والشعور بالحاجة إليه .

لقـــد اســـتجاب مجمع اللغة العربية الأردني ، لقـــرار اتحـــاد المجامع اللغوية العربـــية. ونـــاقش مجلـــس المجمع هذا الموضـــوع، ووســـائل تنفـــيذه في عدة جلســـات . وألف لجنة خاصة بمشروع المعجـــم العربي الموحد لألفاظ الحضارة برئاســـة رئيس المجمع وعضوية ستة من

أعضائه . وعقدت اللجنة اجتماعها الأول مساء الأربعاء ١٤١٨/٢/٢٧هـ الموافق ١٩٩٧/٧/٢م . وتوالت الاجتماعات لبحث هذا المشروع اللغوي المهم . وقد خلصت إلى الأفكار التالية :

أولا: إن وضع معجم عربي موحد لألفاظ الحضارة في العصر الحديث ، عمل لغوي وقومي جليل . وإن هذا العمل الجماعي الذي تبناه مجلس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية ، والذي سينجز بصورة جماعية على مستوى الوطن العربي ، ليحتم علينا وضع خطة عمل موحدة يصدرها اتحاد المجامع ، وتلتزم بها المجامع اللغوية والمؤسسات العربية التي ستشارك في إنجاز المعجم الحضاري ، وذلك توخيًا لدقة المعلومات وتوحيدًا لمنهج العمل . ومن الضروري أن تحدد هذه الخطة أهداف المشروع والمدة التي يحتاج إلى إنجازه .

ثانيًا : يهدف المشروع إلى أن يقوم كل مجمع من مجامع اللغة العربية بحصر أقصى ما يستطيع حصره من ألفاظ الحضارة والحياة الاجتماعية في قطره . ويعمل كل مجمع على تخزين هذه الألفاظ في الحاسوب وفق منهجية واضحة ودقيقة على مستوى الوطن العربي .

ثالثًا : بات من الضروري أن تحدد منهجية العمل التي يصدرها الاتحاد ، حجم العمل ومجالاته . فالحضارة موضوعاتها شاملة للحياة الاجتماعية ، وحصر مفرداتها يقتضي منا تقسيمها إلى مداخل موضوعات ومجالات إذا أردنا الشمول . فألفاظها ليست محصورة في مسميات الأدوات وإنما تتناول الألفاظ الدالة على الحياة الاجتماعية بمختلف محاورها .

رابعًا : الحاسوب جهاز أساسي وضروري في جميع مراحل هذا المشروع، لأنه يسهل عمليات التخزين والاسترجاع والفرز وما إلى ذلك .

وفي ضوء هذه الأفكار والمعطيات المتوافرة لدينا حول هذا المشروع اللغوي القومي المهم ، خلصنا إلى التصور التالي ، في خطوطه العريضة .

يهدف مشروع المعجم العربي لألفاظ الحضارة في العصر الحديث ، إلى

وضـــع معجـــم لألفظ الحياة العامة في الوقت الحاضر. ويمر هذا المشروع بثلاث مراحل:

المرحلة الأولى : القيام برصد جميع ألفاظ الحضـــارة المستعملة في كل قطر عربي، وتخزينها في الحاسوب وفق منهجية معينة . ويكـــون للمـــبرمج الحاسوبي دوره . وتخزن أيضًا جميع ما أنتجته المجامع اللغوية العربـــية من ألفاظ الحضارة ، وما نشرته من معجمات في هذا الباب .

المـــرحلة الثانـــية : تقوم لجنة من الخبراء بدراســـة الألفـــاظ الحضارية التي جرى تخزيـــنها في الحاســـوب ، وفق منهجية معيـــنة، عـــلى مستوى القطر الواحد . وتنـــتهي بمشروع لألفاظ الحضارة ، لا يتجاوز المدلول الواحد اللفظتين .

المـــرحلة الثالـــثة : ترفع المجامع اللغوية العربـــية عمـــلها إلى رئيس اتحاد المجامع اللغويـــة ، وتخزن جميع هذه المشاريع في الحاسوب وفق منهج معين يحدده خبير في برامج الحاسوب . ويكلف اتحاد المجامع خبراء من مختلف الأقطار العربية لدراسة وغـــربلة هذه المشاريع ، والوصول إلى معجم موحد، لا يتجاوز المدلول الواحد مـــنه اللفظتين . ويعتمد الخبراء في منهج اختـــيارهم الألفاظ ، قواعد عدة ، منها الشـــيوع والفصاحة ·والسهولة وما هو موجود في التراث ، ومعايير أخرى يتفق عليها .

وفي ضـــوء ذلـــك انطلقـــت لجنة مشـــروع المعجم العربي الموحد لألفاظ الحضارة في مجمع اللغة العربية الأردني إلى تحديـــد معـــالم تنظـــيم هذه العملية ، وخلصت إلى ما يلي:

تكون لجنة " مشروع معجم ألفاظ الحضارة " ، التي ألفها مجلس المجمع لجنة توجيهـــية ، لإنجـــاز هـــذا المشروع في الأردن. ويقسم العمل على أربعة مراكز، تنـــتظم جغرافيًا وسكانيًا الأردن بكامل مـــناطقه ، وجمـــيع شرائحه الاجتماعية وهي : مركز الجامعة الأردنية ، ومركز جامعة اليرموك، ومركز الجامعة الهاشمية، ومركز جامعة مؤتة .

ويتألف كل مركز من لجنة ومجموعة مـــن الباحـــثين . وتتألف كل لجنة من الـــلجان الأربع من رئيس وعضوين من

أعضاء هيئة التدريس والمتخصصين . وتكون مهمتها اختيار الباحثين وتحديد عددهم ورسم خطة العمل ، والإشراف عليها ، وتمحيص المعلومات وتقديم ذلك كله إلى الهيئة العامة .

وتتكون الهيئة العامة للمشروع من أعضاء لجنة مشروع معجم ألفاظ الحضارة ورؤساء المراكز الأربعة ، وتجتمع بشكل دوري لمتابعة تنفيذ العمل.

ويحرص المجمع على أن يتمتع رؤساء المراكز والباحثون بروح عمل الفريق وحسن التفاهم ، والإيمان الصادق بأهمية المشروع ، والرغبة الأكيدة في إنجاحه.

وقد وضعت اللجنة ، النموذج الذي سيوزع على الباحثين على الوجه التالي:

بسم الله الرحمن الرحيم

مجمع اللغة العربية الأردني

مشروع معجم ألفاظ الحضارة

١- اسم الموقع	٢- البيئة	٣- المهنة	٤- المجال	٥- الموضوع

٦- المصطلح (مضبوطًا بالشكل)	٧- تعريف المصطلح : ....
٨- أصل المصطلح	٩- توضيح المصطلح بالرسم عند الضرورة
١٠- اسم الباحث : .... توقيعه :	

ويفهم من المجال : البيت والمدرسة والمسجد والشارع والحقل / المزرعة ، والجامعة/ الكلية ، والمستشفى/ العيادة، والمختبر، والمركز الصحي ، والمصنع/ المشغل، والدائرة الحكومية، والمتجر، والفندق ، والمقهى ، والملهى ، والمتحف

والكنيسة والنادي والمرآب ومؤسسات الرعاية الاجتماعية ، والمهن بأنواعها والمواد، والآلات والمعدات ، والنشاط الرياضي ، والمكتبات والمسرح والعلاقات الاجتماعية ... إلخ .

ويفهم من الموضوع ما يشتمل عليه المجال ، فموضوعات البيت مثلاً : أنواعه، أجزاؤه ، محتوياته (الألبسة ، المطعومات، المشروبات، الأثاث ، الأدوات ... إلخ).

وخلاصة القول ، فإن هدف هذا المشروع هو جمع ألفاظ الحياة العامة المستعملة في مختلف جوانب حياتنا في الأردن ، وضبطها وتصحيحها وتفصيحها ، وإقرار مصطلح واحد أو مصطلحين اثنين للمفهوم الواحد ، وتقديم المشروع الأردني لمعجم ألفاظ الحياة العامة إلى اتحاد المجامع اللغوية العربية للوصول ، إن شاء الله ، إلى وضع معجم عربي موحد لألفاظ الحياة العامة في العصر الحديث على مستوى الوطن العربي . ونسأله تعالى الرشاد والتوفيق.

عبد الكريم خليفة

عضو المجمع من الأردن

المصادر والمراجع

١- ابن منظور ، لسان العرب ج١-٦ ، دار المعارف ، القاهرة .

٢- أبـــو الحســـن عـــلي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده (المتوفى سنة ٤٥٨هـــ) ، المخصص .

٣- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (١٥٠هـــ - ٢٥٥هـــ) ، البيان والتبيين ، ج١-٤ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، القاهرة ، ١٣٨٠هـــ ١٩٦٠م .

٤- أبـــو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، كتاب الحيوان ، ج١-٨ ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، بيروت ، ١٤٠٨هـــ - ١٩٨٨م .

٥- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، كتاب البرصان والعرجان والعميان والحولان، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون بغداد سنة ١٩٨٢م .

٦- أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ ، رسائل الجاحظ ، ج١-٤ ،القاهرة .

٧- أبو علي المحسن بن علي التنوخي (المتوفى سنة ٣٨٤هـــ) ، الفرج بعد الشدة ج١-٤ ،تحقيق عبود الشالجي ، بيروت ، ١٣٩٨هـــ - ١٩٧٨م .

٨- أبو علي المحسن بن علي التنوخي (المتوفى سنة ٣٨٤هـــ)، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، ج١-١٠ ، تحقيق عبود الشالجي، بيروت ١٣٩٨هـــ - ١٩٧١م.

٩- أبو الفرج الأصفهاني ، كتاب الأغاني / ج١-٢١ ، بيروت ، ١٩٥٥ .

١٠- أبـــو منصور الجواليقي موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر (٤٦٥هـــ - ٥٤٠ هـــ)، المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم ، دمشق ، ١٤١٠هـــ - ١٩٩٠م .

١١- أحمد ذياب ، أدوات الحضارة ، منشورات (جيم) JIM .

١٢- إسماعيل بن حماد الجوهري ، الصحاح ، ج١-٦ ،الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٣٩٩ هـــ - ١٩٧٩م .

١٣- بديع الزمان الهمذاني ، المقامات ، بيروت ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

١٤- بطرس البستاني، محيط المحيط ، بيروت ، ١٩٧٧م .

١٥- بيدبا الفيلسوف الهندي ، كتاب كليلة ودمنة ، ترجمة عبد الله بن المقفع ، بيروت، سنة ١٩٧٨م .

١٦- تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي المقريزي (المتوفى سنة ٨٤٥هـ) ، كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية ، ج[١-٢] ، بيروت.

١٧- رشيدة عبد الحميد أحمد اللقاني ، ألفاظ الحياة الاجتماعية في أدب الجاحظ ، الطبعة الأولى ، جامعة الملك سعود ، ١٤١٤هـ (١٩٩٣م) .

١٨- شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء الشامي المقدسي المعروف بالبشاري ، كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، الطبعة الثانية ، ليدن، سنة ١٩٠٦م .

١٩- شهاب الدين أحمد بن إدريس الصنهاجي المعروف بالقراقي (٦٢٦هـ - ٦٨٤ هـ) ، تحقيق د.عثمان محمود الطلبي ، مجلة جامعة أم القرى ، السنة العاشرة ، العدد الخامس عشر ، عام ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م ص ١٧٩-٢٥٢ .

٢٠- عبد العزيز بنعبد الله ، معجم الألوان(فرنسي - عربي) سلسلة المعاجم رقم (٥)، الرباط ، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م .

٢١- عبد العزيز بنعبد الله ، معجم الألوان (فرنسي - عربي) سلسة المعاجم رقم (٦)، الرباط ، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م .

٢٢- عبد الله بن المقفع ، الأدب الصغير والأدب الكبير ، بيروت .

٢٣- محمود تيمور ، معجم الحضارة، الطبعة الأولى، القاهرة ، ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م.

٢٤- مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ، العدد (٣٦) عبد الكريم خليفة ، حول معجم موحد لألفاظ الحضارة في الوطن العربي ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

٢٥- مجلة اللسان العربي ، المجلد السابع ، محمود تيمور ، الجديد في ألفاظ الحضارة ، ص١٦-١٩ ، الرباط .

٢٦- مجلة اللسان العربي ، العدد الثالث ، علال الفاسي ، فعالية اللغة العربية ، ص٨-٢٦، الرباط .

٢٧- مجلة اللسان العربي ، المجلد التاسع ،محمود تيمور ، ألفاظ الحضارة لعام ١٩٧١م، ص ٤٠٥-٤١٠ ، الجزء الأول ، الرباط .

٢٨- مجلة اللسان العربي ، العدد السادس والثلاثون ، أحمد شفيق الخطيب ، ألفاظ الحضارة بين العامي والفصيح ص ١٦١ - ١٧٣ ، الرباط .

٢٩- مجلة المجمع العلمي العربي ، دمشق ، المجلد الثاني ، ج كانون الثاني سنة ١٩٢٢م - جمادي الأولى سنة ١٣٤٠هـ إلى ج[١٢] كانون الأول سنة ١٩٢٢ الموافق ربيع الثاني سنة ١٣٤١هـ .

٣٠- مجلة المجمع العلمي العربي ، دمشق ، المجلد الثالث والرابع، ج١ في ١ك[٢] ،سنة ١٩٢٣م الموافق ١٤ جمادى الأولى سنة ١٣٤١هـ إلى ج[٩]،من المجلد الرابع، أيلول سنة ١٩٢٤م الموافق صفر سنة ١٣٤٢هـ .

٣١- مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، المعجم الوسيط .

٣٢- مجمع اللغة العربية ، معجم ألفاظ الحضارة ومصطلحات الفنون ، القاهرة، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م / تصدير وإشراف الأستاذ بدر الدين أبو غازي .

٣٣- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع ، المجلد الرابع ، القاهرة، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م / ألفاظ الحضارة ، ص ١٢٥-١٣٦.

٣٤- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع ، المجلد السابع ، القاهرة ، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م / مصطلحات ألفاظ الحضارة ، ص ١٠٨-١٢٠ .

٣٥- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع ، المجلد السابع ، القاهرة ، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م / مصطلحات ألفاظ الحضارة ، ص ٦٧-٧٧ .

٣٦- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع ، المجلد العاشر ، القاهرة ، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م / مصطلحات ألفاظ الحضارة القديمة ، ص ١١٦-١٢٦.

٣٧- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع ، المجلد الثاني عشر ، القاهرة، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م/ مصطلحات ألفاظ الحضارة ، ص٩٥-١٠٠.

٣٨- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع ، المجلد الثالث عشر ، القاهرة، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م/ مصطلحات ألفاظ الحضارة ، ص ٣٥-٣٩ .

٣٩- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع ، المجلد الرابع عشر، القاهرة، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م/ مصطلحات الحضارة ، ص ٣٧-٤٣ .

٤٠- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع ، المجلد الخامس عشر ، القاهرة ، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م .

٤١- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع ، المجلد السادس عشر ، القاهرة ، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م/ ألفاظ الحضارة القديمة والوسطى .

٤٢- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع ، المجلد السابع عشر، القاهرة، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م/ ألفاظ الحضارة الحديثة ، ص ١١٧- ١٢٥ .

٤٣- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع ، المجلد الثامن عشر ، مصر ، ١٩٧٦م/ ألفاظ الحضارة الحديثة ، ص ٢١-٢٧ .

٤٤- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع ، المجلد التاسع عشر ، القاهرة ، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م/ ألفاظ الحضارة الحديثة - ألفاظ في الرياضة البدنية ، ص ١٣-١٦ .

٤٥- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع ، المجلد العشرون ، القاهرة، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م/ من ألفاظ الحضارة الحديثة - مصطلحات في التربية الرياضية / ص ١١٣ .

٤٦- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع ، المجلد الحادي والعشرين ، القاهرة ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م/ ألفاظ الحضارة الحديثة (في التربية الرياضية) ص٨٧-٩٠ .

٤٧- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع ، المجلد الثاني والعشرون، القاهرة ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م/ ألفاظ الحضارة الحديثة ،ص٦٩-٧٣ .

٤٨- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع ، المجلد الثالث والعشرون، القاهرة ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م/ من ألفاظ الحضارة (مصطلحات في الطباعة) ص٧٣-٧٨ .

٤٩- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع ، المجلد الثامن والعشرون ، القاهرة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م/ من ألفاظ الحضارة (مصطلحات في المسرح)، ص٣١١-٣١٩ .

٥٠- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع ، المجلد الثاني والثلاثون، القاهرة ، سنة ١٩٩٣م/ مصطلحات في ألفاظ الحضارة ، ص٣٢٩-٣٦٥ .

٥١- ندى عبد الرحمن يوسف الشايع ، معجم ألفاظ الحياة الاجتماعية في دواوين شعراء المعلقات العشر ، بيروت ، سنة ١٩٩١م .

٥٢- R. DOZY. SUPPLEMENT AUXDICTIONNAIRES ARBES, LEIDEN, 1881 .



القاموس المغربي في رحلة ابن بطوطة(*)

للأستاذ الدكتور عبد الهادي التازي

كان أبرز حدث تراثي كتب في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي على صعيد العالم الإسلامي والعربي هو الحدث الـــذي تمثل في التأليف الرائع الذي أنجزه شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن بطوطة في رحلته : تحفة النظار ... التي تعتبر اليوم الرحلة الأولى في تاريخ البشرية جمعاء.

ولقـــد كـــان في صدر ما اهتم به الباحـــثون الذي عُنوا بهذا العمل الجليل سواء عند الخطوات الأولى عندما اكتشفوا مختصـــراتها أو عند الخطوات الثانية عندما توفروا على النص الكامل للرحلة ، أقول في صدر ما عنوا به قضية اللغة المستعملة في الـــرحلة ، وكذا الأسلوب الذي كان يعبر به هذا الرحالة عن أفكاره وتصوراته حيث قرأنا لبعضهم مقارنات ومفارقات بـــين أسلوب ابن بطوطة المتميز عندهم بالوضوح والجلاء وبين أسلوب ابن جبير مثلاً الذي وجدوا فيه نوعًا من الغموض والخفاء .

وقد كان في مقدمة الملاحظات التي برزت واضحة فيما يتصل بلغة الرحلة أن الـــرحل احتفظ لنا بطائفة من الكلمات والمفردات التي لا تنتمي فقط إلى المعجم العربي ، وهكذا وجدنا أن الرحالة المغربي -على نحو ما كان من المَقدسي- ينتبه إلى وضع قواميس محلية لمختلف البيئات التي اتصـــل بهـــا أثناء رحلته حتى يُعرّف قراء اللغـــة العربية بالألفاظ المختلفة من مكان إلى مكان، بل إنه أي ابن بطوطة ، كان يُرجع بعض تلك الكلمات والمفردات إلى أصولها في أكثر الأحيان ، وقد وصل عدد الكـــلمات الأجنبـــية التي استعملها ابن بطوطـــة إلى نحو من ستمائة كلمة ، كنا نلاحـــظ ابن بطوطة أثناء استعمالها يقوم بتأصـــيلها ، كما أشرنا . وبذلك أعطانا فكـــرةً عن الحياة اللغوية في القرن الثامن الهجري، ونظرًا لأهمية هذا الجانب اللغوي في الـــرحلة فإنه لم تفتني الإشارة إليه في عـــدد مـــن المقـــاطع عـــند تحقـــيقي

* ألقى هذا البحث في الجلسة الثالثة يوم الثلاثاء ١١ من ذي القعدة سنة ١٤١٨هـــ الموافق ١٠ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٨م.

الرحلة(*) سواء عند تعليقاتي على النص أو عند صياغتي للمقدمة ...

ومن الإنصاف أن أشيد هنا بالجهود المبذولة من لدن بعض العلماء العرب الذين تتبعوا لغة ابن بطوطة وتناولوها بالبحث والتمحيص .

وأذكر في صدر هؤلاء زميلنا الراحل عضو المجمع العلمي العراقي الأستاذ الدكتور سليم النعيمي الذي خصص بحثا قيما لهذا الموضوع نشره على التتابع في ثلاث مجلدات في مجلة المجمع العلمي العراقي رقم 24 و 25 و 26 بتاريخ 1394= 1974 - 1395 = 1975 .

لقد حلق الأستاذ النعيمي رحمه الله في ذلك البحث الذي عنونه هكذا : (ألفاظ من رحلة ابن بطوطة) وقد كان مما امتاز به بحث الأستاذ النعيمي أنه كان يحيل في تصنيفه لمعجمه ، يحيل على أرقام الصفحات وأرقام المجلدات التي صدرت في طبعة باريز منذ سنة 1858 أي قبل قرن ونصف من الزمن . هذه الطبعة التي تعتبر الأساس الوحيد لكل ما صدر في المشرق من رحلات سواء في مصر أو لبنان على ما هو معروف .

إن الإحالات على تلك المجلدات يعتبر وحده عملاً علميًّا أمينًا ذا مرجعية دولية، وأعتقد أنه لهذا السبب أيضًا اختار زميلنا الأستاذ محمد الفاسي رحمه الله أن يكون مرجعه في مقالاته عن ابن بطوطة التي نشرها في مجلة المغرب منذ عام 1930 ، أن يكون مرجعه تلك الطبعة الفرنسية التي تمت كما قلنا أثناء الخمسينيات من القرن الماضي .

ومعلوم أن سائر الذين اهتموا بالرحلة من مستشرقين إنجليز وتشيكيين وألمان وإسبان وبرتغال إلى آخر اللائحة الطويلة، كل أولئك اختاروا أن يكون مرجعهم في الحديث عن الرحلة هو طبعة باريز أوساط القرن التاسع عشر لأنها كانت المنطلق الأساس فأصبحت بمثابة المخطوط .

وقد صدر لزميلنا الأستاذ الدكتور إبراهيم السامرائي مقال في مجلة البحث العلمي التي كنت أشرف عليها ، صدر له

(*)رحلة ابن بطوطة،تحقيق د. التازي،نشر أكاديمية المملكة المغربية ١٩٩٧ مطبعة دار المعارف،رقم الإبداع القانوني ١٩٩٧/٣٢١ .

مقال هناك في العدد 26 بتاريخ يوليه 1976 وكان بحثه يحمل عنوان : الألفاظ الدخيلة في رحلة ابن بطوطة ، وقد اعتمد فيه على عمل أكرم البستاني ، طبعة صادر عام 1960، ونحن نعلم عما تعرضت له طبعة صادر من تجاوزات ...

وقد قرأت بعض ما كان يصدر بين الحين والآخر من مقالات في المغرب والمشرق عن لغة ابن بطوطة ، ولكن أهم ما ظهر في السنوات الأخيرة هو البحث الذي أصدره في مايه 1994 الدكتور محمد عادل خلف عبد الجواد ، وكان يحمل عنوان" "الملاحظات اللغوية للرحالة العربي ابن بطوطة". وقد أردف الدكتور خلف هذا البحث بآخر صدر له في أكتوبر من نفس السنة بعنوان :"معجم ألفاظ ابن بطوطة غير العربية " ، غير أن الدكتور خلف اعتمد في بحثيه معًا على طبعات مصر أو لبنان من غير أن يرجع إلى الطبعة الباريسية ولم يكلف نفسه عناء البحث عن طبعة باريز وبالحرى عن مخطوطات الرحلة التي وصلت الآن نحو الثلاثين ...

وهكذا تجمعت لدينا اليوم - لحسن الحظ - بحوث جادة من شأنها أن تفيدنا كثيرًا فيما يتصل بلغة رحلة ابن بطوطة الأمر الذي يمكن القول معه بأننا نتوفر اليوم على جرد كامل للمفردات التي يتضمنها قاموس الرحلة .

وهذا ما أريد أن أستعرضه باختصار في هذه المناسبة ... وأذكر منذ البداية أن الرحلة تحتضن نحوًا من اثنتي عشرة مادة لغوية أجنبية إضافة إلى الكلمات المغربية التي سنخصص لها الحيز الأكبر من هذا البحث .

فهناك عدد كبير من الكلمات الفارسية ومنها على سبيل المثال الإبريق والأترج والديباج والهميان إلى أخر اللائحة الطويلة . وهناك طائفة من الكلمات التركية أو المغولية كذلك ، كان منها كلمات أفندي ، وبخشي وتماق وقبان وقمز واليراق وولاق ووطاق إلخ . وهناك العدد الكبير من الكلمات الهندية من أماثل دولة كتوال وكفتار وساج وريبول والتنبول ، ولم يفت ابن بطوطة ، وهو في بلاد السند والهند ، أن يشير إلى

النقوش الهندية القديمة التي وقف عليها في إقلـيم لاهري أولاري بندر كما تسمى الـيوم، على نحو ما يفعله وهو يقف في مصر على النقوش الهيروغليفية .

وهناك عدد من المفردات التي طرقت سمع ابن بطوطة وهو في جزيرة مالديف من أمثال بستو ودنقرة وفال وكتي وكردوي وكلكي ومالم ومانياك وبسياه إلخ.

هـذا إلى جانب استعمال عدد من الكـلمات المالـية (نسبة إلى مالي) في غـرب إفريقـيا من أمثال بني ، بيدر ، تكشـيف ، تـوري ، دقنو ، صغنغو ، وغرتي ، ومنسا ، وفراري .

ومـن اللغات التي طرقت أسماع ابن بطوطـة لغة البجاة المقيمين على ساحل الـبحر الأحمر وهي من اللغات المنطوقة الغير المكتوبة .

كمـا أن من اللغات التي أشار إليها الرحالة المغربي اللغة الصومالية التي يسميها اللسان المقدشي نسبة إلى مقدشو حاضرة بلاد الصومال ، ويسجل ابن بطوطة هنا ملاحظـة هامة ، وهي أن أهل الصومال يطلقـون على سلطانهم اسم " الشيخ" ، وهـو اللقب التشريفي الذي يطلقه حتى اليوم سكان الجزيرة العربية على ملوكهم، كما وهو اللقب الذي استعمله بنو وطاس المغاربة على أمرائهم وقادتهم .

وفي طريق ابن بطوطة إلى الصين ألم بمـا نسميه اليوم ماليزيا : (مل جاوة) حيـث أشـار إلى لغتهم التي يعترف ابن بطوطة بأنه لم يعرفها ..

ومـن المعـرف أن لغة الملايو هي إحـدى اللغـات المالوية التي كانت لغةً بساحل سومطرة .

ويشير ابن بطوطة بعد هذا إلى اللغة البورمـية التي مر بأهلها ، وهي إحدى اللغـات التُّبتية - الصينية ، مر بها واتصل بقوم البره نكار .

وهناك عدد من الكلمات الصينية من أمثال بالشت وبركالة وجنوك وستي وقان وككـم إلخ . وهناك طائفة من الكلمات المصـرية سمعهـا الرحالة وهو يتنقل عبر مصر مثل الأكارم والأكاديش والحرافيش إلى آخر اللائحة التي يمكن الرجوع إليها .

ولم يفت ابن بطوطة - وهو بمصر أن يلاحـظ كما أشرنا سابقا وجود نقوش

مصرية قديمة في بربي مدينة أخميم مذكرا أن أحـــدا لم يهتد لقراءتها في عهده ، ولم يكن يعرف أن هذه النقوش ســتقرأ بعد نحو من ستة قرون .

ومــع هــذا فإن الرحلة لا تخلو من اســتعمال كلمات من أصل يوناني أمثال الأبــنوس والأنيسون والبواقيل ونول إلى آخر الكلمات .

وأخــيرًا فإن هناك عددا من الألفاظ الرومــية مــن أمثال كلمة الرّي والكِيرة والشطي والإصقالات . والمهم من خلال كــل هــذا أنــنا نــرى ابــن بطوطة لم يجــد صــعوبةً في أداء تلك الكلمات الأجنبــية بالحــرف العربي المتداول بيننا الأمــر الــذي يؤكــد أن الجهاز العربي صــالح لاســتيعاب سائر الأصوات وأنه قــادر عــلى أدائهــا بــدون إخلال في الأداء .

ولا أودع هــذا الموضــوع دون أن أشــير إلى أن هــناك عددًا من المفردات العربية التي استطاعت أن تقتحم قواميس الأمم الأخرى وتفرض نفسها لتكون إلى جانــب تلك اللغات امثل أمير طومان – أمــير هَرار – رسول دار – شرْع بندر ، ملك عرض ، قبور عاشقان .

أمــا عن الكلمات المغربية المستعملة في رحلة ابن بطوطة ، فهي هكذا حسب الترتيــب الهجائي المغربي مع الإحالة على المجلــدات الأربعة وأرقامها المعتمد عليها مــن لدن الباحثين المهتمين بالرحلة على الصعيد العالمي

الأبزار IV ، 76-77

يعني الأبزار عند المغاربة ما يُعرف بالفلفل الأسود ، وهي حبوب سوداء ، شجراتها شــبيهة بشــجر الدوالي . ويثمر عناقيد صغارًا حبها كحب أبي قنينة ، وإذا كان أوان الخريف قطفوه وفرشوه على الحصر في الشــمس . ولا يــزالون يقلبونه حتى يســتحكم يبسه ويسود . والعامة ، كما يقــول ابن بطوطة ، يزعمون أنهم يقلونه بالــنار ، وقد رأيته بمدينة قالقوط يصب للكيل كالذرة عندنا .

أبيْرُون IV ، 112

هــذا اسم بربري لنوع من السمك وجــده في مالديف ، شبه به ما يسمى عندهم قلب الماس ، لحمه أحمر ، رائحته

كـــرائحة لحم النعام ، ويقطعون السمكة أربع قطع ويطبخونها يسيرًا ثم يجعلونها في مكاتـــيل مـــن ســـعف النخل ويعلقونها للدخان، فإذا استحكم يبسه أكلوه ويحمل مـــنها إلى الهند والصين واليمن . واللفظ في المخطوطـــات هكذا الليرون . ويعني في اللســـان الـــبربري نوعًـــا خاصا من الطون .

الإحرام I ، 18

هـــذا غير الإحرام الذي يرتديه الحجاج، ولكـــنه ثوب يجعل على الرأس ويمتد إلى الأكتاف.

أزواج الحرث IV ، 347

كلُّ الذين علقوا على هذه العبارة المغربية الصميمة أخطأوا في معرفة القصد منها ، فتعتـــبر "حرث زوجين" يعني مساحة من الأرض قدرهـــا بعضـــهم بخمسة عشر هكـــتارا ، فالـــزوجان هنا ليس الذكر والأنـــثى كما فهموا ، ولكن القصد إلى الـــثورين أو البغلين اللذين يجران المحرات. وكان العاهل المغربي يمنح بعض المحتاجين قطعا أرضية فلاحيةً مقدار حرث زوجين لكـــل فـــرد ، وقد يكون العطاء أزواجا كـــثيرة وهكـــذا فـــإن الترجمة الفرنسية الصحيحة :

Paires de boeufs pour labourer la terre

أنلي III ، 130 ، IV، 378، 394

كلمة بربرية ، حب مائل إلى الخضـــرة موجـــود بكـــثرة بالجنوب المغربي ، وقد يطلـــق عليه اسم إيلان ويوصف لتقوية العظـــام حـــتى ليمزجوه بالحليب الذي يقدم للرضيع . ويسمى بالفرنسية mil أو millet.

أفراج II ، 369

أفـــراج أو أفـــراق تعريب افراك بالجيم المعقـــودة ، لفـــظ بربـــري . أطلق على الســـياج المحيط بالخيام التي تنصب لإقامة الملـــك وحاشيته أثناء ترحاله ، وهو يعني مديـــنة متنقلة بكامل مرافقها وأجهزتها ، صُنعت من شقاق الكتاب الأبيض والملون وتحتوي على عدد من القباب والخيام على مخـــتلف الأحجـــام ، فيها ما هو صالح لقاعات استقبال ، كما يحتوي افراك على المسجد والمدرسة ، كل له مكانه ومثواه . وقـــد خصص ابن الحاج النميري فصلا بكاملـــه لوصـــف هذه المعلمة الحضارية

الكـــبرى الـــتي خفي معناها على بعض الناشرين فراحوا يؤولون !

أقروف II ، 379 ، 388 .

لفظ بربري الصيغة والكلمة تعني ما يعبر عـــنه دوزي : ضـــرب من تيجان الرأس المســتعملة بالمغـــرب . أقول : وما تزال بعـــض نساء الشمال المغربي يتزينَّ به عند المناســبات وربمـــا كان أقروف (وليس أخـــروق كما تحرفت عند ترجمان معجم الملابـــس) يشـــبه ما أدركناه مما يسمى بالخـــنطوز الـــذي تـــزين به السيدات رؤوسهن .

الاسفنج IV ، 392

الإســـفنج ، وينطق به المغاربة مخففًا السـفنج. نـــوع مـــن الفطائر المعروفة مـــثقوبة الوســـط حيث تسلك في دومة خاصـــة يتـــناولونها عـــلى الخصـــوص عـــند الصـــباح والـــذي يعدها يسمى الســـفاج ولهـــم حوانيـــت خاصـــة في بعـــض الأســـواق ، والمحتســـب هـــو الـــذي يراقـــب جودة الزيت المستعملة في قـــلي الســـفنج كمـــا يراقب نظافة السفاج .

بابا II ، 279 ، 416 ، IV ، 177

يذكـــر ابـــن بطوطة أن كلمة بابا عند الأتـــراك تعني الأب بتفخيم الباء . وهنا يقـــدم ملاحظة دقيقة فيذكر أن البربر في المغرب يستعملون اللفظ بمعنى الأب أيضًا لكـــهم بخـــلاف الأتراك ينطقون بالباء مرققة. وهو ما كنا نسمعه في بيوتنا .

البحيرة IV ، 476

في الاصـــطلاح المغربي تعني الأرض التي يغرس فيها مثل البطيخ والدلاع والقثاء مما لـــه زريعة وتجمع على بحائر وقد حسبها بعض الناشرين تصغيرًا لبحرة !

بخيت II ، 201

مـــن الأسماء التي كانت تعطى للجواري في المغـــرب على عهد ابن بطوطة الذي لاحـــظ استعمال نفس الاسم عند أهل عُمـــان الذيـــن لهـــم شـــبه قوي بأهل صنهاجة .

البراءة I ، 112

يســـتعمل ابن بطوطة كلمة البراءة بمعنى الجـــواز أو الاذن أو التفويض ، وما يزال المغاربة إلى الآن يستعملون كلمة (البرا) هكذا مختصرة بمعنى الرسالة .

بطة II ، 159

ظرف يجعل فيه نحو الزيت .

البلاط I ، 199-200

يستعمل ابن بطوطة كلمة البلاط في المسرات التي تربط بين شرق المسجد وغربه فهناك المسجد صاحب البلاطات الثلاث وهناك صاحب الأربعة . وأريد القول : إن رجال المعمار اليوم يسمون الممرات التي تربط الشمال بالجنوب في المسجد بالاسكوب ويجمع على أساكيب.

البوجة IV ، 307

هذا اللفظ حير بعض المعلقين الذين ذهبوا مذاهب شتى ، وهو يعني بكل بساطة المحفة، وما يزال بمدينة فاس باب من أبواب القصر الملكي يحمل اسم باب البوجات خاص بالحريم .

بوقينية IV ، 77

في معرض حديثه عن الفلفل الأسود : الإبزار ، شبه حبوبه بحب أبي قنينة وقد حار المعلقون في البحث عن هذا النبات الذي يعرف في شمال المغرب الذي ينتسب إليه ابن بطوطة ، ويكثر في المناطق الجبلية التي تستعمله لعدة أغراض ، وفي الأمثال المغربية:"غرسته حبق خرج لي بوقنينة" يعني كنت أقصد إلى شيء فوجدت شيئًا آخر".

تازرت II ، 217-218

في معرض حديثه عن بعض أسماك منطقة الخليج : (شير ماهي) شبهه بنوع من الأسماك في المغرب يعرف بتازرت ، ومعلوم أن هذه الكلمة بربرية الصيغة أما عن معناها فإن الأمر يختلف بين أن ينطق بالزاي مفخمة أو مرققة ، فإذا كانت مفخمة فإنها تعني المذاراة ، وعلى هذا يكون القصد إلى السمك الذي يتميز ذيله بأنه شبيه بالمذارة ، له أسنان ، وإذا كانت الزاي مرققة فإن معناه التين وعلى هذا يكون القصد إلى لون قشرة السمك التي تشبه لون قشرة بعض أنواع التين المزركش . ولعل قصد ابن بطوطة إلى نوع السمك المنتشر في المطاعم الخليجية المعروف تحت اسم هامور .

تاسر غينت IV ، 394

تعرب هذه الكلمة إلى سرغينة كما هو معروف بالمغرب ، وهي جذر عطري الرائحة يوجد على ساحل المحيط ويجلبه

الـتجار إلى بلاد السودان ، وما نزال إلى اليوم نحرق هذا النوع وخاصة عند بعض المناسبات الخاصة مثلاً عند النفساء .

التبريح IV ، 145

هـذه الكـلمة تعني في المغرب الإعلام العلني، برحوا بالملك على أنه سيقوم بسفر نحـو جهة من الجهات ، بمعنى أعلموا به وأشـهروه بين الناس ، والبراح هو الذي يقوم بعملية هذا الإعلام، وقد خفي هذا المعـنى على بعض الناشرين الذين التبس علـيهم معـنى الكلمة الذي قلناه بمعنى التبريح الذي يعني الضرب المبرح !

التليس II ، 35-123

نسـيج غليظ من الشعر أو الخوص يجعل على ظهر الدابة يحمل الحبوب وما أشبه، ويجمـع على تلاليس . ذكر بطوطة أن بعـض أعضـاء الأسرة الملكية في إيذجَ جعلـوه عـلى ظهورهم لما فقدوا بعض الأمـراء ، كما ذكر أنهم غطوا به بعض الجثث المطروحة .

التهليل III ، 387

التهليل في الاصطلاح المغربي ظرف صغير يكون من جلد أو فضة أو ذهب يجعل فيه نحو المصحف أو كتاب دلائل الخيرات .

وكـان مما يهديه ملوك المغرب إلى بعض الرؤسـاء في العصور القديمة ، وربما حمله الملوك والأمراء كتعويذة أو تميمة .

الثريا II ، 265

يطلقهـا ابن بطوطة على (النجفة) ذات المصْـابيح المتعددة تعلق في السقف لتنير الحجرة .

الجامور II ، 13 ، 406

عبارة عن عمود يحمل عددًا من التفاحات المموهة بالذهب ، يجعل على راس الخيمة الملكـية أو على رأس منار مسجد كبير فيكون تاجًا لها . قد تكون هذه التفاحات ثلاثـا وقد تتجاوز ذلك ، وقد استعملها قـبل ابـن بطوطـة العبدري في رحلته الحجازية . ولعل اللفظ مأخوذ من جامور النخلة وهو جمارها .

الجاوي III ، 234 IV ، 228

نوع من البخور ينسب إلى مدينة جاوة ، ويسـتعمله المغاربة في المناسبات الدينية ، في ليلة القدر من شهر رمضان مثلا .

الجبذ I ، 340

يستعمل الجبذ في المغرب بمعنى الجذب .

الجزار III ، 380

يستعمل في المغرب عوض القصاب .

الجفن II ، 350

في اصطلاح رجال الأسطول المغربي يعني قطعة من قطع الأسطول ، وقد تجمع على أجفـــان، راجع حديث الجزنائي في زهرة الآس عـــن ميناء خولان بضواحي مدينة فاس.

الجلاس II ، 163

وعـــاء مـــن معدن أو فخار يجلس عليه لقضاء حاجة الإنسان .

الجلبان III ، 131 IV ، 335

عـــندما يذكر ابن بطوطة البسيلا المصرية يقول: إنها صنف من الجُلبانُ يريد بذلك تعريف المغاربة بما عندهم بما عند الآخرين.

الجُمعة II ، 286

نعـــرف أن الجمعة هي اليوم السادس من الأســـبوع ، لكـــن ابن بطوطة يستعمل اللفظ أحيانا على نحو ما يعرفه المغاربة مما يني:الأسبوع، فمعنى قوله أنهم يحضرون ما يكفيهم للجمعة أنهم يستعدون لما ينفعهم طوال الأسبوع ، وعندما يقال في الجمعة القابلة يكون القصد في الأسبوع المقبل .

جوز الطيب II ، 186

هذه المادة التي تدخل في إطار التوابل عند المغاربـــة مجلوبة من الشرق لكنها معروفة بالمغـــرب بهـــذا الاسم وقد شبه بها ابن بطوطة الفوفل الهندي .

الحانوت II ، 81

بينما نجد أن الحانوت في اللغة العربية تعني دكان الخمار نجد أن ابن بطوطة يستعملها بالمعنى المغربي الذي يعني المتجر الذي يباع فيه ما يحتاج الناس إليه .

حب الملوك II ، 391 – 1 ، 185-186

هـــذا هو الفاكهة التي تشبه حبات العنب والمعـــروفة في الشـــرق تحت اسم الكرز (CERISE) ، ولـــلمغرب احـــتفال سنوي الـــيوم بظهور حب الملوك . يقيمونه في مدينة صفرو القريبة من فاس .

الحريرة III ، 131

نـــوع مـــن الحساء يمتاز بثرائه في المواد الـــتي يـــتألف منها ، وهي مشهورة عند المغاربة وبخاصة عند الإفطار أيام رمضان، وتكـــون مع الكسكسو الصحن الرئيسي في الديـــار المغربـــية ، ولها أصل في اللغة العربية .

الحزب I ، 40

استعمله ابن بطوطة بمعنى الورد والدعاء ، وليس الفرقة أو الجماعة وهكذا استعملها عندما تحدث عن حزب البحر للإمام الشاذلي .

حنيشة الجنة III ، 103

ذكرها ابن بطوطة وهو يتحدث عن تناول أهل جناني (الهند) للسقنقور ، وقال : إنها دويبة شبيهة بأم جبين التي يسميها المغاربة حنيشة الجنة إلا أنها لا ذنب لها .

الحصير I ، 51–11 ، 164

يستعمل كثيرا في المغرب ويعني به الفراش من الدوم أو الديس أو الأسل ويختلف شكله من جهة إلى أخرى بالمغرب ويجمع على حصر أو حصاير .

الحسك III ، 79 – IV ، 3

جمع الحسكة : عبارة عن أداة تحمل الشمع ، يغرزونه في بعض قناتها أو قنواتها المتعددة ، وعندما ذكر ابن بطوطة الشمعدانات قال : إن أهل المغرب يعرفوها بالحسك .

الحضرة II ، 6

استعملها ابن بطوطة بمعنى العاصمة وأهل الحضرة في اللغة خلاف البادية .

الحوت I ، 109 – II ، 426 – IV ، 170

الحوت عند المغاربة يطلق على السمك بسائر أنواعه ، ولا يختص كما هو الحال عند المشارقة بالسمك الكبير الذي ابتلع سيدنا موسى ! والحوات صياد السمك أو بائعه .

الخابية IV ، 251

نوع من الأواني التي يخزن فيها نحو السمن والزيت والخليع وتجمع على (خوابي) وتستعمل بكثرة عند المغاربة حتى في أمثالهم الشعبية .

الخرشف IV\، 240

نوع من الخضر المحبة عند المغاربة وثمره هو ما يعرف عندهم باسم (القوق) أو (الأرتشو) شبه بأوراقه أغصان شجر اللبان.

الخليع IV ، 138

معروف عند المغاربة ، وهو عبارة عن قديد يطبخ بالتوابل في الزيت والشحم بعد تيبيسه ويُصبَّر ، ويتخذ منه المغاربة

زادهم وخاصة أيام الشتاء وقد ورد ذكره في كتب التاريخ على أنه يتزود به في الأسفار والحروف وحالات الحصار .

الخصة II ، 136

حوض ينبجس منه الماء : الفوارة أو الفسقية .

الخواجة II ، 116

كلمة تعني ، كما يبدو التاجر أو الغني ، وما يزال اللفظ معروفا بالمغرب ، ولو أنه يعني في المشرق الأوربي أو المسيحي .

ذراعة III ، 186

لباس يرتديه المغاربة بدون أكمام ، تكون فوق الألبسة الوسطانية ، ويظهر أن الاسم آت من أن مرتديها يكون مكشوف الذراع.

الدكانة II ، 174

مرتفع يجلس الناس عليه يشرف على موقع معين وتجمع على دكاكين وهي غير الدكان.

دوالي العنب II ، 205

جمع داليه والمغاربة يسمون أشجار العنب داليه ، وليس الكرم الذي يطلق عليه عندهم التين أو الكرموس .

الدويرة IV ، 232

تصغير دار وغالبا ما يقصد بها المطبع أو (المشتمل) .

الرب III ، 23

(بضم الراء) مشروب يتخذ من العنب أو التمر ، وقد عرف استعماله عند المغاربة منذ عهد الموحدين في العصر الوسيط، ومايزال باب في مدينة مراكش يحمل اسم باب الرب وقد دخل اللفظ لغة قشتالة .

الرتب IV ، 348

جمع رتبة بمعنى الأتاوة ، في حديثه عن العاهل المغربي أشار إلى الرتب التي تؤخذ في الطرقات يعني الضرائب ، وما يزال الآن اسم الترتيب يعني حقوق الباب .

الرجل I ، 215

يطلقه ابن بطوطة على الزوج فيقول مثلا: هذا رجلها أي زوجها والمغاربة إلى الآن يستعملون هذا التعبير .

الرشوة III ، 12

استعملها كشيء ممنوع ومحرم في بعض الجهات .

الري III ، 318 – IV ، 18

يستعمل ابن بطوطة هذه الكلمة القشتالية التي تعني الملك ونحن نعلم عن صلة الرجل بالأندلس وتأثره بلغة جيرانه .

زاد المال II ، 201

اسم لبعض الجواري،وقد لاحظ الرحالة أن هـذا الاسم يتحد فيه العمانيون والمغاربة باعتبار أن صنهاجة من أصل عربي .

الزاوية العظمى IV ، 352

يطلق ابن بطوطة الزاوية العظمى على معلمة حضارية هامة اختفت نتيجة الإهمال ، ويتعلق الأمر بدار ضيافة عظيمة كانت مبنية على ساحل وادي فاس .

الزبانية III ، 301

يطلقها على حراس الملك واللفظ يستعمل اليوم أيضًا لهذا المعنى وهو من أصل عربي.

الزردخان IV ، 404

نوع من القماش يعرف بهذا الاسم إلى ما قبل عهد قريب .

الزلّيج II ، 130-225

تشكيلة جميلة من قطع الخزف هي ما يسمى في المشرق بالقاشاني ، والمحترف لهذه المهمة يسمى الزلايجي .

طابق اللحم II ، 342

يطلق ابن بطوطة كلمة طابق على نصف الخروف أو نحوه ، والعبارة ولو أن لها أصلا عربيا لكنه تنوسي وبقيت آثاره بالمغرب ..

الطاحوني II ، 380

يستعمل في المغرب عوض الخراص .

الطارمة II ، 353

بيت من خشب يكون في غرفة أو حجرة، ويظهر أن أصل اللفظ فارسي .

الطاقية III ، 48

غطاء الرأس وتجمع على طواقي .

الطريدة III ، 109

مركب نهري أو بحري ، وقد استعمل المغاربة هذا اللفظ وعرف عنهم .

الطفل III ، 56-57

نوع من الطين يستعمل كالغاسول معروف بهذا الاسم في الشمال .

الطيفور II ، 391-285

يجمع على طيافير : عبارة عن مائدة كبيرة يجعل فيه نحو الفواكه أو الطعام أو حتى بعض الحلويات ويكون لها غطاء يحتفظ بطراوتها وشكلها .

الظهير I ، 25-421 – II ، 34

يستعمل في المغرب بمعنى المرسوم الملكي ويجمع على ظهائر وليس على ظهراء ، وقد كان أول تأليف مغربي ذكره بهذا الاسم ، حسب علمي ، هو ابن صاحب الصلاة في كتاب المن بالإمامة الذي يتناول تاريخ الموحدين .

الكركم II ، 103

نوع من التوابل يُحرفه المغاربة إلى الكركب (بالباء) يستعمل أحيانا عوضا عن الزعفران عندما يعز وجود هذا !

الكمْخة III ، 87

نوع من القماش ما يزال يحتفظ بهذا الاسم ، ذكره ابن بطوطة ضمن الهدايا عندما تحدث عن سفارته للصين نائبا عن ملك الهند .

الكعك II ، 218-304 – III ، 11

وربما ينطق به المغاربة بالحاء بدل العين ومنه لقب الكحاك والكعاك إلخ .

الكشكول II ، 2

عبارة عن ظرف يستعمله الفقراء في الاستجداء .

الكَسْكَسُو IV ، 394

هكذا ورد ذكره في الرحلة بتقديم الكاف على السين وليس الكُسكس كما أطلق عليه ذلك من قبل بعض الناس وهكذا أيضًا ورد اسمه مكتوبا في المصادر الطبية على عهد الموحدين في العصر الوسيط.

اللحاف III ، 380

الفراش عند المغاربة ويجمع على لحوف.

الليمون أو الليم المصير II ، 185

يُعنى به الليمون المصبر ، وقد اعتاد المغاربة أن يصبروا الليمون في الملح ، يجعلونه مع الزيتون المصبر على صحون خاصة من الطعام كمقبلٍ من المقبلات.

اللُّبان (حصا) II ، 214

يطلق المغاربة كلمة (حصا لبان) على المادة العطرية التي تأتينا من عُمان، يستعملونها للبخور كما يستعملونها كدواء للبحة وإصلاح الصوت، واللفظة متداولة جدًا بين أبناء المغرب.

ماء الزهر 111 — 130 - 231

يطلق ماء الزهر عند المغاربة على الزهر الذي يقطفونه في إبانه وكانت الأسر المغربية تتوفر على قطارات يستعيرونها

فـيما بيـنهم حتى تتوفر كل أسرة على نصيبها من هذه المادة العطرية طوال أيام السنة.

ماء الورد I ، 247-417

ما قلناه عن ماء الزهر نقوله عن ماء الورد مـع ملاحظـة أن الأول يستعمل عند الحاجـة إلى ما يبعث الحرارة في الجسم بيـنما يسـتعمل مـاء الورد إبان فصل الصيف لأن من طبيعته التبريد .

المارستان IV ، 347

يسـتعمل المغاربـة هذا اللفظ محرفًا عن البيمارستان ويعنون به المستشفى وخاصة ما يعني المرضى بالأعصاب . وتتوفر بعض العواصم المغربية على مارستانات .

مانع II ، 349-420

هذا النعت يطلقه ابن بطوطة بمعنى صعب، جـبل مانع : صعب التسلق ، رجل مانع صعب المزاج .

المتسبب IV ، 373

هو التاجر،لأنه يأخذ بالأسباب ليربح عيشه.

مَتيِّجَة I ، 17

هذا علم جغرافي لبعض المواقع المعروفة في المغرب الأوسط ، وقد تعمدت ذكره هنا لأن بعـض الناشـرين توهموه أداة نقل وركـوب لدى المغاربة وذلك عندما قال ابن بطوطة : توجهنا على متيجة إلى جبل الزان !

المحلة II ، 70

يطلقها ابن بطوطة على الفيلق العسكري المقيم في جهة من الجهات لحماية المواقع، ونحـن نعرف الحديث عن محلة السلطان في كتب التاريخ .

المجشر III ، 400

أو المدشـر ، أو الدشـر بمعـنى الدوار أي المجمـع الـذي تقـيم فـيه فخذة قبـيلة أو جماعـة، ويجمـع عـلى مداشر .

المحتسب II ، 184

هذا لقب إداري وظيفي نعتقد أنه اختفى في العالم الإسلامي اليوم وظل ابن بطوطة يـردده لأنه كان ببلاده ، وللتاريخ نذكر هنا أن اللقب ما يزال حيًّا حاضرًا في بلاد المغرب الأقصى .

المرتبة II ، 393

هي التي يحرفها المغاربة إلى مضَرْبة : كما سيأتي .

الملف II ، 311

نـوع من الجوخ ظل معروفا منذ تاريخ جـولات ابن بطوطة ، ونعتقد أن اللفظ منسـوب إلى مدينة أمالفي الإيطالية التي كـان المغـرب يستورد منها هذا النوع الرفيع من القماش .

المخزن III ، 185-290

المخـزن يطلقه ابن بطوطة على الحكومة المغربية،وهو تعبير عرف منذ العصر الوسيط ومـا يـزال مستعملاً إلى اليوم، وكلمة المخزني تعني الحارس ويجمع على مخازنية .

المصرية IV ، 93

تعني في المغرب الدويرة الصغيرة التي تكون تابعـة للـدار الكبرى يأوي إليها شباب الأسـرة أو يسـتقبل فـيها رب الأسرة أصدقاءه ، وقد وردت بكثرة في النصوص المغربـية ، وربمـا كـان الاسم آتيا من اختراع أحد المغاربة الذين وجدوا هذا النوع من السكن موجودا بمصر . وتجمع على المصارْي أو المصريات .

المضربة III ، 380

عند المغاربة فراش للجلوس والنوم ، أنظر مادة المرتبة .

المقيَّرة IV ، 12

مـن الكـلمات الـتي حيرت التراجمة والناشـرين فـراحوا يبحثون عن أصلها في اللسـان الفارسـي ، ومنهم من قرأ الكـلمة منيرة بالنون ، والكلمة بالمغربية مُقَـيَّرة أي إنهـا وسـخة كأنها مطلية بالقار ، بمعنى الزفت . والمغاربة إلى اليوم يقولـون ثـوب مُقيَّر ويعنون ثوبا تركبه الأوساخ .

المسفّر IV ، 246

يعني المجلد ، وقد دأب المغاربة على نعت الكـتاب بأنه مجلد ويسمون الذي يقوم بعملية التسفير مُسَفِّر ... والسفر الجزء من الكتاب .

المشْوَر II ، 235-428

III ، 10-271-278-288-289

كـلمة تطلـق عند المغاربة على الساحة القريـبة مـن القصر الملكي لأنها كانت مجمعًا للشورى ، وتستعمل كثيرًا في كتب التاريخ المغربي .

مينا سبتة II ، 349

كـلمة (ميـنا) تعني أنف جبل سبتة ، قارن بينه وبين أنف جبل صنوب .

النبق III ، 125 – IV ، 394

تحـــدث ابن بطوطة عن النبق على أنه من الأشـــجار المعروفة ببلاد المغرب وتحدث عـــن دقيق النبق كذلك ، وهو أي دقيق النـــبق معـــروف وخاصة في تارودانت بالجنوب المغربي .

النقرة IV ، 334-335

يطلقها ابن بطوطة على الفضة وينعت بها، كما رأينا ـ دراهم النقرة .

النوبة III ، 70

يطلقها عن الدور ، حانت نوبة فلان أي دوره .

صاحب العلامة III ، 35

هذا التعبير أيضا حير بعض الناشرين الذين رأينا منهم من ظن أن العلامة هي بتشديد اللام فقرأها على أنـــها العـــالم الكبير ! والواقـــع أنهـــا تقصد إلى وظيفة سامة في الدولـــة تعني الكاتب الخاص الذي يرسم التوقيع الملكي .

صاحب السجادة II ، 292-293

الموظـــف المكلـــف من قبل القصر يحمل السجادة التي يصلي عليها العاهل ، ويشبه الوظيف(صاحب الصلاة)في العصر الوسيط.

الصاري IV ، 146

الصـــاري العمـــود الـــذي يكون وسط المركب ويتصل به عود يدخل فيه ويسمى هذا العود بالقرية وقد جاء في تعبير لابن بطوطـــة أن الركاب ذات مرة يئسوا من الحـــياة ، بعدمـــا شاهدوا من اضطراب البحر، فرموا بالصاري ورموا بالقرية بفتح القـــاف وكسر الراي على وزن هدية ، ولـــيس القصد إلى القربة بالباء كما فهم بعض الناشرين !

الصحفة I ، 238

ج صـــحاف تستعمل عند المغاربة عوض الصـــحن الذي يخصونه بصحن البيت أو المسجد .

الصعتر II ، 164

نـــبات مشـــهور لا يخلو بيت مغربي منه يستعملونه في الطبخ وفي التعطير وبعضهم ينطق به زايا عوض الصاد .

الصفصاف III ، 191

يســـتعمل المغاربة هذا الاسم في الشجر المعـــروف بطوله وهنـــدامه . وكثيرا ما يغـــرس عند الحدود بين ملكية (بكسر الميم) وأخرى .

الصقورة III ، 65

عصابة كانت معروفة بالمغرب على عهد ابـــن بطوطـــة تـــتألف مـــن بعـــض ذوي الأطمـــاع والأغراض الخاصة تقوم بالإغـــارة عـــلى من تقصده لإرهابه أو تصـــفيته ، وربمـــا كان لهم شبه بطائفة (الفداويـــة) التي تحدث عنها ابن بطوطة في المشـــرق (I ، 167-171-162) .. ولفظ الصقورة يعني جمع صقر : الطائر المعروف بانقضاضـــه عـــلى فريسته من حبار وما شبابه .

الصومعة II ، 358

يطلـــق المغاربة الصومعة في الغالب على المئذنة أو المنارة ، وتجمع على صوامع التي يكـــثر استعمالها عن المشارقة على مدلول آخر: منارة الرهبان ...

الصينية II ، 76

عـــبارة عـــن آنـــية منبســـطة أغلب ما تكـــون مـــن الفضة ، ولا ندري أصل إطـــلاق هـــذا الاســـم على الصحن . وهـــذه مـــن الألفاظ التي تربط المغاربة بالصـــين عـــلى نحـــو ما يربطهم الشاي الأخضر !

العفصة III ، 125

يعـــرف المغاربة هذا النوع من النبات . ولذلـــك شـــبه به ابن بطوطة نبق الصين الـــذي يقصـــد به ما يسمى في المغرب الزفزف وفي المشرق العناب .

العود القماري III ،234 – IV ، 167 ، 240

نوع رفيع من الطيب الذي ولع به المغاربة من قديم وكانوا يرسلون التجار لاستيراده من قمار بالهند ، ويستهلكه المغاربة بكثرة رغـــم ارتفـــاع ثمنه ، وفي علامته يقول أحدهم :

ثلاثة في العود محمودة
وتلك في العنبر لا تحمد
صلابة فيه وثقل به
ولونُه الأسود الحالك !

العولة

عـــبارة عن الزاد الذي يختزنه المغاربة في إحـــدى الحجرات من سمنٍ وزيتٍ وخليع وفواكه مجففة .

الغالية IV ، 116

مـــن أنواع العطور التي دأب المغاربة على اســـتعمالها وخاصـــة في بعض المناسبات الخاصة .

الغيطات II ، 482-126 – III ، 110

جمع غيطة آلة طرب حادة الصدى يستعملها شمال المغرب بكثرة ، والشخص المـمارس لها يحمل اسم الغياط على نحو النفار الذي يستعمل النفير .

الفَرَجية II ، 376 IV ، 220-219

نوع من الثياب يلبس فوق اللباس الوسطاني ، والتسمية آتية من أن هذا اللباس يحتوي على زرر تفرج عند الحاجة، وليست لباسا للرأس كما فهم بعض الناشرين !

فرق II ، 409

استعملها المغاربة بمعنى وزع والمصدر التفريق فمعنى فرق عليهم العطايا أو الهبات: أي وزع عليهم الصلات .

الفرشك I ، 359

كلمة يستعملها المغاربة إلى الآن في الفاكهة الطرية ، يحرفونها إلى (فريشك) . ويقول صاحب تاج العروس أنها تعني الخوخ . وذكرت بعض المصادر أن أصل الكلمات يوناني وقد ورد ذكر اللفظ في الاتفاقيات "المغربية الدولية " .

الفُقاع III ، 124-207

هذا من المواد التي حيرت المعلقين عجما وعربا ، وهي تعنى بكل بساطة الفطر أو الكماة ، وينطق المغاربة القاف كافا معقودة لكن زملاءنا رأوا فيها ما يوحي بأنه نوع من النبيذ ونحن نعلم عن رأي أهل الهند في الملوك الذين يشربون الخمر .

الفقوص IV ، 392-435

هو ما يسمى في المشرق بالقثاء ، وهي فاكهة صيفية على ذلك العهد لأنها تبرد الحرارة، وقد يبدل المغاربة صاده إلى سين.

الفوطة II ، 199

دأب المغاربة على إطلاق هذا اللفظ على القطعة من الثوب الذي يحرم بها الحاج أو ينشف بها الجسم عند الخروج من حمام وتجمع على فوط .

قاقلة IV ، 240-144

هذا علم جغرافي لمدينة جنوب المعبر (الهند) ، أوردته هنا لأذكر أن المغاربة يحتفظون بذكره على أنه مورد لمادة منبهة عطرة يستعملونها في أطعمتهم مع تحريفها إلى (قاع قلة) وهي ما يسمى عند المشارقة بالهيل الذي يضيفونه إلى القهوة.

القبرية II ، 15

القبرية هي شاهد القبر الذي يتضمن اسم الميت وتاريخ وفاته وقد خفيت الكلمة على بعض الناشرين فصوبها إلى تبرية وقالوا : إنها نسبة إلى التبر .

القرة IV ، 351

تعني (الكثيرا) باللفظ القشتالي الأجنبي وتستعمل عند المغاربة اقتباسًا من جيرانهم، وقد خفيت على بعض الناشرين تحولوها إلى كلمة الغزاة !

القنصار IV ، 351

كثر تفسير الناس للقنطار . ويعطيه ابن بطوطة تفسيرا هو الذي كان المغاربة يعرفونه في عصره ، ويعني عشرة آلاف دينار وليس يعني ما يعنيه القنطار اليوم في استعمالنا .

القصبة IV ، 296

يستعملها ابن بطوطة على نحو ما هي عند المغاربة : المدينة التي يقيم فيها الحاكم ، أي العاصمة فإذا قال : إن هذا المكان هو قصبة البلاد فإنه يعني أنها مصدر الحكم ، وما تزال كلمة القصبة سارية إلى الآن على اللسان .

القفة I ، 345

كلمة تعني الكيس من الدوم الذي تجعل فيه الأغراض وتجمع على قفف .

القفطان I ، 150 – II ، 381

لباس يرتديه النساء والرجال على السواء ، والكلمة متداولة وتعني ما تعنيه كلمة الفستان في المشرق وأصلها تركي .

القسطل II ، 324

يتحدث عن كثرة القسطل بتركيا وهو معروف بالأندلس والمغرب ، وربما نطق به المغاربة قسطال .

القيسارية I ، 151 – III ، 4

كلمة مستعملة بالمغرب في كل مدينة على الخصوص وتعني السوق الذي تحيط به الأسوار حيث يتجمع معظم التجار على اختلاف بضاعتهم من لباس أو ما شابه، والكلمة كما هو معروف من أصل يوناني.

السبنية IV ، 142

لفظ يستعمل إلى الآن في المغرب ، ويعني شبه منديل تحفظ فيه الألبسة ويجمع على سباني أو سبنيات .

السبيل I ، 112

يستعمله بمعنى الوقف أو الحبس ، ساقية السبيل أو جنان السبيل بمعنى أن للعموم الاستمتاع به .

السردين II ، 197

نوع من السمك الصغير ، وقد استعمل اللفظ في عدة لغات وبما أن ابن بطوطة أتى طنجة فقد كان يتتبع الحديث عن السردين الذي استغرب من أن أهل ظفار يطعمونه دوابهم !

السماط I ، 206

استعمله ابن بطوطة بمعنى الصف من الدكاكين ، وقد عرف بفاس سماط العدول يعني الحوانيت الذي يباشر فيها العدول مهامهم .

السنداس IV ، 93

كلمة مغربية تعني ثقب المرحاض .

الشاشية II ، 56 – III ، 34 – IV ، 407

هذا اللفظ ما يزال يستعمل بالمغرب على نحو ما استعمله ابن بطوطة من غطاء الرأس يكون على شكل هرمي ويجمع على شواشي وتنسب إلى مدينة شاش على ما يبدو .

الشريحة II ، 45

استعملها ابن بطوطة على نحو ما يستعمل بالمغرب إلى اليوم ، التين تشرح وتيبس لتقدم في الفصول التي لا يتوفر فيها التين.

الشكارة III ، 352

وعاء من الجلد تحفظ فيه النقود وغيرها مما هو ثمين ، وأصلها آت من الشكر لله على ما أعطى .

الشقاشق IV ، 413

جمع شقشاق ، وهو طائر " معروف " بالمغرب ، وربما أطلقه أهل تلمسان على بلارج .

الشيخ II ، 183

يعني في الاصطلاح المغربي بالنسبة لفترة بني وطاس ، أواخر بني مرين ، الملك والسلطان، ويظهر أن استعمال هذا اللفظ بذلك المعنى أتى للجزيرة العربية من إفريقيا الشرقية وبالذات مقديشيو على ما أسلفناه من التقديم .

تلك طائفة من الكلمات المستعملة في المغرب تصل إلى مائة وخمسة وثلاثين كان فيها ما هو مغربي صرف وفيها ما له أصل في اللغة العربية إذا ما حاولنا مقاربته

بما يوجد في المعاجم ، وفيها ما هو مقتبس من لغة ثالثة ليست مغربية ولا عربية ، وقد أغفلت ذكر بعض المفردات مما تردد الرأي فيها بين نسبتها إلى هذا الصنف أو ذاك ، وإني لمدين لكل من صوب أو حذف أو أضاف ، فلقد كان المهم عندي أن أؤكد أن المغرب ظل حاضرا في ذاكرة ابن بطوطة ، وأنه أي ابن بطوطة لم ينتظر معرفة البديل باللغة العربية ليكتب مذكراته ولكنه كان حريصا على أن يعجل الفائدة لقرائه ، ومن هنا ساغ له أن يركب متن الاستعمال الدارج محترما في ذات الوقت القواعد العربية كما هي معروفة عند سائر الناس في المشرق والمغرب وبذلك استطاع الحفاظ على الأصالة من جهة ، وقدم لنا فكرة عن القاموس المغربي المتداول من جهة أخرى .

عبد الهادي التازي

عضو المجمع من المغرب

مجمع اللغة العربية ... وعصر الحاسبات

للأستاذ الدكتور محمود مختار عضو المجمع

السيد الأستاذ الدكتور شوقي ضيف
رئيس المجمع والمؤتمر :

السادة الأخوة الزملاء والضيوف الكرام:

أحييكم تحية عاطرة وأتشرف بأن أعرض عليكم في هذا المؤتمر الحافل لمحات عابرة عما يربط بين مجمع اللغة العربية بالقاهرة وعصر الحاسبات فيما لدى من دقائق فأقول :

من التوافقات الناجحة ما يقوم بين نديـن متزامنين ومترافقين يحملان رسالة متكاملة وينشدان هدفًا واحدًا . وربما كان خير مثل على هذا التوافق الناجح هو القائم الآن بين مجمع اللغة العربية بالقاهرة وعصر الحاسبات ، فكلاهما ولد في مستهل القرن العشرين فهما متزامنان ، وكلاهما نهل من معين الفتوة والنضوج الذي تميز بهما القرن العشرين وأهله لتحديث الحياة الحضارية والعلمية في مصر والوطن العربي الكبير فكلاهما مترافقان ، وكل منهما دعم الآخر في مسيرته فهما متكاملان .

أنشئ مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٣٤ ليحمل أسمى رسالة في الوجود وهي الحفاظ على سلامة لغة القرآن الكريم أولا ثم جعلها وافية بمطالب العلوم والفنون بنص صريح جاء في صدر قانون إنشائه .

وولد عصر الحاسبات في مستهل القرن نفسه ليسهم في حمل رسالة تحديث وتطوير الحياة في شتى أرجاء المعمورة ، فكان من الطبيعي لهذين الندين أن يتوافقا، وأن يدعم كل منهما الآخر ليسير العالم العربي إلى انطلاقة قوية يعبر بها إلى القرن الواحد والعشرين .

ولنبدأ قصة هذا الدعم من أساسها فنقول:

لقد تتابعت وتلاحقت عصور التقدم الحضاري على مر الزمن ، فانتقلت من عصر البخار إلى عصر الكهرباء

* ألقي هذا البحث في الجلسة الرابعة يوم الأربعاء ١٢ من ذي القعدة سنة ١٤١٨هـ الموافق ١١ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٨م.

فالإلكترونيات فالطاقة النووية حتى وصل بها المطاف إلى عصر الميكروإلكترونيات أو الإلكترونيات الدقيقة والتي تفجرت منها علوم الحاسبات والاتصالات والمعالجة الإلكترونية للمعلومات وعلوم الفضاء والذكاء الاصطناعي إلى آخر هذه الحلقة التي لا يعلم مداها إلا الله .

وفي أوائل هذا القرن كانت بوادر هذا التيار العاتي قد وصلت إلى الوطن العربي فأيقظته من غفوة طال مداها ، فصحا على الفور ليأخذ مكانه الواجب باستيعاب العلوم الحديثة ومواكبة تيارها ، فأنشأ المعاهد والجامعات ومراكز البحوث والهيئات اللغوية والثقافية وأمدها بكافة المقومات لتأدية وظائفها على خير وجه .

وفي خضم هذه الصحوة المباركة استشعر مجمع اللغة واجبه للوفاء بمتطلبات العلوم بخلق لغة علمية عربية سليمة خالية من الألفاظ الأعجمية التي لا يستسيغها اللسان العربي ، وكان أشدها خطرًا ما جاءت به علوم الحاسبات لشدة غرابتها وبعدها عن المألوف ، فقام المجمع على الفور بتشكيل لجنة متخصصة عام ١٩٧٣ لمواجهة هذا الخطر من أساتذة علميين ولغويين وخبراء لإبدال هذه الألفاظ بألفاظ عربية الأصل أو معربة تعريبًا علميًا سليمًا يقبله اللسان العربي .

وكانت المهمة أمام اللجنة شاقة وعنيفة فالكم ضخم والطريق وعر وطويل، بما حدا باللجنة لاتخاذ حل عاجل ومؤقت لعلاجها ، وهو أن تبدأ أولا بإخراج معجم مبسط وجيز يشمل الألفاظ الأكثر شيوعًا واستخدامًا وأشد خطرًا على اللغة . وأخرج المجمع هذا المعجم الوجيز عام ١٩٨٠ وبه نحو ٥٠٠ مصطلح فقط ، فتقبلته الهيئات العلمية والتعليمية والصناعية بقبول حسن كان له أكبر الأثر في حفز اللجنة لمواصلة السير في طريقها بجهد أسرع وكفاءة أعلا . ثم أخرج المجمع فعلا عام ١٩٩٥م ما سبق أن وعد به وهو الطبعة الثانية الموسعة للحاسبات وبها ٥٠٠٠ مصطلح وتشمل كل ما يتطلبه الدارس والباحث والتطبيقي من مصطلحات إما أن تكون عربية الأصل أو معربة وفقًا لتوصيات التعريب التي كان المجمع قد أصدرها . كما أصبح

هذا المعجم المُوَسَّع حلقة عربية للتفاهم والتواصل بين العاملين في مجال الحاسبات بمصر والوطن العربي . كما ساعد أيضًا على دفع عملية تعريب العلوم وأنشطة الترجمة والتأليف . ومن مميزات هذا المعجم أنه مفهرس بالأبجديتين العربية والإنجليزية ليتسنى استخدامه في كلا الاتجاهين على حد سواء .

سيداتي وسادتي :

تلك كانت لمحة عاجلة لما أسهم به مجمع اللغة العربية بالقاهرة وقدمه إلى عصر الحاسبات كدعم لغوي يتيح له الدخول إلى دنيا اللغة العربية وفي الوطن العربي الواسع الممتد ليتعامل معها بكفاءة أكبر .

ولنعد بعد ذلك إلى الوجه المقابل لما قدمه عصر الحاسبات من دعم قيم لنشاط المجمع وتحديث وتطوير أعماله فنقول :

إن الحاسب الآلي إن هو إلا آلة لها كل خصائص الآلات الأوتوماتية التي عليها أن تنجز ما يُطلب منها وفقًا لبرامج موضوعة ومحددة له . ويتميز الحاسب الآلي الحديث بما له من كفاءة عالية جدًا لأداء ما يُطلب منه وقدرة خارقة مع استيعاب كم هائل من البيانات والمعلومات والتعامل معها بصورة فورية سريعة .

ومن الجدير بالذكر أن هذه الآلة العملاقة التي تطورت من آلات بدائية وميكانيكية وكهربائية لم يكن عملها مقتصرًا على العمليات الحسابية التي أخذت اسمها عنها،وهو الحاسب ، وظلت محتفظة به في جميع مراحل تطورها دون حاجة لتغييره أو تعديله.كما يحاول البعض، حتى وصل إلى مرحلة معالجة البيانات ودراسة المعلومات بل واتخاذ القرارات بما توافر فيه من ذكاء اصطناعي يمكّنه من حل أعتى المشاكل في أقصر وقت.

ولن أحاول في هذه العجالة الخوض في تكنولوجيا الحاسبات وكيفية وصولها إلى هذه الكفاءة الطاغية ، ولكني أقول إنه كان من الطبيعي أن تغزو هذه الآلة الهيئات العلمية والصناعية وتمكّنها من تطوير أعمالها وتحديثها .

ومن الواضح أن كان مجمع اللغة العربية بالقاهرة في مقدمة هذه الهيئات

فدعت هذا الضيف الكريم إلى رحابها وعهدت إليه بالإسهام في دفع أنشطها وخاصة في مجال إخراج المعاجم ، واستجاب خبراء المجمع وقاموا بإنشاء شبكة حاسبة متوسطة القدرة عام ١٩٩٠ كانت أول تجربة لها هو إخراج معجم الحاسبات المُوَسَّع عام ١٩٩٥م وبه ٥٠٠٠ مصطلح معرفًا تعريفًا معجميًا بما يتيح للقارئ التعرف على دلالته العملية .

وحفز هذا النجاح على تحديث وتكبير الشبكة وإمدادها بعدد وافر من الحاسبات الحديثة وملحقاتها من طابعات وناسخات وماسحات حتى أصبحت مؤهلة تمامًا لإخراج بقية المعاجم بدءا بالمعجم الكبير الذي طال انتظاره أعوامًا طويلة. وبالإضافة إلى أعمال المعاجم فإن هذا المركز الجديد قد أصبح مؤهلا لإخراج جميع أعمال اللجان والمجالس والندوات والمؤتمرات والمطبوعات اللغوية والثقافية منذ أن ولد المجمع أي منذ ٦٥ عامًا حتى اليوم.وتسجيلها جميعًا على أقراص ممغنطة.

وبالإضافة إلى كل هذه الأعمال امتدت شبكة الحاسب الجديدة إلى جميع إدارات المجمع ومقار لجانه وإداراته المالية والحسابات والمخازن وشؤون العاملين والمكتبة وأمدها جميعًا بحاسبات صغيرة تعمل كنهايات طرفية للمركز الرئيسي وتتيح للعاملين فيها الاتصال بالحاسب الرئيسي والتعامل معه دون الانتقال إليه .

سيداتي وسادتي :

تلك كانت لمحة عابرة أخرى لما قدمه عصر الحاسبات إلى مجمع اللغة لدعم أنشطته وأعماله .

بقيت لي كلمة واجبة الأداء . وهي إسداء التقدير والعرفان إلى كل من أسهم في هذه الإنجازات .

وأبدأ بالأستاذ الدكتور شوقي ضيف رئيس المجمع على رعايته للمركز والحاسب الجديد والاهتمام به . والأستاذ إبراهيم الترزي الأمين العام الذي أمد المشروع بكل مقومات التنفيذ والنجاح . وأذكر بكل تقدير جهود الأستاذ الدكتور محمد هيثم الخياط على ما قدمته هيئة الصحة العالمية برئاسته من عون أدبي وعلمي ، وأقدم خالص الشكر والامتنان إلى أساتذة الحاسبات الجامعيين الخبراء

بـالمجمع ، وهـم الأستاذ الدكتور سمير شاهين والأستاذ الدكتور إيهاب طلخان والأسـتاذ الدكـتور أحمد بهنساوي . ثم شـكرًا خاصًـا وخالصًـا إلى الأساتذة الإداريـين بدءا من الأستاذ عبد الوهاب عـوض الله فالأسـتاذة أوديـت إلياس والأسـتاذة فوزيـة فهيم والأستاذ أحمد حامد والأستاذ جمال مراد الذين قاموا بعبء التنفيذ .

وفي ختام حديثي يشرفني أن أدعوكم سـيداتي وسادتي إلى التفضل بزيارة مقر الحاسـب الجديد كما يسعدني أن أتلقى ملاحظاتكم وتوجيهاتكم .

وفقـنا الله إلى كـل ما فيه الخير لمصرنا العزيزة ووطننا العربي الغالي .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمود مختار

عضو المجمع



حَوْسَبَة المصطلحات العلمية والفنية
التي أقرَّها المجمع في ثلاثة وستين عامًا*
(١٩٣٤ - ١٩٩٧)

للأستاذ الدكتور محمد هيثم الخياط*

تلك سُنَّةٌ حسنة ، سَنَّها أخونا المجمعيُّ اللُّغوي المحقِّق الثَّبْت ، الأستاذ الجليل أحمد الأخضر غزال ، يوم اقتحم غيرَ هيّاب مجال حَوْسَبَة المصطلحات العلمية العربية ، ففتح لنا بذلك فتحًا مبينًا، وألْحَبَ لنا الجادّة، وعبَّد لنا المحجَّة، فله أجرُ هذه السُنَّة وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة إن شاء الله .

وقد أتيح لي أن أشهد بدايات هذه المبادرة الجريئة ، في عَقْد السبعين من هذا القرن ، يوم استضاف الأستاذ الأخضر في معهد الدراسات والأبحاث للتعريب في الرباط ، حاضرة المملكة المغربية ، جلسة من جلسات إعداد المعجم الطبي الموحد ، ثم أتيح لي بعد عَقْد من الزمان ، سنة خمس وثمانين ، أن أشرُف بصحبة كوكبة من أعلام اتحاد المجامع ، في ندوة تعريب التعليم العالي والجامعي ، التي عقدت في الرباط كذلك ، وأن أطلع معهم على ما قطعته هذه المسيرة من أشواط . وكان قائد ركب المنتدين الذي زار المعهد ، شيخُنا الأستاذ الدكتور إبراهيم بيومي مدكور تغمده الله برحماته، ولعل أستاذنا الدكتور محمود حافظ لا يزال يذكر تلك الزيارة . فقد أعجبنا جميعًا أيما إعجاب بهذا العمل : أن تدخر كل معلوماتك المصطلحية في جهاز يقال له الحاسوب computer ، له أبجدية قوامها حرفان اثنان أو رقمان اثنان أو قُلْ: بِتَّان bits اثنان بلغة الحاسوب إن شئت : "صفر" و "واحد" تُبنى منهما آلاف مؤلفة من العبارات أو الجمل الحاسوبية التي تبدو لك إذا طالعتها شبيهة بأرقام الهاتف ، كل رقم هاتفي يتألف من ثمانية

---

* ألقي هذا البحث في الجلسة الرابعة يوم الأربعاء ١٢ من ذي القعدة سنة ١٤١٨هـ الموافق ١١ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٨م.

بتّات ، ويطلق عليه اسم " البَيْت " byte : بَيْت الحاسوب إن شئتم مقارنةً ببيت الشعر !

أقول : تُدْخِل هذه المُعْطَيَات data أي أبيات القصيدة الحاسوبية في هذا الجهاز اللطيف ، فما أسرع ما يَلْتَقِم هذه المُدْخَلات inputs ، ثم لا يلبث أن يقوم باعتمالها أو معالجتها processing وفق برنامج معيَّن زوّدتَه به من قبل ، ثم يتيحها لك مُخْرَجَات outputs ميسورة التناول كبيرة الفائدة ، منسجمة كلّ الانسجام مع ما أمليتَ في هذا البرنامج .

هذه إذن هي أعضاء الحاسوب : فأعضاء الإدخال أشبه بحواس الإنسان الخمس التي تتلقف المعلومات من محيط المرء تلقُّفًا ، منها مثلا لوحة المفاتيح keyboard التي تشبه مفاتيح الآلة الكاتبة؛ ومنها أيضًا تلك الفُرضة في جسم الحاسوب التي يمكن أن يولَج فيها قرصٌ يحتوي على المعلومات أو التعليمات . أما أعضاء الإخراج فهي أشبه بوسائل التعبير التي يعبّر المرء بها عمّا يريد من صوت وإيماء وحركة وأسارير ، منها مثلا شاشة الجهاز التي تقرأ عليها ما يريد الحاسوب أن يعبِّر عنه من معلومات ، تُعرَض عليك مكتوبةً أو مرسومة ، ملوَّنةً أو غيرَ ملوّنة، مصحوبة بصوت ، أو صامتة ؛ ومنها الطابعة printer التي تسطر هذه المعلومات مكتوبة أو مرسومة على ورق .

ولكن واسطة العقد وجوهرة الجهاز هي ذلك العضو الشبيه بالدماغ في هذا الكائن العجيب ، وهو يتألف من ثلاثة أقسام : ذاكرةٌ memory تختزن ما يرد من معلومات وتعليمات ، وذهنٌ ذكي يقوم بإجراء العمليات الحسابية والمنطقية Arithmetic and Logic Unit(ALU) ، وعقلٌ يتحكّم في سائر مقوّمات الحَاسوب وينسّق بينها ويضبط مناشطها . أما ذهنُ الحاسوب وعقله فكثيرًا ما يطلق عليهما معًا - ومعهما بطاقات الإظهار والقرص الصلب - اسم : وحدة التحكم المركزية CPU . وأما ذاكرة الحاسوب فذاكرتان : ذاكرةٌ دائمة لا تمحى وإنما تُقرأ فقط Read Only Memory (ROM) وذاكرةٌ وقتيةُ الحفظ عشوائيةُ الإتاحة Random Access Memory (RAM) تُقرأ ما كانت لازمة ثم

تُمحى ويُكتب على آثارها متى انتفت الحاجة إلى بقائها .

أعود إلى زيارتَيْ معهد التعريب في الرباط فأقول : تمنى أستاذنا الدكتور حسني سبح رحمه الله وأحسن إليه ، في الزيارة الأولى ، وتمنَّينا معه ، أن يتاح لنا مثل ذلك في مجمع اللغة العربية بدمشق ، وتمنى أستاذنا الدكتور مدكور في الزيارة الثانية وتمنَّينا معه ، أن يتاح مثل ذلك في مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

وقد ظلّت الزيارتان والأمنيتان غضتَّيْن في خاطري ، حتى يسر الله لنا في المكتب الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية ، أن نحقق ذلك في هذه المرحلة الأخيرة من مراحل إعداد الإخراجة الجديدة من "المعجم الطبي الموحد "،مستخدمين نظامًا حاسوبيًا لتخزين المعلومات واسترجاعها وتوثيقها ، ابتكرَتْه منظمة اليونسكو سنة خمس وثمانين ، وعرَّبَتْه جامعة الدول العربية ، وهو نظام يعمل في بيئة متعددة اللغات ، ويُستخدم في أكثر من أربعين ألف مؤسسة في العالم ، في الوقت الحاضر لما أثبته من كفاءة ومصداقية في التعامل .

فباستخدام هذا النظام - وهو يدعى اختصارًا CDS/ISIS - أدخلنا المصطلحات الطبية التي بلغت مئة وخمسين ألفًا في الحاسوب باللغتَيْن العربية والإنكليزية. ولا تَسَلْ عمّا تحققنا لذلك من فائدة . فقد ساعدنا ذلك على ضبط المصطلحات، والتأكد من صحة هجائها باللغتين ، وعلى شكلها (تشكيلها) ودقة ترتيبها ، والتأكد من أننا لم نستعمل اللفظة العربية الواحدة لأكثر من مقابل أجنبي واحد . ثم إننا استطعنا - بإضافة روامز خاصة - أن نصنِّف المصطلحات بحسب الموضوع ، بحيث نستطيع - متى نَجزَ المعجم برمّته إن شاء الله - أن نستخرج عشرات من المعاجم التخصصية .

على أن فوائد الحَوْسَبَة **computerization** لا تقتصر على ذلك . فهي تُيَسِّر إيصال حصيلة العمل المصطلحي إلى المستفيدين بأسرع وقت وأهون سبيل ، سواء استُنسخَتْ على أقراص لدينة **floppy disks** أو على أقراص مكتنزة **compact disks** بذاكرة تُقرأ فقط **CD-ROMs** . ثم إن الحَوْسَبَة تُيَسِّر التعرف على مواقف

المستفيدين من المصطلحات،وتتيح لنا-نحن سدَنَة المعجم دون سوانا - التعديل والتنقيح والتشذيب بحسب مقتضى الحال.

وخلاصة القول أن المصطلحات العلمية والتقنية تصبح بفضل الحَوْسَبَة أشبه بكائنات حية : تُولَد ، وتسجَّل ، وتنمو ، ويُراقب تطوُّرها ، وتتحرك بين الفروع العلمية المختلفة .

على أن حَوْسَبَة المعجم الطبي الموحد، قد فتحت لنا الباب لحَوْسَبَة مصطلحات المجمع . فقد تراءى لنا أن المصطلحات التي أقرّها هذا المجمع الموقّر في مؤتمراته لا يجوز بحالٍ أن تبقى حبيسة محاضر المجمع وقماطره، محجوبة عن عامة الناس ، اللهم إلا ثُلّةً من أولئك الذين يعرفون سبيل الحصول عليها ويسارعون إلى اقتنائها . فأوّل غرض من أغراض المجمع كما نَصَّ على ذلك مرسوم إنشائه " أن يحافظ على سلامة اللغة العربية ، وأن يجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون في تقدُّمها ، ملائمة على العموم لحاجات الحياة في العصر الحاضر" . ولذلك فقد كان أحدَ قرارات المجمع في السنوات الأولى لإنشائه " عرضُ الكلمات التي يقرها المجمع على الجمهور ، متقبلا ما يوجَّه إليها من النقد الصادق على مدى عامٍ من عرضها، وبهذا القرار يكون المجمع قد أشرك معه أهل العلم وأصحاب الرأي كافة .. " كما قال الدكتور محمد توفيق رفعت باشا رئيس المجمع سنة ست وثلاثين . وهو ما أكده الأستاذ الدكتور إبراهيم مدكور عام اثنين وستين بقوله عن هذه المصطلحات : "على أن الاستعمال هو الفيصل في الحكم على مدى صلاحيتها . ونحرص الحرص كله على نشرها في أوسع مجال ممكن ، فنضعها تحت أنظار الباحثين من عرب ومستعربين ، ونُهديها للمجامع العلمية والجامعات، ونبعث بها إلى وزارات التربية والتعليم في العالم العربي ، ونرحب بكل ما يُبدَى عليها من ملاحظات ، ولا نتردد في أن نعيد النظر فيها إن دعا الأمر".

فكيف يتأتى في عصرنا هذا "عرضها على الجمهور " و " نشرها في أوسع مجال ممكن " ، إن لم تستعمل

الوسائل العصرية الحديثة في بث المعطيات وإشاعة المعلومات.

من أجل ذلك خطر لنا أن نستفيد من تجربتنا في حوسبة المعجم الطبي الموحد، فننطلق من البرنامج الحاسوبي الذي استعملناه لهذا الغرض ، ونستخدمه بعد تعديله بعض الشيء ، لإدخال جميع ما أصدره المجمع من مصطلحات منذ إنشائه حتى اليوم في ذاكرة الحاسوب . وقد أنجزنا جُلَّ ذلك بعون الله ؛ أما التعديل الذي أدخلناه على البرنامج فلم يَزِدْ على وضع جميع المقابلات التي صيغت على مدى السنين في مقابل اللفظة الأجنبية الواحدة ، وعلى تسجيل سنة إصدار المصطلح ، أي السنة التي منحه فيها مؤتمر المجمع شهادة الميلاد ، وعلى مَظِنَّة وجوده في مختلف مطبوعات المجمع، وعلى الاستفادة من تصنيف ديوي Dewey العشري المستخدم في المكتبات ، لتبويب المواضيع التي تنتمي إليها المصطلحات .

هذه الثروة اللفظية الثمينة هي اليوم بين يدي أعضاء المجمع الموقرين وخبرائه ، مكتَنَزةٌ في الحاسوب ، سهلةُ المتناول ، يسيرة التداول . بمعنى أن الخطوة الأولى التي كثيرًا ما تكون أصعب الخُطُوات قد فُرِغ منها أو يكاد . وإذا كنّا قد اقتصرنا في هذه المرحلة على إدخال المصطلحات دون تعاريف ، فإننا نقوم الآن بإضافة هذه التعاريف ، وأملُنا أن نفرُغَ من ذلك في غضون شهر أو شهرين بحول الله .

فماذا بعد ؟

في المجمع الآن عشرةٌ من أحدث الحواسيب سَعِدَ المكتب الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية بتزويد المجمع بها . وأول ما أقترحه ، أن يتفضل الأستاذ الرئيس فيخصَّ كل لجنة من لجان المجمع بحاسوب تحتفظ به في غرفة اجتماعها . هذا الحاسوب يشتمل على ذاكرتين اثنتين : ذاكرة تُقرأ فقط ، وتضمُّ هذه الذخيرة المجمعية الكاملة، وهي متاحة اليوم في أقراص مكتنزة CD-ROMs ، وذاكرةٌ تُمحى وتُثبَت، وهي خاصة بكل لجنة على حدة ، تضيف إليها المصطلحات الجديدة ، وتعدل مصطلحاتها السابقة إذا لزم الأمر ، ولو أنني أوصي في المراحل الأولى على الأقل ، بمواصلة ما جرت عليه

العـــادة ، مـــن تدوين هذه الإضافات أو التعديلات في محاضر اللجنة الورقية بادي الـــرأي ، ثم يقـــوم محرر اللجنة المختص بإدخال ذلك في الذاكرة القابلة للتبديل . ثم تمرّ هذه المصطلحات الجديدة والمعدلة بمـــا كانـــت تمر به في العادة من مراحل الإقرار في مجلس المجمع ثم في المؤتمر ، حتى إذا ما أقرّت أضيفت إلى الذخيرة المجمعية الكاملـــة . وبذلـــك يُحافَظ على المسيرة المعهـــودة في إصدار المجموعات السنوية ، وتضاف إليها - دون أن تحل محلها - هذه الوسائل الحديثة .

أمـــا اقتراحي الثاني فيتلخص في أن تُـــربَطَ هذه الحواسيب جميعًا بشبكة محلية LAN ، تُشْحَن بشبكة داخلية للمعلومات intranet ، بحيـــث تســـتطيع كل لجنة أن تطّلع على ما توصلت إليه اللجان الأخرى أولاً بأول ، دون أن تكون لها القدرة على الـــتحوير والتبديل فيها . ويتطلب ذلك توافر جهاز إضافي يقال له المِخْدام server، وســـوف يكـــون مـــن دواعي سعادتنا في مـــنظمة الصـــحة العالمـــية أن نزود المجمع به.

ولي بعـــدُ اقتراح آخر . فحواسيب الدنـــيا كلُّهـــا تستطيع اليوم أن تتواصل وتـــتحاور ، مـــن خـــلال شبكة عالمية لـــلمعلومات internet ، يدعونهـــا أحيانًا الشـــبكة الشُعِّية webnet تشبيهًا لها بالشُّعِّ وهـــو بيـــت العنكبوت . وتستطيع كل مؤسســـة بـــل كل فرد أن يتّخذ لنفسه صـــفحة أو موضـــعًا في هذه الشبكة . فاقتراحي الثالث يتمثل في أن يتخذ المجمع الموقّر لنفسه مثل هذه الصفحة أو الموضع، فـــتكون ذخيرته المصطلحية المُقَرَّة متاحةً للعـــالم أجمع ، يستطيع من شاء أن يطّلع مـــنها على ما شاء ، دون أن يستطيع لها تغـــييرًا أو تبديلاً . وبذلك تتحقق الغاية التي تَغَيَّاها السلف الصالح من المجمعيين ، في إتاحـــة هذه المصطلحات لخاصَّة الناس وعامّـــتهم . وســـوف يتلقّى المجمع من مخـــتلف أصـــقاع المعمـــورة ، بالـــبريد الإلكتروني - وهو متاحٌ الآن في المجمع - مراســـلات نافعة ممن يريد أن يعلق على بعض المصطلحات بملحظ ، أو يُغني مادتها بـــرأي ، أو تعـــريفها باقتراح تبسيط أو فَضْـــلِ إيضـــاحٍ أو إضافة . ثم إن لذلك

حســـنة أخرى ، ألا وهي زيادة تعريف الناس بالمجمع ومطبوعاته ومنشوراته ، مما يـــزيد الطلب عليها والإقبال على اقتنائها زيادة كبيرة .

ولعـــل مـــا توصـــلنا إليه يشجع المجامع الأخرى على أن تقتدي بهذا المجمع الموقر، وتحـــذو حـــذوه في الشـــروع بحوسبة المصـــطلحات ، ثم إقامـــة شبكة داخلية لـــلمعلومات في كل منها ، توطئة لإقامة شبكة مجمعية عربية تربط بين مجامع اللغة العربية جميعًا وتسمح باجتسار الفجوات القائمـــة حاليًا بين المجامع وتساعد على توحـــيد المصـــطلحات من جهة، وعلى مواكـــبة الســـيل المنهمر من الألفاظ التي تـــتولد هنا وهناك تولُّد الكمأة مع تباشير الربيع .

مُنًى إن تكن حقًا تكن أعذبَ المنى

وإلا فقد عِشـــنا بها زمنًا رَغْـــدًا

وبعـــد ، فـــإن حَوْسبة مصطلحات المجمـــع، تتيح لكثير من الباحثين ومُعِدِّي رسائل الماجستير والدكتوراه ، أن يقوموا بإجراء عديد من الدراسات التحليلية لهذه الذخـــيرة اللغوية الثمينة . وأنا على مثل الـــيقين من أنهم سيخرجون منها بحصيلة قيمة من الدرسات الجادَّة . وقد اغتنمت مناســـبة حديـــث اليوم إليكم ، فقمت بدراســـة تحليلـــية بدائية جدًا لما اختزنته ذاكرة الحاسوب من مصطلحات المجمع ، أعرض حصيلتها على حضراتكم في أربع ملاحظات:

الملاحظـــة الأولى : أن العدد الإجمالي لما أدخلناه من المصطلحات التي أقرّها المجمع في مؤتمراته على مدى السنوات الماضية ، يبلغ مئة وأربعين ألف مصطلح ، والعدد الكلي لا يزيد على ذلك كثيرًا .

وأن عدد ما أقر منها في كل سنة مبين في الجدول الأول .

وأن عدد ما ينتمي منها إلى كل علم من العلوم مبين في الجدول الثاني .

الملاحظـــة الثانية : أن المجمع لم يلجأ في الغالب إلى ضبط المصطلحات بالشكل ، فمصطلح " معط عام " مثلا يمكن أن يراد بها المَعَط العام بفتحتين على الميم والعين ، بمعـــنى ســـقوط الشعر الشامل alopecia universalis . كما يمكن أن يرادَ بها المُعْطي العـــام universal donor الذي نستطيع نقل

الـــدم مـــنه إلى الناس كافّة . ومصطلحا "الخِلط" بكسر الخاء ، واحد الأخلاط أي ســـوائل البدن humor ، و" الخَلط " بفتح الخاء ، بمعنى المزج mixing يُرسمان بصورة واحـــدة وهكذا . وهذا في ظني أمر لابُدّ مـــن تلافيه، لأن المجمع مرجعٌ في ضبط المصطلحات كما أنه مرجعٌ في وضعها . وتدارُكُ ذلك سهل ميسور إن شاء الله .

الملاحظـــة الثالثة : أن الأحرف المستعملة بحاجـــة إلى اتفـــاق عليها أيضًا . فالهمزة توضع أحيانًا فوق الألف أو تحتها ـ خطأً أو صـــوابًا ـ أو أنهـــا تُهمل فلا تُكتب . والـــياء في آخـــر الكـــلمة تكتب أحيانًا معجمـــة بنقطتين من أسفل ، وتترك في كـــثير مـــن الأحـــيان مهملة بلا نقط ، فـــيقرؤها معظـــم إخوانـــنا العرب غير المصريين ألفًا مقصورة .

والملاحظـــة الرابعة : أن الألفاظ العربية تتعدد في مقابلة اللفظة الأجنبية الواحدة . وهذا أمر مقبول في قلّة قليلة من الحالات، حـــين تكون للمصطلح الأجنبي الواحد عـــدة مَعَانٍ . ولكنه أمر غير مستساغ في غـــير ذلك من الأحوال . وما كان لهذا الأمـــر أن يُكتشف بسهولة لولا استعمال الحاســـوب ، لأن تصـــرُّم السنين يُنسي واضع المصطلح ما وضع من قبل ، لاسيّما حـــين تتعدد حقول العلم . ولكن تدارك ذلك سهل ميسور أيضًا إن شاء الله.

بـــارك الله في هذا المجمع العظيم وفي عطائـــه، وجعـــل يومَه خيرًا من أمسه ، وغَـــدَه خـــيرًا من يومه، وأيّده بمَدد من عـــنده، وأنجـــح مســـعاه في خدمة لغة التنـــزيل العزيز.

محمد هيثم الخياط

عضو المجمع المراسل من سوريا

المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها مجمع اللغة العربية بالقاهرة

١٩٥٧ - ١٩٩٦

موزعة حسب السنوات

- نتائج أولية لدراسة جارية -

سنة الإصدار	عدد المصطلحات
١٩٥٧	٩٧٨٠
١٩٥٨	–
١٩٥٩	–
١٩٦٠	٢٣٠٦
١٩٦١	–
١٩٦٢	٣٥٠٣
١٩٦٣	١٤٦١
١٩٦٤	٧٦٦
١٩٦٥	٣٤٦
١٩٦٦	١١٩٩
١٩٦٧	١٤٢٦
١٩٦٨	١٣٩٤
١٩٦٩	١٦٢٧
١٩٧٠	١٦٠٦
١٩٧١	١٧٣٤
١٩٧٢	١٥٩٠
١٩٧٣	١٩٦٥
١٩٧٤	١٨٩٣
١٩٧٥	١٤٥٣
١٩٧٦	١٢٢٥
١٩٧٧	١١٢٩

سنة الإصدار	عدد المصطلحات
١٩٧٨	٣٧٥٠
١٩٧٩	٢٧١٨
١٩٨٠	٣٣٧٣
١٩٨١	٢٧٨٠
١٩٨٢	٩١٠٠
١٩٨٣	١٢٦٨٩
١٩٨٤	٥٤٤٨
١٩٨٥	٣٩٨٦
١٩٨٦	٧٣٤٥
١٩٨٧	–
١٩٨٨	٩٣٣١
١٩٨٩	–
١٩٩٠	٣٨٦٥
١٩٩١	٣٢٣١
١٩٩٢	–
١٩٩٣	١٧٠٠٤
١٩٩٤	١١١٦٧
١٩٩٥	–
١٩٩٦	٢٦٣٣
١٩٩٧	–
١٩٩٨	–

المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها مجمع اللغة العربية بالقاهرة

١٩٥٧ - ١٩٩٦

موزعة حسب الفروع العلمية

- نتائج أولية لدراسة جارية -

الرمز الموضوعي (حسب تصنيف ديوي العشري)	الفرع العلمي	عدد التسجيلات
٠١٠	المكتبات والتوثيق والمعلومات	١٧٣٢
١٥٥	المنطق	٤٠
١٩٠	الفلسفة	٤٩٠٣
٣٠٠	العلوم الاجتماعية	١٩٦٩
٣٣٠	الاقتصاد السياسي	١٦٢٨
٣٤٠	القانون	٩١١٣
٣٥٠	الإدارة	٢٢١
٣٧٠	التربية والتعليم	٤٩٧
٣٩٠	ألفاظ الحضارة	١٠٠٢
٤٠٠	اللغات	٥٩٧
٥١٠	الرياضيات	٤١٢٠
٥٣٠	الفيزيقا (الفيزياء)	١٤٧٤٦
٥٣١	ميكانيكا السوائل	١٨٧
٥٣٥	الضوء والبصريات	١٧١
٥٣٧	الكهرباء والالكترونيات	٩٢٥
٥٣٨	المادة والذرة	٨٢١
٥٤٠	الكيمياء والصيدلة	٧٧٧٣
٥٥٠	الجيولوجيا	٩٤٨٦
٥٧٠	البيولوجيا (علم الأحياء) والزراعة	٢٠٧٥٠
٦١٠	الطب	٢٠٠٣١
٦٢٠	الهندسة	٥٤٩٢

الرمز الموضوعي (حسب تصنيف ديوي العشري)	الفرع العلمي	عدد التسجيلات
٦٢٦	الهيدرولوجيا	٤٩٤٤
٦٦٥	النفط	١١١٤٧
٦٧٠	الصناعات المحلية	٥٢٦
٦٨٠	الحرف اليدوية	٦٨٠
٦٩٠	البناء	٦٨
٧٠٠	الفنون الجميلة	٢٣٩١
٧١٩	السياحة	١٤٢
٧٢٢	الآثار	١٥٢
٧٢٣	العمارة العربية	١٣٩
٧٤٠	الرسم والزخرفة	١٤٤
٧٦٠	الطباعة	١٧
٧٧١	السينما	٤٧٥
٧٨٠	الموسيقى	١٥٨٤
٧٩٢	المسرح والتمثيل	٢٤٥
٧٩٧	الرياضة	١٧١٠
٩٠٠	التاريخ	١٠٦٢
٩١٠	الجغرافيا	٣٤٣٧



اللغة العربية ووسائل النهوض بها في مصر (*)

للأستاذ الدكتور محمود حافظ

كثر الكلام في السنوات الأخيرة بين جمهرة العلماء والمثقفين في مصر عن مستوى اللغة العربية في مدارسنا ومعاهدنا وجامعاتنا وجوانب أخرى من حياتنا اليومية والذي بلغ درجة ملحوظة من الهبوط والضعف مما أشاع قلقا بالغا بين سدنة اللغة العربية وحماتها والقائمين فيها.

ومنذ عهد ليس ببعيد إبَّان أيامٍ خلت كانت اللغة العربية هي اللغة الفصحى وكان معتنى بها تدريسًا وتلقينًا وكتابةً وإذاعةً مرئيةً ومسموعةً ولكن أصبح الآن بين اللغة ودارسيها والناطقين بها جفوةٌ صارمةٌ وحلّت محلها اللغة الدارجة أو خليطٌ بين الفصحى والعامية - والحقُّ إن اللغة تعاني اليوم من أزمة حادة بسبب ما يجري اليوم على الألسنة في كل مكان فالكثير مما نأكل وما نلبس وما نتداوى به وما نستخدمه من أدوات الصناعة والزراعة ومختلف الفنون وما يقع عليه بصرنا وما تسمعه آذاننا وما تلمسه أيدينا مستوردٌ أو مصنوعٌ بلفظه الأجنبي ويطلبه الناس بلفظه الدخيل على اللغة وأصبح كل ذلك جزءًا من حياتنا .

ومما زاد الأمر سوءًا ما نشهده اليوم من هجمة اللغات الأجنبية والتي امتدت أيضًا إلى وسائل الإعلام إلى درجة إدخال المقطع " كو " (اختصار كلمة Company أي شركة) على أسماء الأعلام والشركات فأصبحنا نقرأ على لافتات المحلات التجارية مسميات مثل يوسف كو للمقاولات ، هيدكو للأعمال الهندسية ، وأرامكو للبترول وفاركو للأدوية - كما انتشرت لافتات بأسماء أجنبية مكتوبة بحروف عربية مثل سوبر ماركت ، وفاين فودز ، هوم سيرفس ، ميريلاند وغيرها .

ومما يبعث على القلق أيضًا انتشار مدارس اللغات في مصر في السنوات

---

* ألقيت هذه المحاضرة في الجلسة الخامسة يوم الأربعاء ١٢ من ذي القعدة سنة ١٤١٨هـ الموافق ١١ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٨م.

الأخـــيرة فهـــي تُســـهم في هذه الهجمة الشرسة على اللغة العربية إذ لا تولي اللغة العربـــية في مناهجها إلا أقل القليل وهذا أمر جدّ خطير على مستقبل أبنائنا فكريا وثقافيا واجتماعيا ويدعونا ذلك إلى وقفة صارمة ضد هذا التيار .

ومن اللافت للنظر عن هجمة اللغات الأجنبـــية على اللغات الوطنية للشعوب وغزو اللغة الإنجليزية والانبهار بكل ما هو أمـــريكي مـــا قاله فيديريكو ماير مدير اليونسكو في محاضرته التي ألقاها في تونس مـــنذ شـــهور عـــن التطورات الثقافية والاقتصادية والسياسية في العالم محذّرًا من خطـــورة العولمة التي تتجه بقوة إلى صبغ العـــالم بثقافة واحدة ولغة سائدة واحدة حـــتى تفقد الشعوب هويتها وتنصهر في بوتقة ثقافة العولمة .

وعن الموضوع نفسه تحدث أستاذنا الدكـــتور شـــوقي ضيف رئيس المجمع في محاضـــرة له بالجامعـــة العربية مندداً بثقافة العولمة ولغة العولمة ومندّدا بخطرها عـــلى هويتـــنا الوطنـــية والثقافية ولغتنا القومية .

ومن المصادفات القريبة ما كتبه أستاذٌ غـــيورٌ على اللغة العربية هذا الأسبوع في إحـــدى مجـــلات دار الهلال (المصور) وكأنه على موعد لما نتصدّى له اليوم من مختلف قضايا اللغة العربية إذ يقول :"اللغة رَمْـــزُ أمّتنا وبها نزل القرآن وحين يضيع هـــذا الرمـــز تضيع معه الهوية والهدف ولذلك علينا الحفاظ عليها ونبتعدُ عن كل ما يفسدها .

وكانت وسائل الإعلام من قبل تقوم بهـــذا الدور ، وبذلك شاركت في إعداد أجيال تحرص على اللغة العربية وسلامتها ولكـــن ما يحدث الآن هو العكس تماما ويتبدى هذا في الكلمة المسموعة والكلمة المرئية حين تجري على الألسنة لغة عامية دارجـــة هابطـــة المستوى تبرأ منها لغتنا الجمـــيلة، لذلك لابد لأصحاب الأقلام الحرة أن يتصدوا لهذه الظاهرة حتى لا تمتد لمـــا هـــو أبعدُ من ذلك فيضيع منا الرمز ونفقد الهوية ".

الاهتمام باللغة العربية :

لســـت في حاجـــة إلى القـــول إن اهتمامنا باللغة العربية ينبع من عقيدة دينية

ثم مـــن عاطفـــة وطنـــية وقيم حضارية وضرورات اجتماعية - هي وعاء الفكر ووسيلة الاتصال والتفاهم ورابطة القومية - هـــي اللسان المبين الذي حفظه الله مع الذكــر الحكيم وهي الوعاء الذي يحوي خبرات أهلها وتجاربهم ومعارفهم وفنونهم ومثـــلهم العليا وسائر ضروب ما تنتجه قرائحهم والذي يحتفظ كل ذلك من جيل إلى جيل عبر العصور - واللغة العربية إلى هذا كله الأداة الأساسية التي نستخدمها في نقـــل مختلف العلوم والفنون والمعارف إلى الناشـــئة في مـــراحل تعليمهم العام والعـــالي والجامعي وهي كذلك أداة نشر الـــثقافة بأوسع معانيها وتراثنا وحضارتنا عن طريق مختلف وسائل الإعلام كما هي الأداة التي يستخدمها الإنسان في تثقيف نفسه بنفسه وفي تعلمه الذاتي مدى حياته - ومن هنا تبدو أهمية اللغة العربية وأهمية تعلمها وتعليمها لا باعتبارها مادة دراسية مقـــررة فحســـب ولكن باعتبارها محورا أساســـيا في بـــناء الإنسان بكل جوانبه ومحـــورا للعملية التعليمية في كل مراحل التعليم ومحورا للنشاط الإنساني في المجتمع

وفـــوق كـــل ذلك الاعتبار الديني فكل شـــعائر الإسلام وأركانه تدعو إلى تعلم اللغة العربية ثم كان القرآن الكريم الباعث إلى أكـــثر العلـــوم العربية الخالصة سواء العلـــوم الدينية من تفسير وحديث وفقه وتشـــريع أو العلوم الدنيوية من نحو ولغة وبلاغة وغيرها وقد حمل الأزهر الشريف في مصر هذه الرسالة أكثر من ألف عام .

عبقرية اللغة العربية :

وعن عظمة اللغة العربية وعبقريتها ما شـــهد به المستشرقون المنصفون فقد قال المستشـــرق جرونباوم في مقدمته لكتاب تراث الإسلام :" إن اللغة العربية هي محور التراث العربي الزاهر - وهي لغة عبقرية لا تدانـــيها لغة في مرونتها واشتقاقها وهذه العـــبقرية في المـــرونة والاشتقاق اللذين ينبعان من ذات اللغة جعلتها تتسع لجميع مصـــطلحات الحضارة القديمة بما فيها من علـــوم وفنون وآداب وأتاحت لها القدرة عـــلى وضع المصطلحات الحديثة لجميع فروع المعرفة " - وكذلك يقول المستشرق الألمـــاني بروكـــلمان الذي أرخ للفكر والتأليف العربيين في العصر الجاهلي حتى

الآن في سلسلة كتبه الشهيرة " تاريخ الأدب العربي " يقول إنه بفضل القرآن الكريم بلغت اللغة العربية من الاتساع مدى لا تكاد تعرفه أي لغة أخرى .

وفي معرض التدليل أيضًا على ثراء اللغة العربية أن هناك علمًا ما يثبت أن اللغة العربية الفصحى هي أم اللغات وأصل الكلام بينما تمثل اللغات الأخرى قنوات وروافد لها - وكما يقول الأستاذ الدكتور محمود الرضاوي مقرر لجنة التعريب باتحاد الأطباء العرب فإن ٨٠ من أفعال اللغة السكسونية ، ٧٥ من أفعال اللاتينية تأتي من أصل عربي ، ويؤيد هذا أن هذا عدد الجذور في اللغة العربية يزيد على ١٦٠٠٠ ستة عشر ألف جذر بينما في اللغة السكسونية ما يزيد قليلا على ألفي (٢٠٠٠) جذر في حين لا تحتوي اللغة اللاتينية إلا على ثمانمائة (٨٠٠) جذر مع ملاحظة عامة أخرى أن اللغة العربية تخرج منها مشتقات وتراكيب قد تجل عن الحصر.

ودليل آخر (كما يقول أستاذ الفلسفة فريد تادرس) فإن عدد أبنية كلام العرب وكما يقرر الخليل بن أحمد في كتاب " العين " يبلغ ٤١٢ و ٣٠٥ و ١٢ كلمة ولذلك فهي- أي اللغة العربية - أكثر لغات العالم أصوات ومقاطع إذ بها ٢٨ ثمانية وعشرون حرفا غير مكرر ، بينما في اللغة الإنجليزية ستة وعشرن(٢٦) حرفا ومنها مكرر - وفي هذا السياق يصفها سليمان البستاني مترجم إلياذة هوميروس بأنها " أطول اللغات الحية عمرًا وأقدمها عهدًا وأكثرها ثراء بالألفاظ والمعاني مستشهدًا على ذلك بالإلياذة فهي بكل بلاغتها وسائر منظومات هومروس على علو شأنها لم تُقم اللغة اليونانية دعامة ثابتة حتى في بلادها " لكن اللغة العربية وحدت اللسان بين العرب وانتشرت بين آلاف المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وفي كل مكان .

لمحة تاريخية عن اللغة العربية في مصر :

عرفت مصر اللغة العربية بعد الفتح إبَّان القرن السابع الميلادي (عام ٦٤٠م) وعندما دخلها العرب كانت اللغتان القبطية واليونانية سائدتين في البلاد وقد استقدم الفاتحون معهم مترجمين للتفاهم

مع أهل البلاد في ذلك الوقت وقد استمر الحال على هذا المنوال قرابة قرن من الزمان إلى أن صدر أمر بإحلال اللغة العربية في الهيئات الحكومية وابتدأت اللغة العربية تتغلغل في البلاد مع انتشار أهلها - ووفد على مصر بعض العلماء العرب الذين كتبوا وألفوا بالعربية مثل ابن يونس في القرن العاشر والبغدادي في القرن الثاني عشر والثالث عشر وغيرهما - وقد عاشت اللغة العربية مع اللغة القبطية عدة قرون في مصر إلا أن هذه الأخيرة أخذت تنحسر رويدا رويدا بحلول أواخر القرن الثامن عشر وكانت العربية قد استقرت وعم استعمالها في مصر كلها .

وفي أوائل القرن التاسع عشر بدأ الحكم التركي لمصر وتعصبت العناصر التركية التي تولت الحكم للغتهم وتخلف تعليم اللغة العربية وشاعت العامية حتى في المكاتبات الرسمية ثم جاء الاحتلال البريطاني (١٨٨٢) وقصر اهتمامه على المرحلة الابتدائية من التعليم فتراجعت اللغة العربية إلى معقلها بالأزهر ودار العلوم وأخذ المحتلون يحاربون اللغة العربية ويفرضون لغتهم على مواد التعليم كله لتجذب المتعلمين بها إلى حظيرة ذوي الثقافة الإنجليزية ورأوا أن إحلال العامية المصرية محل اللغة العربية قد يحقق مآربهم فنادوا بذلك صراحة وقد آثار ذلك الشعور الوطني الذي ظل يعتمل في صدور الوطنيين المخلصين من قادة الشعب إلى أن قامت ثورة عام ١٩١٩م وصدر في أعقابها دستور ١٩٣٢ فأعاد سعد زغلول بجرة قلم اللغة العربية لغة للتعليم في جميع المدارس الحكومية ثم إخضاع التعليم الأجنبي للإشراف المصري ومحاربة الدعوة إلى استخدام العامية - وتقلص بذلك نفوذ دنلوب وغيره من المستشارين البريطانيين الذين كانوا نكبة على التعليم بصفة عامة وعلى اللغة العربية بصفة خاصة .

وبدأت بعد ذلك نهضة علمية وتعليمية تمثلت في إنشاء الجامعة المصرية عام ١٩٢٥ والتوسع في إنشاء المدارس الابتدائية والثانوية والمعاهد العليا ثم أنشئ مجمع اللغة العربية عام ١٩٣٢ فكان نصرا كبيرا للغة العربية والحفاظ على سلامتها والعمل على أن تكون وافية بمطالب

العلوم والفنون في تقدمها ملائمة لحاجات الحياة في العصر الحاضر .

اللغة العربية في التعليم العام في مصر

الوضع الحالي بالنسبة لتعليم اللغة العربية :

اهتمت مصر في ربع القرن الأخير وقبل ذلك بالتعليم الفني فزاد عدد المدارس زيادة مطردة في كل رجًا من الأرجاء في الحضر والريف على حد سواء - وفي العام الدراسي ١٩٩٥/١٩٩٦ بلغ عدد المدارس الحكومية في المراحل المختلفة من التعليم ابتدائية وإعدادية وثانوية وفنية ٢١,٢٩٩ مدرسة عدا المدارس الخاصة (وكان نصيب رياض الأطفال من هذا العدد ٢٠٦٠ مدرسة ، التعليم الابتدائي والإعدادي ١٨٨ و ١٦ مدرسة ، الثانوي العام ١٤٥٢ مدرسة ، الثانوي الفني ١٥٩٩ مدرسة) وإذا أضفنا إلى هذا العدد المدارس الخاصة والمعلمين والمعلمات ومدارس أخرى وما زاد من مدارس في العام الدراسي ٩٧/٩٦ يصبح العدد نحو ٢٥٠٠٠ خمسة وعشرين ألف مدرسة (كما ذكر ذلك وزير التعليم في معرض حديثه عن التعليم بالمجالس القومية المتخصصة) .

وبالنسبة لعدد الطلاب فيبلغ في العام الدراسي ٩٦/٩٥ ٧٥٠ و ٧٣٩ و ١٠ عشرة ملايين وسبعمائة وتسعة وثلاثين ألفا وسبعمائة وخمسين طالبا في مراحل التعليم العام والفني (ومن هذا العدد الكلي ٧٠٢ و ٢٦٦ طفلا في رياض الأطفال ، ٤٣٧ و ٤٧٠ و ٧ تلميذا في التعليم الابتدائي والإعدادي ، ٣٨٧و ٨١٧ طالبًا في المدارس الثانوية ، ٤٢٤و ٧٨٥ طالبا في الثانوي الفني) وإذا أضفنا إلى هذا العدد الكلي طلاب المدارس الخاصة وطلاب وطالبات المعلمين والمعلمات ومدارس أخرى وما زاد من عدد الطلاب في العام الدراسي ٩٧/٩٦ يصبح العدد أكثر من اثنى عشر مليونا من الطلاب في جميع مراحل التعليم العام والفني.

وبالنسبة لعدد المدرسين في هذه المراحل فيبلغ العدد ٨٥٠,٠٠٠ ثمانمائة وخمسين ألف مدرس يتدرب منهم الآلاف على تكنولوجيا المعلومات

والوسـائل التعليمية الحديثة والمستحدثة باستخدام الكومبيوتر والإنترنيت ، ومن هذا العدد يبلغ عدد مدرسي التعليم الفني ٢٣٥٧٤٨و مدرس منهم ٥٦٦٤٩و في التعليم الصناعي، ٨٥٦١٨و في التعليم الزراعي ، ٩٣٤٨١و في التعليم التجاري وقد زاد هذا العدد في العام الدراسي ٩٦/ ٩٧ ، ٩٧/٩٨ وكذلـك عدد مدرسي المراحل الأخرى من التعليم العام .

وقد تضخم عدد الطلاب في المدرسة الواحدة إلى نحو ألفين (٢٠٠٠) وبخاصة في المـرحلة الثانوية في بعض الحالات ، الأمـر الـذي يعـوق عملية الإشراف والإدارة عـلى الوجـه الأكمل . كما ارتفعـت كثافة الفصول المدرسية حيث يصل العدد فيها إلى ستين (٦٠) تلميذا أو أكثر في الفصل الواحد مما يؤثر سلبيًّا على العملية التعليمية ومستوى الأداء .

وتتصدر اللغة العربية مناهج الدراسة في هذه المراحل من التعليم العام . ويقوم بتدريسـها عدة آلاف من المدرسين من ذوي المؤهـلات والمستويات المختلفة مما سـنعرض له في حيـنه - ولكن الحقيقة اللافـتة للنظر في هذا العام أن العجز في مدرسـي اللغـة العربية في التعليم العام والتعلـيم الفني ودور المعلمين والمعلمات طبقا لإحصائية ١٩٨٦/٨٥بلغ ١٢٨٥٢و مدرسًا ومُدرسة زاد زيادة كبيرة في العام الدراسـي ٩٥/٩٦ ، ٩٦/٩٧ بازديـاد العـدد الكبير من المدارس التي أنشئت في السـنوات الأخـيرة كذلك ازدياد عدد الطلاب باطراد.

المشكلات الأساسية في تعليم اللغة العربية:

يجابـه تعليم اللغة العربية في مراحل التعلـيم العام في مصر في الوقت الحاضر ومـنذ سـنوات مشكلات أو صعوبات نتناولها في ما يلي :

أولا - معلم اللغة العربية وضعف مستواه وإعداده :

عـلى الـرغم مـن تقدم الوسائل التكنولوجـية الحديـثة واستخدام المواد التعليمية المبرمجة في تعليم اللغة إلا أن المعلم كـان ولازال وسيظل أساسا مكينا من أسس العملية التعليمية والتربوية ولاشك أنـه يحتل قلب المشكلة أو حجر الزاوية فـيها - ومن الملاحظ في مصر أن معلمي

اللغـــة العربـــية يتم إعدادهم في الوقت الحاضر في عدد من الكليات هي كلية دار العلوم وكليات اللغة العربية بجامعة الأزهر وأقســـام اللغـــة العربية بكليات الآداب وأقســـام اللغـــة العربية بكليات التربية - وكانـــت دار العلوم منذ إنشائها من أهم الينابـــيع الـــتي تزود التعليم العام في كل مـــراحله بمدرســـي اللغة العربية وكانوا مؤهلين كاملا لتدريس هذه اللغة إذ كانوا مـــزودين في مـــراحل تعليمهم السابقة بأسس قوية تتمثل في حفظ القرآن الكريم والدراســـات الدينـــية والعربية العملية - ولكـــن بعد انضمام كلية دار العلوم إلى جامعـــة القاهرة أصبحت تستقبل طلابها مـــن حملة الثانوية العامة من ذوي المجاميع المنخفضة فأدى ذلك إلى ضعف مستواهم في اللغـــة العربـــية وكذلك أصبح الحال بالنســـبة لطـــلاب أقســـام اللغة العربية وخريجيها في الكليات الأخرى ، ومما يزيد الحال سوءا أن الغالبية العظمى من هؤلاء الخريجين يوجهون إلى تدريس اللغة العربية دون تأهـــيل تربوي ودون تدريب على طرق التدريس .

ومـــن المشـــاهد أيضًا ضعف إقبال الطلبة على كليات اللغة العربية وأقسامها بالجامعـــات المصـــرية وقبول أقل الطلبة مجموعًا سدًا للحاجة كمًّا لا كيفًا - الأمر الـــذي أدى إلى عجز ظاهر في مدرسي اللغة العربية اللازمين لمراحل التعليم العام وضعف مستواهم ، وقد زاد المشكلة حدة الأعـــداد الكـــبيرة التي تعار للتدريس في الأقطار الأخرى وهؤلاء يتم اختيارهم من أكفـــأ العناصـــر وأكثرها خبرة - وتجدر الإشـــارة أيضًا إلى أن تعدد الكليات التي يتخرج فيها معلمو اللغة العربية أدى إلى عـــدم التناســـق بـــين المناهج والمقررات الدراســـية بهذه الكليات واهتمام أغلب هذه الكليات باللغة كلغة وعدم اهتمامها باللغة ومكوناتها كجزء لا يتجزأ من حياة . الإنســـان في مـــراحل نموه المختلفة وفي مستوياته الحضارية المتباينة وغني عن البيان أن اللغة كالكائن الحي تتأثر بالبيئة والمناخ الـــذي تحـــيا فيه وهي تنمو وتتطور في مضـــمون صورها فتخشن في ظل البداوة وترق وتلين في ظل الترف والمدنية وتتأثر برقي الثقافة وتقدم العلوم والمعارف .

ثانيًا : ازدواج اللغة :

وهذا أيضًا تمثل مشكلة في تعليم اللغة العربية فهناك لغة التخاطب أو العامية التي يتعامل بها الناس في حياتهم اليومية العامة والخاصة وهناك لغة الكتابة في معاهد التعليم وفي الكتب والصحف غيرها من المجلات - ولاشك أن للغة التخاطب التأثير القوي بما تتمتع به من نفاذ وأداء وسعة انتشار وتلقائية ومزاحمة للغة الفصحى في وسائل الإعلام وهذه تغزو الصغير والكبير وتحاصر المتكلم في كل بيت بل في كل فصل من فصول الدراسة في المدارس والمعاهد وغيرها من مجالات الحياة المختلفة.

ثالثًا - مشكلات وصعوبات أخرى .

وهي تتمثل في :

(١) افتقار كتب القراءة إلى التدرج اللغوي والتخطيط العلمي السليم لها حتى ينتقل فيها التعليم انتقالا طبيعيا من خطوة إلى الخطوة التي تليها .

(٢) عدم توافر معجم لغوي حديث لأي مرحلة من مراحل التعليم العام.

(٣) عدم توافر مواد القراءة الحرة للتلميذ في مختلف المراحل وبخاصة في مرحلة الطفولة ويتصل بذلك قلة العناية بالمكتبات المدرسية واختبار الكتب الصالحة والمشوقة.

(٤) ازدحام مناهج النحو بكثير من القواعد مع صعوبتها .

(٥) اضطراب المستوى اللغوي بين كتب المواد بل بين كتب اللغة العربية في الصفوف المختلفة .

(٦) قلة الاهتمام بين مدرسي اللغة العربية وغيرها من مدرسي المواد الأخرى باستخدام اللغة العربية الصحيحة في تدريسهم .

(٧) قلة استخدام الوسائل والمعينات التعليمية الحديثة في تعلم اللغة .

هذه هي أهم المشكلات أو الصعوبات التي تواجه اللغة العربية وتعليمها في مصر في الوقت الحاضر وتحتاج إلى تضافر الجهود وإلى إجراء الدراسات العلمية الجادة في جميع الهيئات والمؤسسات والجامعات التي تعمل في مجال تعليم اللغة العربية وذلك للنهوض بها

وارتقائها - وتجدر الإشارة هنا إلى الدور البناء الذي يقوم به مجمع اللغة العربية بالقاهرة والمجامع العربية الأخرى في هذا المجال ويرى البعض ضرورة إنشاء مركز لتطوير تدريس اللغة العربية أسوة بمراكز تطوير اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

اقتراحات وتوصيات للنهوض باللغة العربية في التعليم العام :

هناك أمور واعتبارات هامة في تدريس اللغة العربية وتعليمها لا تلقى العناية الكافية ويجب الأخذ بها للنهوض باللغة العربية ومن هذه الاعتبارات :

١- أن يستقر في أذهان القائمين على تدريس اللغة العربية والمخططين لمناهجها الدراسية وأهدافها أن اللغة العربية عنصر أساسي من مقومات الأمة والشخصية العربية وأنها لغة القرآن الكريم والتراث الحضاري الإسلامي وأنها وعاء للمعرفة بكل جوانبها ووسيلة للتفكير والتعبير ولا تكون مجرد مادة مستقلة بذاتها للدراسة وأن ترتبط بالمجمع وتتفاعل معه لتكون أداة سهلة وطيعة للتعبير عن مشكلاته وقضاياه القومية .

٢- أن يكون البدء بتعليم اللغة عن طريق نقل الطفل أو التلميذ في المرحلة الأولى من مراحل التعليم العام نقلا رقيقا متدرجًا من لغته المختلطة إلى اللغة السليمة بعناصرها الأساسية الأربعة وهي الحديث والاستماع والقراءة والكتابة ويكون ذلك عن طريق المران والتدريب والاستخدام مع الإفادة من القدر المشترك بين العامية والفصحى ومع ترقية العامية إلى الفصحى في تدرج وفي رفق (مثل : حنسأل تصبح سنسأل ، وكدا تصبح كذا ، ده تصبح ذا أو هذا)

ومعنى هذا أن هناك هدفين يجب العمل على تحقيقهما ، أحدهما : تشجيع استخدام القدر المشترك بين العامية والفصحى ، وثانيهما : ترقية العامية بردها في ذهن التلميذ إلى أصولها العربية ما أمكن ذلك وعن طريق المران أيضًا ننقل التلميذ رويدا رويدا إلى التشكيلات السليمة في اللغة الفصيحة .

٣- تنمية الميل للقراءة والاطلاع كهدف أساسي من أهداف التعليم بل هو وسيلة تعليم الإنسان نفسه وإتاحة فرص

الاستماع إلى مختارات من القراءة شعرًا ونثرًا أو قصصا ونصوصا .

٤- ضرورة التخطيط لكتب القراءة فلها في كل مرحلة من مراحل التعليم العام وظيفتها ففي المرحلة الأولى على سبيل المثال يكتسب التلميذ عن طريق المهارات الأولية ثم تزداد التراكيب في علاقاتها ومستوياتها مسايرة نضج التلميذ وخبرته ويزداد تبعا لذلك المحصول اللغوي عند التلميذ .

٥- ضرورة التنسيق بين مناهج اللغة العربية في مراحل التعليم العام الثلاث لإيجاد تكامل دقيق يوحد غايتها ويراعي تدريجيا ويوجه طريقة التدريس فيها ويحميها من التكرار . كما ينبغي أن تترك للمدرس مجالا للتجديد والابتكار .

٦- مراعاة التنسيق أيضًا في تأليف كتب اللغة العربية للمراحل الثلاث بحيث يؤلف الكتب وحدة متصلة تحقق أهداف كل مرحلة بطريقة متوازنة من ناحية التركيز أو الإسهاب أو البساطة أو التعمق وغزارة المادة أو قلتها وتعدد الأمثلة أو قدرها إلى غير ذلك من عناصر تأليف الكتب الدراسية ويكون الكتاب في كل مرحلة قادرًا على جذب انتباه الطالب مثيرًا لملكاته حتى يحبه ويألفه ويأنس إليه .

٧- ضرورة إيجاد تكامل بين تدريس اللغة العربية وتدريس المواد الأخرى من حيث الحرص على استخدام اللغة الفصحى في جميع مواد الدراسة .

٨- العمل على تيسير قواعد النحو للمراحل الثلاث وكذلك الرسم الإملائي وضرورة إصدار معاجم لغوية ومصورة لكل مرحلة من هذه المراحل وكذلك العناية بالمكتبات المدرسية .

٩- الارتفاع بمستوى مدرس اللغة العربية وتأهيله علميًا وثقافيًا ولغويا وتربويا ويشمل هذا أيضًا مدرسي المواد الأخرى.

١٠- استخدام الوسائل والمعينات التعليمية والتقنيات الحديثة كالحاسوب في تعليم اللغة العربية .

١١- العناية بتحفيظ التلاميذ في مختلف مراحل التعليم العام قدرا مناسبا من القرآن الكريم ليستقيم لسانهم وترسخ اللغة العربية السامية في وجدانهم مع الاهتمام بالثقافة الدينية الإسلامية وحفز الشباب إلى دراستها .

١٢- توجيه الاهتمام بالخط العربي وتيسير الحـــروف والتقليل من صورها بما يحفظ لها جمالهـــا بما لا يُبعدها عن الاتصال بالتراث وذلك للأهمية البالغة في اقتصاديات الطباعة واقتصاديات مبادئ الكتابة والقراءة .

١٣- ضــــرورة العمل على إنشاء مركز قومـــي لتطوير تعليم اللغة العربية يدرس واقعًـــا ويطور مناهجها وطرق تدريسها ويعني بتأهيل مدرسيها كما يضع سياسة تأليف الكتب والمراجع ويعمق الاستفادة من بحوث مجمع اللغة العربية واتحاد المجامع اللغوية العربية. كما يضع السياسة اللازمة لترقية المستوى اللغوي لجمهرة المواطنين.

١٤- الدعـــوة بـــأن تكون لغة الصحافة وأجهـــزة الإعلام المسموعة والمرئية ودور النشـــر هي اللغة العربية الصحيحة وذلك للقضـــاء على ظواهر الانحراف في الأداء اللغـــوي وعـــلى الخروج على القواعد وتحـــريف الألفـــاظ والعبارات وكذلك الدعـــوة إلى أن يهتم المتحدثون الخطباء بالحديـــث باللغة العربية بصفائها ونقائها وكـــل ذلـــك له انعكاساته على التلاميذ والطلاب من الأجيال الصاعدة .

سادتي العلماء الأجلاء :

هذا عرض متواضع عن قضية اللغة العربية في التعليم العام في مصر في الوقت الحاضر ألمحت فيه إلى تاريخها وواقعها والمشكلات الـــتي تحيط بها وتحاصرها - وأتبعت ذلك بتوصيات ومقترحات تهدف إلى حل هذه المشـــكلات وإلى الارتفاع بمستوى اللغة العربية .

واســـتميحُكُم عـــذرًا أني لم أتعرض في حديـــثي الـــيوم إلى واقع اللغة العربية في التعلـــيم العالي والجامعي فقد تناولت هذا الموضوع بإسهاب في محاضرتي التي ألقيتها في مؤتمر العام الماضي وفي هذا المحراب عن قضية التعريب في مصر .

والأمـــل كبير أن تتضافر الجهود نحو تحقـــيق الهدف الذي نسعى إليه بالنسبة للغتـــنا العربية باعتباره هدفًا قوميًا وثيق الصـــلة بكيانـــنا العربي وانتمائنا الوطني ولتعود اللغة العربية إلى سابق عهدها من المجد والسؤدد ونحن بالغُوه بإذن الله .

وشكرا جزيلا والسلام عليكم ورحمة الله

محمود حافظ

نائب رئيس مجمع اللغة العربية

المراجع

١- المجامع العربية والمصطلح العلمي — للدكتور *إبراهيم مدكور* — مطبوعات اتحاد الجامعات العربية ١٩٨٠م

٢- اللغة العربية والتعريب — للدكتور *عبد الكريم خليفة* — منشورات مجمع اللغة العربية الأردني ١٩٨٧م

٣- اللغة العربية في الجامعات ووسائل الارتقاء بها — مؤتمر جامعة الإسكندرية ـ كلية الآداب ١٩٨١م

٤- وسائل تطوير وإعداد معلمي اللغة العربية في الوطن العربي — كتاب المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الرياض ١٩٧٧م

٥- تحديث التعليم قبل الجامعة — مطبوعات المجلس القومي للتعليم والبحث العلمي الدورة الرابعة عشرة ١٩٨٦-١٩٨٧م

٦- مناهج اللغة العربية ووسائل النهوض بها في التعليم العام — مطبوعات المجلس القومي للتعليم والبحث العلمي الدورة السابعة ١٩٧٩م-١٩٨٠م

٧- إعداد معلم اللغة العربية — مطبوعات المجلس القومي للتعليم والبحث العلمي الدورة الثامنة ١٩٨٠م-١٩٨١م

٨- قضية تعريب التعليم العالي والجامعي في مصر — للدكتور *محمود حافظ* — مطبوعات مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٩٨٦م

٩- تعريب العلم — للدكتور *عبد الحليم منتصر* — كتاب المجمع المصري للثقافة العلمية ١٩٦٠م

١٠- العربية لغة العلوم والتقنية — للدكتور *عبد الصبور شاهين* — دار الإصلاح والنشر ـ السعودية ١٩٨٣م

١١- قضية التعريب في مصر — للدكتور *محمود حافظ* — محاضرة في الدورة ٦٣-١٩٩٧م

١٢ محنة اللغة العربية في التعليم العام — للأستاذ *نعيم فريد تادرس* الأهرام ١٩٩٧/١٢/٢٦



بين الفصحى والدارجة

للأستاذ الدكتور عبد الله الطيب

كان لأبناء العربية المتحمّسين لقوميتها الحديثة مطمع أن يجعلوا اللسان الفصيح هو المتداول في التواصل اليومي على وجه مشابه لما تم للمثقفين ومقاربيهم في أوربا وامتدادالها في استعمال الصحيح من ألسنتهم في التداول والتواصل اليومي بالكلام . وقد كانت في البلاد العربية ، وخاصة في مصر والشام نهضة طيبة وإنتاج علمي وتعليمي وأدبي نفيس .

ثمّ جعلت ترتفع أصوات همس بنوع انتكاس من الدعوة إلى استعمال الحرف اللاتيني،واللسان العامي. وحاربتها الأمة العربية بسلاحين،سلاح الدعوة إلى الوحدة الجامعة بين العرب ولا يكون ذلك أبدا بلهجات العربية المختلفة النطق والمعادن والأساليب وإنما يكون باللغة الفصيحة والاقتراب كل الاقتراب من منهجها وأساليبها وبيالها نطقا وكتابة. وسلاح الدين واللغة العربية الفصيحة هي لغة الكتاب والسنة وحضارة الإسلام وعلومه.

ثم نشأ لسان مشترك بين العرب من طريق وسائل التواصل والأعلام الحديث ملفق من اللغة الفصيحة والأساليب الدارجة بين الطبقات المثقفة كرجال الدين والتعليم والصحافة والقادة الخطباء السياسيين والشعراء المنادين بالحرية المنددين بالاستعمار وبرجال الأدب والنقد والقصة والمسرح .

وصحبت نشأة اللسان الفصيح المشترك التلفيقي على النحو الذي قدمناه حركة أخذ وتعريب ونزعة شبه شعوبية من بعض طالبي التشبه بالافرنج واللحاق بهم في نوع من عجلة وتقليد أعمى .

وعادت مرة أخرى دعوة إلى العامية متمثلة في التزام المسلسلات المسرحية في سائر بلاد العربية لغة اللسان العامي ، وتخالط ذلك روح منافسة بين الألسن العامية كأنها تريد أن تضاهي سيرورة عامية القاهرة .

* ألقي هذا البحث في الجلسة السادسة يوم الخميس ١٣ من ذي القعدة سنة ١٤١٨هـ الموافق ١٢ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٨م.

وتوجد مسلسلات فصيحة اللسان إلا أن التكلف في التعبير الذي ينبغي أن يصدر بروح الطبيعة والفطرة هو الغالب عليها . مما يقوي أو يظن أنه يقوي أصحاب القول بأن اللغة الفصيحة لا تصلح كل الصلاحية للبيان العصري . ويلحق بهذا القول الشعوبي النزعة ما ينادي به المنادون من أمر الشعر الحر والقصيدة النثرية .

ويدعو بعض الفضلاء المربين إلى وضع خطّة تربوية جادة تهدف إلى إحلال اللغة الفصيحة محل العامية في المدى البعيد، معتمدين على قول بعض النظريات العصرية بأن لتعليم اللغات فترة فطرية المنهج كفترة الرضاعة التي تبدأ بطبع الطفل وفطرته بعد مولده . فيقال إن هذه الفترة تنتهي بانتهاء السنة السادسة ويكون الدماغ بعدها معدًّا للتعلم فيتعلم اللغة كما يتعلم غيرها من المعارف وفي هذا عناء من التلقي لا يبلغ في اليسر مبلغ الفطرية .

وعندي أن اللغة الفصيحة ينبغي أن تدرس بأسلوب يبلغنا المقصد الأول من درسها وهو معرفة لغة القرآن والحديث والبيان الأصيل الذي جاء به نْعت القرآن من لدن حكيم حميد . وذلك أن نبدأ بخط أحرف الهجاء لنقرب الناشئ من معرفة صورها في سن مبكّرة كالرابعة مثلا ثم نأخذ بتعلمه القرآن بدءا بالفاتحة للتبرك ثم اصعادًا من سورة الناس إلى سائر سور المفصل ثم بعد ذلك تعليم اختيارات من الشعر تحفظ ويصاحبها النحو ثم نعلم بعد ذلك الحديث والفقه فإذا بلغ الناشئ السابعة كان قد احتوى صدره علمًا وافيا من آيات القرآن ومتون الشعر ونصوص الحديث .

ثم بعد السادسة وذلك في سن السابعة يسار بالناشئ والناشئة على درب التعلم الحديث على أجود طرقه مع الاستفادة من أساليب الإعلام والتواصل الحديثة .

ومع هذا كله لابد من الحفاظ على أصالة اللغة الدارجة في كل بلد عربي لما تتضمنه من روح الجزالة والبيان الأول . وقد فطن الأوائل إلى أن جزالة العربية قد داخلها لين الحضارة فلم يستشهدوا بجيل

يشار على قوة تعبيرهم وتمكنهم من جوهر فصاحة اللغة وختموا باب الاستشهاد بابن هرمة وبالغ أبو عمرو بن العلاء فكره الاستشهاد بابن قيس الرقيات على فضله و لم يتابعه في ذلك العلماء .
وذكر ابن جني في الخصائص أن فصاحة العرب الأولى بقيت منها بقايا إلى زمانه إذ مرّ بأعراب بالبادية قال أحدهم وهو يخاطبه (يحير) فأصلحه صاحب له فقال (يحار) وعلق ابن جني على ذلك بوصف المتنبي بالصدق فيما يقول .

والخبر الذي ساقه ابن جني عن أبي الطيب عظيم الأهمية لدلالته على لون مما نذهب إليه من أن فصاحة البداوة الأولى لن تزال إلى يومنا هذا باقية منها بقايا وعلينا أن نتفطن إلى ذلك . وعلينا أن نتنبه إلى أن رسائل الإعلام والتواصل الحديثة ربما عصفت بهذه البقية النادرة الباقية ومن أول أوجه التنبه أن نقف الحملة الجائرة عليها فلا ينبغي أن نحسب أنها شيء معاد للسان الأول الفصيح بل شيء داعم له ومعين على المحافظة عليه .
ولعلنا كلما ابتعدنا عنه نبتعد من حيث لا نشعر عن أصول الفصاحة والجزالة .
ولعلنا إن تأملنا بعض ما بأيدينا من كتب اللغة والنحو أن نفطن إلى أنها قد غفلت عن أشياء مازالت تحتفظ بها اللغة الدارجة مثلا شاف يشوف . في كتب اللغة معناها جلا ويستشهد بيت عنترة :

ولقد شربت من المدامة بعدما
ركد الهواجر بالمشوف المعلم

وتذكر بعد اشتقاقات وكلمات كلها يمكن أن نستنبط منها بيسر وبلا تكلف أن الاستعمال الدائر السائر في كل بلاد العربية الآن من أن شاف معناها نظر ورأى صحيح - قالوا وذكر ذلك صاحب التاج عن ابن الأعرابي بعث القوم شيِّفة لهم أي طليعة ومن الشواهد قول قيس بن العيزارة الهذلي :

وردنا الفضاض قبلنا شيفاننا
بأرعن ينفي الطير عن كل موقع

وأن شيفان مشفعة من شاف لا يخفي وكذلك شيفة وفي القاموس اشتاف الرجل إذا تطاول ونظر والبرق شام ولعمري أن قولنا شام كقولنا شاف في هذا المجال .

ومثال آخر كلمات تدل على زمان كقولنا في دارجتنا دابه جا توه جا وقول أهـل مصـر زمانه جايي . قال تعالى في سـورة آل عمـران (١٩٥) " بلى إن تصـبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسـومين " . قـال الطبري أصل الفور ابتداء الأمر يوجد فيه ثم يوصل بآخر وإلى نحو من هذا ذهب الزمخشري في الكشاف واستشـهد بقول أبي حنيفة في الأمر على الفور لا على التراخي وفسر يأتوكم من فورهم هذا من ساعتهم هذه .

وفي سـورة يوسف (٤٧) تزرعون سـبع سنين دأبا " فسره الزمخشري بمعنى دائـبين في العمل وحرف الزمخشري أبو عمرو وهمزته ساكنة والحرف بفتح الهمزة وسـكونها والاخـتلاف بين البصريين والكوفـيين في جواز فتح الساكن ليس موضـع الـنظر الآن إذ كلاهمـا قراءة صـحيحة والوجه ما ذهب إليه الطبري حـين جعل الدأب هنا بمعنى العادة وكان صاحب هامش طبعته الحلبية ظن أنه فسر على أن الهمزة ساكنة وأحسبه لم يتنبه إلى أن الطبري كوفي المذهب في أمر السكون والفتح والوجه الذي ذهب إليه في التفسير أقوى من وجه الزمخشري ويدخل في باب الزمنـيات التي قدمنا والعامة يقولون دابه جا ويجي دابا أي من الآن فصاعدا وهذا باب طويل فلا نريد أن نطيل فيه .

والذي يعنينا هو ما قدمناه من أن الدارجة الأصلية فيها نفس من روح البيان الأصيل يخشـى عليه من غزوة اعلاميات العصر ودخـول العجمـة من طريق العبارات الصحفية والإعلامية المترجمة فيفسد ذلك ذوق الـناس في العربية ولله در السباعي رحمه الله في كتابه عن الأدب الجاهلي إذ ذكر أن من البيان ما يستطاع في أعماق دارجة القاهرة بين النساء اللاتي لا يكتبن ولا يقرأن . وقد فطن المأمور عبد القادر مختار رحمه الله ، الذي كان مأمورا مصريا بمدينة القطينة بالنيل الأبيض بالسودان في أوائل هذا القرن الميلادي فصنع مسرحية سماها المرشد السوداني ضمنها عجائب من بلاغة العامة طبعت بالخرطوم سنة١٩٠٨م وقـد نبهت بعض المشرفين على جوانب أدبـية ثقافية في بلدنا إلى مكانها وآمل أن

تعاد طباعتها ، ومؤلف آخر ضمن كتابه من فصاحة اللغة العامية وبيانها أمثلة نادرة صاحب كتاب (في شان الله) .

وقد حفظت الأشعار الدارجة عندنا في السودان ثروة عظيمة من علوم الدين في الفقه والسيرة والتصرف وضمنت مدح النبي صلى الله عليه وسلم بحب عظيم ذي صدق وحرارة وفي كثير من قصائد المدح النبوي يصف الشاعر الناقة التي يقصد بها القبر الشريف من لدن بدء تربيتها إلى حين وصولها إلى باب السلام ومن سمع مثل هذا الشعر لم يسارع بتهمة معلقة طرفة أنها مصنوعة .

ونسأل الله التوفيق .

عبد الله الطيب

عضو المجمع من السودان



تصحيح "التصحيح"(*)

للأستاذ الدكتور إبراهيم السامرائي

أقول : عرض الخطأ أو التجاوز اللغوي بكل فروعه للغات عامة ، ومازلنا نرى المعنيين بالمسائل اللغوية يسطون القول في هذا . لقد بدأ اللغويون هذا الدرس في منتصف القرن الثاني للهجرة، وكانت لهم فيه وقفات وأقوال. ثم بدا لهم في القرن الثالث أن يتوسعوا،وزاد هذا في القرون التي تعاقبت،فكان لنا مصنفات حبسها أصحابها على الخطأ وإصلاحه أو تصحيحه.

لقد فات أولئك المتقدمين ما أثر عن أبي عمرو بن العلاء فيما حكاه يونس بن حبيب ، قال : "ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلاّ أقلّه ، ولو جاءكم وافرًا لجاءكم علم وشعر كثير ".(1)

وجاء أيضًا من كلامه فيما رواه الأصمعي: " سمعت أعرابيًا يقول : فلان لغوب(2) جاءته كتابي فاحتقرها ، فقلت له : أتقول : جاءته كتابي ؟ فقال : أليس بصحيفة ؟ ".

قال أبو عمرو : فحمله على المعنى ، وقد جاء ذلك كثيرًا في كلامهم(3) .

قلت : لقد هُرع اللغويون في دأبهم في التصحيح وتوهّموا أنهم يملكون العربية وفاتهم أنهم لم يدركوا ذلك وقليل ما هم. لقد فاتهم أن يدركوا ما بين أيديهم من شعر ونثر وجهلوا الكثير من القرآن ومن الألفاظ الإسلامية . وكان في اختلافهم في هذا دليل على أنهم لم يطمئنوا إلى الصواب، غير أنهم توهموا غير هذا فذهبوا في تصحيحهم وإصلاحهم(4).

وقد اهتم اللغويون بالتصحيح متعقبين أقوال النحاة، ومن هذا قول ابن قتيبة:(5) "وإذا نسبت إلى اسم مصغَّر كانت فيه الياء أو لم تكن،وكان مشهورا ألقيت الياء

---

* ألقي هذا البحث في الجلسة السادسة يوم الخميس ١٣من ذي القعدة سنة ١٤١٨هـ الموافق ١٢ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٨م.

(1) الأنباري، نزهة الالباء (ط. مدينة الزرقاء، في الأردن)ص٣٣.

(2) المصدر السابق ص ٣٥ و "لغوب" بمعنى أحمق .

(3) المصدر السابق .

(4) من هذا "تصحيح الفصيح" لابن درستويه (طبع بغداد)، و"إصلاح المنطق " لابن السكيت .

(5) أدب الكاتب (ط السلفية) ص ٢٠٩ .

منه،تقول في جَهَينة ومُزينة:جُهَنيّ ومُزَنيّ، وفي قريش:قرشي،وفي هُذَيل: هُذَليّ، وفي سُلَيم: سُلَميّ إلا ما أشذوا، وكذلك إذا نَسَبتَ إلى فَعيل أو فعيلة من أسماء القبائل والبلدان وكان مشهورًا اكتفيت منه الياء مثل:ربيعة وبجيلة وحنيفة تقول:رَبَعي وَبجَليّ وحَنَفيّ،وفي ثقيف ثقفي، وفي عينيك عتكي،وإن لم يكن مشهورا لم تحذف الياء في الأول ولا الثاني".

أقول : ذكر قول ابن دريد هذا مصطفى جواد - رحمه الله في كتابه " المباحث اللغوية في العراق " فقال : "ولذلك يجب أن نقول : بديهي وغريزي وقبيلي وطبيعي"[1] وأيد قوله هذا بما أثبته في أقوال أهل الأدب واللغة فقال :

قال أبو حيان التوحيدي في بعض أخبار مقاريوس :" ثم أقبل على زيموس وقال له: "ما أبعد شبه معدتك من المعادن الطبيعية".[2]

وقال الجاحظ : "الكرم الغريزيّ" .[3]

أقول : إن هذا درج عليه جمهرة المعربين في النسب إلى ما فيه الياء مما ورد على فعيل وفعيلة وحذفهم للياء دون أن يدركوا ما قيل في ذلك من أقول أهل العلم ، كان بسبب ما أثبته النحاة في إطلاق القاعدة . وهذا يدلّ على أنهم لم يستوفوا الاستقراء .

ومن هذا ذهاب المعاصرين إلى تخطئة النسب إلى الجمع والصواب لديهم أن النسب إلى المفرد ، وهذا مأخوذ من قول النحاة الذي أثبتوه فاعتمده مصنفو الكتب التعليمية في عصرنا .

لقد نبه على هذا مصطفى جواد وأشار إلى كلام الفصحاء فقال :

قال الجاحظ : "لو شئنا أن نقول إن سهر الكلب بالليل ونومه بالنهار خصلة ملوكية لقلنا ، ولو كان خلاف ذلك لكانت الملوك بذلك أولى ".[4]

أقول : وجاء في "فقه اللغة " للثعالبي في تفصيل حركات اليد :

"... فإن مد يده نحو الشيء كما يمد الصبيان أيديهم إذا لعبوا بالجوز فرموا بها

(١) المباحث اللغوية في العراق (ط. بغداد ١٩٦٥م).

(٢) الإمتاع والمؤانسة ٣٨/٢ .

(٣) رسائل الجاحظ ص٦ .

(٤) الحيوان ٢٨٣/١

في الحفرة فهو السَّدْو ، والزَّود لغة صبيانية في السدو ".[1]

أقول : وقد درج أهل التصحيح في عصرنا على هذه القاعدة التي ثقفوها في الكتب التعليمية فقالوا : القانون الدولي ، والبنك الدولي ، والعلاقات الدَّولية ، وكان ينبغي أن يقال في كل ذلك الدُّولي والدَّولية والنسب إلى الجمع هو المراد.

وقد سمعنا قديمًا : الأنصاري والشعوبي والملوكي .

وفيما نسب إلى ما يتصل بالحرف والصناعات ، وبيع المواد عرفنا : النُدوري والأمشاطي والمغازلي والمحاملي والجلودي وغيرها .

وكأن أهل التصحيح سمعوا مصطلح الأصولي " و"الأصولية" في الصحافة المعاصرة فسكنوا .

أقول : و"الأصولي" و"الأصولية" في صحف عصرنا غير "الأصولي " القديم. لقد أراد المعاصرون بـ "الأصولي" الملتزم بالإسلام التزاما شديدا ، وكأنهم أرادوا به المتعصب للإسلام ، ولكنهم هربوا من ذكر الحقيقة كما يريدون ذهبوا إلى ضرب من التعمية .[2]

أقول : إن " الإصولي " في كتب الرجال وصف أو نعت للرجل العالم بـ "أصول الفقه" ، فأين هذا مما نحن فيه ؟

ولابد أن نعود إلى القاعدة النحوية التي تقيد النسب إلى المفرد ولبس للجمع ، وفي هذا غلّط الحريري في كتابه " درّة الغواص ... خواصَّ عصره لاستعمالهم "الصُحُفِي " نسبة إلى جمع " الصحيفة " لمن يقتبس من الصحف فقال : "ويقولون لمن يقتبس من الصحف " صُحُفي " فينسبون إلى الجمع قياسا على قولهم : "أنصاري وأعرابي " ، والصواب عند البصريين "صَحَفي " نسبة إلى المفرد "صحيفة" كحنفي نسبة إلى "حنيفة" ، فإنهم لا يرون النسب إلى واحد الجمع إلا أن يجعل الجمع علما للمنسوب إليه كمدائن وكلاب فيقال : مدائني وكلابي، أو كان في النسب إلى الواحد القياس

(١) فقه اللغة (ط . اليسوعية) ص ١٨٢ .

(٢) أقول : ومن هذا الذي يراد به التعمية ما نجده في صحف عصرنا من قولهم . "تحريك الأسعار" والمراد به "رفع الأسعار". وقولهم "التحفظ على فلان" والمراد حبسه وسجنه وغير هذا.

كأعــرابي ، فإنــه لو قيل عربي لالتبس بالمنسوب إلى العرب وبينهما فرق مذكور في محلّــه ، ومن هنا يعلم أن قياسهم عليه غير صحيح ، وأما أنصاري فشاذ لا يقاس عليه أيضًا .

أقول : إن هذا الذي تشبت به البصريون لا يمكــن أن يكــون لهم حجة في إثبات الجــواز إلى المفرد ، والصواب أن المعرب يذهب إلى حاجته التي يتبين فيها الإفهام . وقد يكون لي أن استشهد بما هو " دولي " في لغتــنا المعاصــرة ، فإنه يشير إلى ما يكــون بين الدول وليس فيما يخص دولة واحدة .

وقــال الشــهاب الآلوســي في " شرح الطــرة": "... ثم إن المانعين استثنوا صورا منها أن يكون الاسم المنسوب إليه علما كأبناء للبلدة المشهورة وهي اليوم بلاقع ، و"فرائض" علم للعلم المشهور ، ومنها أن يغلــب عــلى الشيء حتى يلحق بالعلم كأنصــار لغلبته على أنصار –صلى الله عليه وسلم – في الأوس والخزرج ، وهي إما جمع نصير أو ناصر ".[1]

وجــاء في " معجــم الأدباء (ط . دار المأمون) : " وينسب إلى الجمع إذا كان حرفة كالأمشاطي والمحاصلي والجواليقي"، ومــثله الحصــري والخرانطي والأنماطي والأكفاني وغير ذلك " [2]

أقــول : وذهــب مصــطفى جواد في تصــحيحاته إلى أن النســب إلى الجمع صــحيح لمــا فــيه من فائدة الإفهام ، واستظهر بما وجده لدى أهل العلم فقال : "الــتذاكري" هــو بائع التذاكر وكذلك الآثــار ، وقال: وقد قالوا " الرسائلي " للذي يحمل الرسائل .

قال ابن الفوطي ج ٤ ورقة ١٠ في "مجمع الآداب" في النســخة الظاهرية في ترجمة المملوك سعادة وهو عز الدين أبو الحسن ســعادة بن عبد الله الرومي المستظهري الخادم الرسائلي .

وكذلك الساعاتي وهو علي بن رستم بن الساعاتي الشاعر المعروف .

أقــول : إن أهل التصحيح لم يأخذوا بما هــو معروف في استعمال الكتاب ، بل تبعوا أقوال النحاة واللغويين الأوائل

(١) شرح الطرة (ط. دمشق ١٣٠١) ص ٣٠٣

(٢) معجم الأدباء ١/٣١-٣٢ .

بصريين وكوفيين . وهذا ما فعله الحريري في "درة الغواص" الذي أثار رد اللغويين الذين لم يتقيدوا بما فرضه أوائل اللغويين والنحويين.

وكان ينبغي لأهل التصحيح أن يفيدوا مما استعمله الجاحظ وأبو حيان التوحيدي وغيرهما .

إننا نجد مثلا القفطي في إخبار الحكماء يقول: :روفس حكيم طبائعي خبير بصناعة الطب في وقته ...". ومن هذا ما قالوا لآسي الجراحات " الجرائحي والجراحي، والأول أشهر .

مما ينبغي لأهل التصحيح

أقول : كان ينبغي لأهل التصحيح أن يبعدوا عنهم ما سُطر في كتب النحو ، وينظروا إلى استعمال النحاة في كتبهم الأخرى غير النحوية . لم ينظروا مثلا في لغة المبرد في " الكامل " و"الفاضل ، ولم ينظروا في الفائق " للزمخشري ، ولم ينظروا في كتب القرآن الأخرى .

أقول : كأن أولئك قد وجدوا أن العربية واسعة ، وكأن الإمام الشافعي قد أدرك ضيق اللغويين والنحويين في باب التوكيد فقد ورد من كلامه في "المواهب الفتحية": جاء عامة القوم ، وأخذ عامة المال ، وبقي عامة النهار .[1] وقد تجد في "الكشاف" للزمخشري قوله :"كافة الأحوال" أو نحو هذا .

وقالوا مثلا : لا تدخل "قد" على فعل منفي فلا يقال : قد لا يكون هذا ، ولكني وجدت هذا لدى أصحاب المعجمات. وكأني وجدت النحاة واللغويين الذين سطروا في كتبهم ما عرفناه من قواعد النحو والصرف غير مزودين فيما ذهبوا فيه بكثير مما ورد في كلام أهل اللسن والفصاحة . وإذا كان هذا قد حصل فكيف يتصدى مصحح قديم فيصحح معتمدًا على ما قرره النحويون ؟ لقد قال النحاة مثلا بعدم جواز وصف ما يُكسَّر في الجمع بـ"فعلاء" فلا يقال مثلا : "صحائف بيضاء" لأن الصواب "صحائف بيض" ، وكأنهم تبعوا في استقرائهم الناقص ما ورد من قوله تعالى : ومن الجبال جدد بيض

(١) المواهب الفتحية ١٧/١ .

وحُمر مختلف ألوانها وغرابيب سُود "[1]

وفاتهم أن طـرفة بن العبد من شعراء الجاهلية قال :

وفيهم رأينا الغيم فيه كأنه

سماحيق تُربٍ وهي حمراء حَرْجَفُ

والمسألة بالخيار ، وفي العربية سعة، وهذا جائز مثل أن يأتي الوصف لما هو مجموع جمعا لقول الأعشى :

الواهب المئة الهجان وعيدها

عُوذًا تُزَجّي خلفها أطفالها

وقـد جـاءت " المئة الهجان" موصوفة بـ"فعلاء" في قول الحطيئة :

الواهب المئة الهجا

ن معًا لها وَبَرٌ مظاهِرْ

دهماء مدفأة الشتا

ء كأن بركتها حظائر

ومـن هذا الذي ذهبوا فيه التخطئة وهو صـحيح بدلالـة وروده في قول امرئ القيس:

تبيت لبوني بالقُرِّية أُمَّنا

وأسرحُها غبّا بأكناف حائل

تلاعبُ أولادُ الوعول رباعها

دُوَيْنَ السماء في رؤوس المجادل

مكللة حمراء ذات أسرةٍ

لها حبك كأنها من وصائل

وإذا قال باعث بن صريم وهو ممن أثبتهم أبو تمام في "حماسته" :

وكتيبة سُفع الوجوه بواسل

كالأسْدِ حين تذب عن أشبالها

قد قدت أول عنفوان رعيلها

فلفقتها بكتيبة أمثالها

ووصـف " الكتيـبة " بـ "سُفْع" فقد وصفها حسان بن ثابت بـ "خضراء" في قوله :

لما رأى بَدْرًا تسيل تلاعه

بكتيبةٍ خضراء من بَلخَزرجِ

ولـيس لي إلا أن أجعل قوله ــ صلوات الله وسـلامه عليه - مفيدا لي في الإشارة إلى سـعة العربية وهو " إياكم وخضراء الدمن".

ما ورد مما حمل على اللحن لدى الأوائل ومـا أدى في عصـرنا إلى ضـرب من "السرقات العلمية "

أقول : لا أريد باللحن هنا التجاوز على العربية نحوًا وصرفًا، وذلك لأن الكثير من هـذا قد عرض للغات عامة ونبهوا عليه.

---

(1) ٢٧ سورة فاطر .

ولكني أريد به البعد في استعمال الكلمة عن دلالتها والذهاب بها إلى طرائق لا نعرفها في طرائق المعربين في القرنين الأول والثاني ..وقد تكون مبتعدة عن عربية التنزيل والمشهور في الحديث الشريف.

ومن الطبيعي أن تكون عربية الذين أسلموا في القرون الأولى من غير العرب غير ما نعرف من عربية إخوانهم من المسلمين العرب ، وأن تكون الأصوات العربية فيها معدولة عن حقائقها اللغوية .

ولا أعرض هنا لما أثبته الجاحظ من قول أحد تجار الدواب الذي باع المسلمين دوابَّ رديئة فاستنقطه الحجاج عن ذلك فأجابه : "شريكاتنا في هوازها وشريكاتنا في مدانيها وكما تجيء تكون " ، أي أن هذه الدواب قد وصلت على ما هي عليه من رداءة من شركائه في بلادهم الأهواز والمدائن .[1]

ومن الطبيعي أن يحمل المسلمون الجدد شيئا حمل الضيم على عربيتهم . وقد يكون من هؤلاء من كانت أمهاتهم غير عربيات وآباؤهم عرب. وينبغي ألا نغفل أن يكون شيء مما عرض للعربية من ابتعاد عن الصواب يسبب ما عرفه المجتمع الإسلامي في القرنين الأول والثاني من العبيد الرقيق والجواري غير العربيات .

لقد عرفنا من هذا من الصحابة الأولين بلال بن رباح أول من رفع الأذان في عهد رسول الله وهو عبد حبشي لابد أن يكون ذا لكنه حبشية . وإلى هذا يومئ قوله تعالى : "لسان الذي يُلحدون إليه أعجمي"[2] . وذكر الجاحظ أن سحيم عبد بني الحسحاس كان يرتطن لكنه أجنبية وكان يقول : "سعرت" بدلا من "شعرت"[3]. وفي الأغاني أنه روي عنه قوله : "أهسنت" بدلا من "أحسنت"[4] وقال ابن قتيبة في الشعر والشعراء[5] ، وابن جني في "سر الصناعة " كما أفدت مما في خزانة الأدب[6] : إنه كان يقول: أحسنك بدلا من أحسنت . والكاف ضمير للمفرد المتكلم في الحبشية .

أقول : قد يحمل هذا الاختلاف فيما

(١) الجاحظ : البيان ١/٦٨ ، ابن قتيبة . عيون ٢/١٦٠ .
(٢) ١٠٣ سورة النحل
(٣) البيان والتبيين ١/٣٢ .
(٤) الأغاني (ط. بولاق ٢٠/٢
(٥) الشعر والشعراء ص ٢٤١ .
(٦) خزانة الأدب ٢/٢٥٧ عن كتاب "العربية" ليوهان فك (ترجمة النجار) ص١٣

روي في جملـــة هـــذه المصادر إلى بعض النقص في الاستقراء والبحث .

ولعلنا ندرك ما عرض لعربية أهل البصرة مـــن فساد إذا وقفنا على تأثير الفارسية وظهورهـــا في أسمـــاء البلدان والمواضع والأنهار ،[1] ومجيئها مختومة بالألف والنون للنسب كما في مهلبان وأميتنان وعبادان وغيرها .[2]

عـــلى أن هـــذا لم يمنع أن يكون أولئك الداخلـــون أصحاب فصاحة ، والجاحظ يشـــير مثلا إلى موسى الأسراري وبصفة فـــيقول : إنه كان من أعاجيب الدنيا ، وكانـــت فصـــاحته بالفارســـية في وزن فصاحته بالعربية ، وكان يجلس في مجلسه المشـــهور به ، فيجلس العرب عن يمينه ، والفرس عن يساره ، فيقرأ الآية من كتاب الله ويفســـرها للعرب بالعربية ، ثم يحول وجهه إلى الفرس فيفسرها لهم بالفارسية، فلا يُدري بأي لسان هو أبين .[3]

و لم تسلم عربية أهل الكوفة مما عرض لها من ضيم ، فقد عرفت هذه المدنية أفواجا مـــن غير العرب اتخذوها موطنا لهم بعد عصر الفتوحات الأولى . إنهم بقية الجيش الفارسي بقيادة رستم في حرب القادسية. لقد أشار الجاحظ إلى هذه العربية الجديدة إلى جملة ألفاظ فارسية استعملها الكوفيون وشاعت بينهم. فقد قال : يقولون : خيار بـــدلا من قثاء ، وباذروج بلا من الحوك (وهي البقلة الحمقاء أو الرجلة)...[4]

لقـــد عرفت عربية المصريين هذا الدخيل الفارســـي وعم في سائر ما حواليهما من الحواضـــر والمواضع فإذا عرفنا أن العرب الأوائـــل قـــد عرفوا الدخيل أدركنا أن الفـــرزدق الشـــاعر قـــد الشطرنج لعبة فاســـتعمل "البـــيدق" في إحدى نقائضه لجرير فقال :

ونحن إذا عدت تميم قديمها
مكان النواصي من وجوه السوابق
منعتك ميراث الملوك وتاجهم
وأنت لدرعي بيذق في البياذق[5]

وقوله هذا يشير إلى اتقانه هذه اللعبة التي من رسومها تقدّم البيذق إلى الرقعة

(١) ياقوت ، معجم البلدان ١/٦٤٥ .

(٢) أقول : مازال في البصرة شيء من هذا في "مهيجران" وهي مهاجران ، ويوسفان وغيرهما .

(٣) البيان والتبيين ١/١٣٩ . (٤) المصدر السابق ١/١٠ . (٥) ديوان الفرزدق .

الأخيرة فيتحول إلى وزير . أن هذا "البيذق" لم تسلم منه لغة جرير التي ورد فيها بمعنى ما هو ساقط مرذول فقال:

سبعون والوصفاء مهر بناتنا

إذ مهرجعْثِنَ مثل حُرّ البيذق[1]

إنه أشار إلى أن مهرجعثن أخت الفرزدق هو "مهر المثل" وليس مَهْرًا يشار إليه في عقد النكاح .

ولم تنج عربية بلاد الشام من الدخيل الرومي ولا عربية مصر مما هو قبطي .

وقد كان التجاوز على المشهور السائد من العربية يعرض لأهل العلم فقد عاب الجاحظ قراءة الحسن " وما تنزلت به الشياطين " وعدَّها خطأً .

ثم انصرف اللغويون إلى الإشارة إلى أي تجاوز على العربية كما ورد هذا في "درة الغواص " للحريري . غير أن آخرين من أهل العربية قد اجتلفوا فذهبوا إلى أن الحريري قد ضيق الأمر وحجَّر واسعًا ووجدوا أن كَيْدًا من تخطئته غير صحيح. ومن هؤلاء ابن الخشاب .

ثم مضى أهل اللغة في تصحيحاتهم حتى جاء المعاصرون فأكثروا في هذا ، وكان منهم من تصدّى لتصحيحات أصحابه فأشار إلى ما زعموه خطأ وهو صحيح. وكان هذا المصحح هو مصطفى جواد الذي رد أقوال أسعد خليل داغر وأقوال الكرملي في كتابه "المباحث اللغوية في العراق".

ثم كان لمصطفى جواد جهد كبير آخر في التصحيح لما يعرض لأقوال المعربين في الصحف وغيرها . وقد جمعها في كتاب له في جزأين وسمه بـ "قل ولا تقل" .

لقد وقف المعنيون باللغة وقفة خاصة من أقوال مصطفى جواد ، وكأنه جنح على رأيهم إلى المبالغة في التخطئة فكان آخر من رد عليه الأستاذ صبحي البصام في كتاب له وسمه "الاستدراك على كتاب قل ولا تقل ".

أقول : وإذا الأستاذ مصطفى جواد ، وهو من هو في سعة ماله من أخبار بحفظها ويستظهر بها قد عرض له شيء ذهب فيه إلى الصواب مشيرًا إلى وجه الخطأ في استعمال المعربين ، قد عرض له شيء من التجاوز ، فكيف نقول في الآخرين الذين

(١) ديوان جرير .

مضوا عيالا عليه وعلى من سبقه إلى أيام الحريري ومن تقدمه ؟

هـذا هـو الأسـتاذ البصـام يعـرض لتصحيحات أستاذه مصطفى جواد ويبين أن ليس فيها مما ظن خطأ . إن هذا يعني إن أصحاب التصحيح قد تعجلوا المسيرة وفـاقم عـلى سـعة معارف بعضهم كمصطفى جواد الذي ينفرد من بين هذه الطائفـة ، ومـع هذا فقد عرض له ما يعرض للمتعجلين ، فكيف بنا مع الذين يقمشون فيسطون على ما كتبه غيرهم .

اقـول : ولم يـدرك أهل التصحيح أن الدلالـة في الكـلمة قد تتغير فيبدأ فيها بـالعدول عن أصلها فيكون هذا المعدول استعمالا جديدا لشيوعه . ولا أراني أحمله عـلى الغلط لورود الكثير في لغة الصفوة وليس في لغة العامة .

ولنضرب مثلا على هذا بالفعل " استُهْتِر" الـذي كان يدل على الولوع بالشيء ، وهذا الولوع قد ذهب به شيئا فشيئا إلى ما هو غير مقبول . لقد قالوا مثلا : هو مُسْتَهتَر بالشراب أي مولع به لا يبالي ما قـيل فيه . وفي حديث ابن عمر : "اللهم إني أعـوذ بك أن أكون من المستَهتَرين " لقد قيل في تأويله : إنه كثير الأباطيل .

وجـاء في " شرح نهج البلاغة " في صفة الملائكة " ولا يرجع بهم الاستهتار بلزوم طاعته " [1] .

وجاء في شعر ابن الدمينة :

أحب هبوط الواديين وإنني
لَمستَهْتَر بالواديين غريبُ [2]

غـير أنـنا نجد هذه الكلمة قد جُنح بها الأضـداد ولا يمكـن حملها على ألفاظ الأضـداد لأن ما عُدَّ من الأضداد قد قُيد بهـذا في كتـب الأضداد ، وهو قديم في العربـية . إننا نجد فيما يرويه ابن تغري بـردي في حوادث سنة ٦٤٢هـ قوله: وفـيها قتل القاضي الرفيع عبد العزيز بن عبد الواحد ... قال أبو المظفر في "تاريخه" [أقول : هو مرآة الزمان] : قيل إنه فاسد العقـيدة دهـريا مستهترا بأمور الشريعة يخرج سكران ..."[3]

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤٩/٢ – ١٥٠ .

(٢) ديوان ابن الدمينة شرح محمد الهاشمي البغدادي وقد صُحِّف "المشتهر".

(٣) مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي (ط. حيدر آباد) ٧٥١/٨ .

قال مصطفى جواد : فإن كان هذا كلام أبي المظفر يوسف بن قزاغلي المعروف بسبط ابن الجوزي المتوفى سنة ٦٥٤هـ فهو غلط محض منذ أواسط القرن السابع الهجري [١]

أقول : وليس لنا أن نعزو هذا إلى الغلط لأننا نجده فاشيًا في نعت الرجال لدى أهل العلم من الخاصة وليس في لغة عوام الناس.

لقد ذكر مصطفى جواد ما ورد في معنى "الاستهتار " الذي جدَّ في العربية منذ قرون ومنها: "جاء في أخبار شهاب الدين يحيى السهروردي الفيلسوف قتيل حلب: كان الشيخ فخر الدين المارديني يقول: ما أذكى هذا الشاب وأفصحه ، لم أجد أحدًا مثله في زماني ، إلا أني أخشى عليه لكثرة تهوره واستهتاره وقلة تحفظه"[٢]

وجاء أيضًا :

وقال كمال الدين محمد بن طلحة الوزير المتوفى سنة ٦٥٢هـ في الحسبة والواجب على المحتسب ؛ "فإن رأى أو علم إنسانًا يعتمد في حقوق الله ... أو يتجاهر بمنع الزكاة الواجبة عليه استهتارًا .. إلى غير ذلك مما يطرق إلى الدين خللا ..."[٣]

وجاء في سيرة السلطان خليل بن قلاوون المماليكي سلطان مصر والشام أن الأمير بيدرًا الواثب على السلطنة شرع يعدّد ذنوب السلطان خليل وإهماله أمور المسلمين واستهتاره بالأمراء"[٤]

وجاء في أخبار أبي اسحاق إبراهيم بن هلال الصابي ، قال حفيده هلال بن المحسن ابن الصابي : وعاد أبو اسحاق إلى خدمة عز الدولة بختيار بن معز الدولة ، وكتب عنه في أيام المباينة وبين عضد الدولة الكتب التي تضمنت الوقيعة والاستهتار عليه"[٥]

وهذا يشير إلى أن "الاستهتار" قد انحرفت دلالته في أواسط القرن الخامس وفيه توفى

---

(١) المباحث اللغوية في العراق (ط. بغداد ١٩٦١).

(٢) عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ١٦٧/٢ .

(٣) العقد الفريد للملك السعيد لكمال الدين محمد بن طلحة الوزير ص ١٨٠ .

(٤) فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي (ط السعادة بمصر) ٣٠٢/١

(٥) معجم الأدباء لياقوت (ط. دار المأمون) ٢٣٠/١ — ٢٣١ .

هلال بن المحسن ابن الصابي [1]

أقـول : وقد جاء كثير من أبناء عصرنا هـذا ممـن ليسوا من أهل العلم فراحوا يـنقلون مـا عده الأوائل غلطا دون أن يعرفوا الاستدراكات الكثيرة فتجدد القول بـالغلط وحدث معه غلط هؤلاء الذين تصدوا لهذه الصنعة وهم ليسوا من أهلها.

وهكـذا يظهـر شـيء من "السرقات العلمية".

إبراهيم السامرائي

عضو المجمع من العراق

---

(1) أقول · وكأن الذهاب إلى هذا المعنى الحديد في الفعل " استهتر " إلى ما يشبه الضد هو استحداث جديد ذلك أن الفعل في استعماله القديم كان مما بنى إلى ما ندعوه في عصرنا المجهول فكانوا يقولون : استهتر بالشيء نظير قولهم سقط في يده، وحُمّ وغُمّ وغيرها، وأما الآخر الذي استحدثوه فهو فعل مبني لمعلوم نظيرُ استَسْلَم .

العربية لسان الله تعالى نزل بها آدم عليه السلام ثم تراوحت بين التفرد والتشتيت والكيد لها .

للأستاذ علي رجب المدني

حضرات السادة الزملاء :

لقد آن لأم الحقائق أن ترفع القناع عن وجهها وتنقض على ما تراكم من زيف وتزييف وتزوير لحقائق التاريخ جعل منه (في معظمه) أكذوبة كبرى يأنف الضمير الإنساني من استمرارها والسكوت على بواعثها الأنانية الظالمة القائمة على التمكين للأقوياء والتجهيل بكل ما هو تراث إنساني صادق من شأنه أن يحقر غرائز الشر والأثرة وتزكية الذات، تلك الغرائز التي ما انفكت تعمل عملها في ظلم الضمائر الميتة وابتغاء متاع رخيص ، منذ أن قدم الإنسان على التدوين والتأريخ . وما كان لكل أولئك الطغاة الذين تحدث عنهم القرآن في مختلف عهود تواجدهم أن يسمحوا لمدونات التاريخ (إلا فيما عصم الله) أن تزكي الحقيقة على باطلهم .

ولولا القرآن وما إصطلحت عليه العقول الراشدة من تسليم بمدوناته وقصصه وأخباره (وهو الكتاب الصادر عن خالق هذا الكون بكل ما لابس هذا الخلق من إعجاز) لما تسنى لنا أن ندرك من حقائق التاريخ شيئًا يزيد على ما أراده الأقوياء والبغاة وعباد ذواقم الذين سخروا كل ما بأيديهم من ذهب المعز وسيفه لإشباع شهواقم في الاستئثار بما يدونه التاريخ لتزكيتهم والحاق وصمات الضعف والمهانة بمن إستهدفوهم بالعداء ممن كانوا مؤمنين بالحقيقة صادقين في عرضها وسردها حتى تمكنوا من أن يطمسوا من معالم التاريخ كل ما خرج من تحت مظلة القرآن والصحيح الأصح من سنة الرسول الذي أنزل عليه .

أعود لأقول أنه قد حان لأم الحقائق أن تبين للناس ويدركوها من خلال

---

* ألقي هذا البحث في الجلسة السادسة يوم الخميس ١٣ من ذي القعدة سنة ١٤١٨هـ الموافق ١٢ من مارس (آذار)سنة ١٩٩٨م.

الإقـــناع والتحلـــيل الذي يستمد قوته وجديـــته من إيماننا بهذا الكتاب العظيم وكـــل مـــا انطـــوى عليه من إيماءات وإشارات تكفي (المؤمن به) لأن يكوّن من خلالها قناعته التي لا تقبل أي قدر من الشك .

إن هـــذه الحقيقة هي أن العربية لسان الله ومـــا كان للسان غير لسان الله خالق كل شيء بإعجازه الخارق أن يزاحمه على ادعاء الأولية والأسبقية .

وفيما يلي أرقام تخص مجموع الأدلة المؤكدة لحقيقة أن العربية لسان الله تعالى:

(1) أول مـــنطلق يؤكد حقيقة أن القرآن لســـان الله يتمـــثل في أسمائه الحسنى التي وردت في الآيـــات 22-23-24 مـــن سورة الحشر ، فهي جميعًا أسماءٌ عربية لا تشوبها عجمى،وما كان الله ليتخذ لذاته أسماء من لغـــة لم يكن قد اختارها وأعدها بقدرته وإعجازه لتكون لغته(وبالأحرى لغة مخلوقيه الذين أعد لهم كتابه الخاتم الشامل لينـــزله على خاتم رسله المتميز بالرسالة العامة) .

(2) اللغـــة التي كانت لغة الحوار بين الله وملائكته عندما اتجهت مشيئته لخلق آدم عليه السلام من طين وما تم من حوار بينه عز وجل وبين إبليس وبينه وبين آدم الذي عـــلمه الأسمـــاء كـــلها ثم عرضهم على الملائكة وفق ما ورد في الآيات 30 إلى 39 مـــن ســـورة البقرة وكذا الشأن بالنسبة لموضوعات الحوار الذي تعاقب مع كافة الرسل وبعض أقوامهم مما يتيسر الرجوع إليه بين دفتي المصحف لكل باحث ينشد الحقـــيقة . كل هذا الحوار الذي تم على نحو ما نقرؤه (بلسان عربي مبين) ما كان له أن يتم إلا باللغة التي أعدها لغة خطاب بينه وبين خلقه في الدنيا ويوم القيامة وفقا لمـــا أشار إليه حديث : (تعلموا العربية وعـــلموها الـــناس فإنهـــا لسان الله يوم القيامة).

(3) وحـــري بنا أن نؤصل أسماء عدد من الأنبـــياء والرسل الأولين وبعض أبناء آدم الأولـــين بـــدأً من ابنه الأكبر شيت عليه السلام الذي (وإن لم يرد اسمه في القرآن) إلا أن الآثار أكدت أنه كان أول نبي بعد والـــده وأن خمســـين من الصحائف قد أنزلت عليه ، وكذا الشأن بالنسبة لأبنيه هبـــيل وقبيل وحفيده النبي إدريس عليه

السلام، ونبي الله نوح عليه السلام وأبنائه الثلاثة (الذين جعلهم الله هم الباقين) . ثم نـبي الله هـود الذي كان أول رسل الله (عقـب الطوفان) إلى قوم عاد ثم رسول الله صالح عليه السلام الذي تلاه إلى ثمود ومـا كان لي أن ألجأ في التأصيل العربي لكـل تلـك الأسماء إلا إلى أهم قواميس اللغـة العربـية وأكـثرها دقة واستيعابا وتدلـيلا عـلى أصالة المفردات العربية ، وهو (لسان العرب لأبن منظور) الذي لا أتصور أحدا ينكر عليه جهده الخارق في هـذا السـبيل رحمـه الله وأعظم أجره وجزاءه.

فهو بالنسبة لآدم يراه مشتقا من أَدُمَ بمعنى سَـمُرَ (والأُدمة السُّمرة التي تعلو البشرة وغيرها مما يقرب من لون أدم الأرض) وهذا اشتقاق عربي لا غبار عليه ولا لبس فيه .

وبالنسـبة لحواء يرى أن المرأة الحواء هي ذات الشفتين السمراوين أو الخضراوين أو الحمـراوين الضاربين إلى السواد (وهي ميزة جمالية تزيد المرأة كمالا عند العرب) وأما شيت عليه السلام فإن القاموس يشير إلى أن (الشِّية) هي البقعة البيضاء تتوسط الجلد الذي يصطبغ بلون مغاير وهو تميز جدير بأن يقتبس اسمًا لعزيز .

وأمـا هبيل عليه السلام : فلعله مما درج علـيه قولهم : (أهتبل الصيد بمعنى بغـاه وتكسـبه ، ويقـال الهابل بمعنى الكاسـب ، واللهبِلُّ : الرجل العظيم ، وقـيل الطويـل . والهابل الكثير الشحم واللحم . وهُبَل اسـم رجل معدول عن (هابل) وهو معرفة (أي علم) وبنو هبيل بطنٌ في العرب . انتهى من لسان العرب .

وأما قبيل : فمعناه الكفيل والعريف ومعـناه الجماعة (تزكية له وتفاؤلاً بأن تكـون له قوة الجماعة والقبول ، وقبيل بمعـنى مقـبول ومعناه المستقبل ، ومعناه الارتجال في الخطابة إلى غير ذلك مما تفيده الكـلمة من معان لا داعي لسردها اتقاء الإطالة .

وبالنسبة لنبي الله إدريس عليه السلام فقـد أورد لسان العرب بالنص : (ويقال سمـي أدريس عليه السلام لكثرة دراسته كتاب الله تعالى ؟ ...) ودرس الحنطة أي فصـلها عن سنابلها ، ودرس الناقة أي

راضـــها ، ودرس الكـــتاب ، والمدارسة المذاكرة أو التَّعَلُّم .

وأمـــا بالنسبة لرسول الله نوح عليه الصـــلاة والسلام فيقول اللسان: النُّوحة: القوة ، وهي النّيحة أيضًا ، وتنوح الشيءُ تنوحًا إذا تحرك وهو متدلٍ ونوح اسم نبي معروف . وقومه بنو راسب (كما ورد في البداية والنهاية لابن كثير نقلا عن ابن جبير وغيره).

وأمـــا ما يخص أبناء نوح عليه السلام : ســـام وحام ويافث فإنه وإن كانت صلة الاسمـــين الأولـــين بالعربية واضحة بما لا يتطلب مزيدًا من الإيضاح فبالنسبة ليافث يكفي أن نورد عبارة لسان العرب بنصها: (يافـــث مـــن أبناء نوح على نبينا وعليه الصلاة والسلام وقيل هو من نسله الترك ويـــأجوج ومأجوج وهم إخوة بني سام وحام فيما زعم النسابون وأيافث موضع باليمن كأنهم جعلوا كل جزء منه (أيفث) اسمًا لا صفة.

وفي عـــبارته حول اتصاله بنسله من الـــترك أو يأجوج ومأجوج تأكيد لحقيقة أن كـــل الأجناس التي تعاقبت هي ذات انتماء للعرق العربي الذي تفرد منذ آدم .

أمـــا بالنسبة لرسول الله هود عليه الصلاة والسلام فيرى أنه من هاد يهود هَوْدًا أو تَهَوُّدًا بمعنى تاب وأناب .

وهـــو اشتقاق عربي لا لبس فيه وفيه دلـــيل عـــلى أن اسم يهود إنما جاء منه امتدادًا للعربية التي كان ينتمي إليها هود وقومـــه (عـــاد) (وهم من العرب البائدة وهذا يؤكد الأصل العربي لليهود) .

وأما عاد الأولى : فهم قوم هود من العـــرب البائدة ، قال اللسان : هم قوم هـــود عليه السلام ، وقال الليث : وعاد الأولى هم عاد بن عاديا بن سام بن نوح علـــيه السلام (أهلكهم الله)(*) ، وأما عاد الأخيرة فهم بنو تميم ينـــزلون رمال عـــالج عصـــوا الله فمُسخوا نسناسًا لكل إنسان منهم يدٌ ورجلٌ من شق انتهى من اللسان.

وأما ثمود فيقول لسان العرب : وثمود قبـــيلة مـــن العـــرب الأول يصرف ولا يصـــرف، ويقال إنهم من بقية عاد، وهمْ قوم صالح على نبينا وعليه الصلاة والسلام بعـــثه الله إليهم وهو نبي عربي واختلف

(*) جملة حبرية وليست دعائية .

القــراء في إعرابه في كتاب الله عز وجل فمــنهم من صرفه ومنهم من لم يصرفه ، فمــن صرفه ذهب به إلى الحق لأنه اسم عربيٌّ مذكر ، ومن لم يصرفه ذهب به إلى القبيلة وهي مؤنثة . انتهى لسان العرب .

وإذا راعينا أن قوم عاد وثمود يمثلان الانتشار الأول للبشرية بعد الطوفان وأن نوحًا وبنيه وقومه إنما كانوا عربًا فإن هذا يقودنـــا بإقناع واقتناع إلى حقيقة أن ما تحقـــق انتشاره من بشر خلال الحقبة التي تفصـــل بين عاد وثمود وبين عهد نمروذ الذي أورد المسعودي أنه عاش خمسمائة عام وشهده في آخرها سيدنا إبراهيم (أبو الأنبياء) عليه السلام (وحاوره) إنما كانوا امتدادا لبقايا عاد وثمود من العرب ، وأن الدمـــاء التي سرت في جسد إبراهيم عليه الســـلام وبنيه إنما هي دماء عربية ، وأن العـــبرية التي جاءت (على أصح الآراء) مـــن عـــبوره عليه السلام لنهر دجلة إلى فلســـطين، لا تغـــير شيئا من حقيقة دمه العربي الذي كان دما أهله لأن ينسبنا الله إليه في قوله:"ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل ".

ومـــن هـــنا نعبر بسلام إلى الحقيقة الكـــبرى وهـــي أن العـــرب هم الأصل الأصـــيل للبشـــرية كلها ، وأنه لا مجال للقول بتعدد الأعراق والانتماءات إلا من خـــلال مفـــتريات التاريخ وتجاهل هذه الحقـــيقة الكـــبرى التي نأمل أن تتكاتف جهود الأبرار من البشر لتأكيدها حفاظًا عـــلى وحدة الأسرة الإنسانية على النحو الذي أعلنه الله في الآية الأولى من سورة النساء (الآية١):"يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجهـــا وبث منهما رجالاً كثيرًا ونساء واتقـــوا الله الذي تساءلون به والأرحام " لافـــتًا انتباهنا للرِّحْمِ الأولى التي صدرنا عنها جميعًا (رِحْمِ حواء عليها السلام) .

حضرات الزملاء الأجلاء :

من الحقائق التي تمتنع على الشك ولا يجوز (في الـــنطاق الإسلامي على الأقل) أن تكون موضع شك: أن جميع ما أنزل الله مـــن كتب وصحف قبل بعثة محمد عليه الصـــلاة والسلام بالرسالة العامة إلى كل الـــناس (إنسهم وجنهم) قد اختفى ولم

يعد له من أثر منذ أن رفع المسيح عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام إلى السماء. وأن مـــا يتداول من كتب (غير القرآن) ينسب إلى السماء لا يعدو كونه مصنفات بشـــرية لأنـــاس تصـــدروا الدعوة إلى معـــتقدات لا تقوى على تأكيد مطابقتها للتعالـــيم الـــواردة في الكتب والصحف المنـــزلة التي قُدِّر لها أن تختفي .

وانطلاقًـــا من هذا اليقين نستطيع أن نقول أن الكتاب السماوي الأوحد الذي يتضـــمن خطاب الله المباشر لخلقه إنما هو القـــرآن المنـــزل على محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الكتاب الذي صـــاغه الله بالعربية (الخالصة) التي سبق أن تخاطـــب بهـــا رسول الله إسماعيل بن إبراهـــيم علـــيهما السلام والتي اختلفت الآراء بـــين أن يكون قد تلقنها بالوحي (فـــيما اعتقده المؤمنون الأولون في صدر الرســـالة الإسلامية) أو أن يكون تلقنها باصـــطلاح بيـــنه وبين قبيلة جرهم التي نشـــأ في حضـــنها ثم صاهرها وساعده الوحـــي الســـماوي عـــلى أن يطـــور الـــنطق بهـــذه اللغة بالحوار معها كجزء مـــن مسلســـل التمهيد لبعثة محمد عليه السلام .

(وقد أشارت إلى هذه التفاصيل الأخيرة دائـــرة معارف القرن العشرين فيما كتبته عـــن التهذيبات الثلاث التي طرأت على اللغة العربية).

لقـــد تضمن القرآن في العديد من أجزائه تفاصـــيل الحوار بين الله ورسله وملائكته وإبلـــيس ونقـــل إلينا أقوال هؤلاء جميعًا وغيرهـــم مـــن أقوام الرسل فيما تم من حوارهم مع رسلهم على نحو لا تستدعي الإحاطـــة به كثيرا من التحليل ، ولكن يكفي في ذلك الرجوع إلى تلك النصوص بقـــدر أكـــبر مـــن التروي والتمعن في مضـــامينها وكـــيف أنها نصوص قاطعة لكونها لم تأت وليدة ترجمة أو رواية عن لغـــة أخرى وإنما تمت بين الله تعالى وكل تلـــك الأطراف وغيرها بلغة القرآن الذي أوردها.

ولا تـــنافي بين هذه الحقيقة والحقيقة التي وردت في قوله تعالى:(وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم) . إذ أن مـــا طرأ على البشرية منذ عهد نمروذ من

تشتت في أطراف الأرض(هربًا من طغيانه وظلمه وفتكه) كان السبب في نشوء كل ما نشأ من لهجات كادت أن تخفي معالم اللغة الأم "الغربية " نتيجة ما اضطرت إليه كل تلك الفصائل المشتتة من ابتداع مفردات وتعبيرات لعبت البديهة والحاجة الآنية والأصوات والإشارات دورها الفاعل في ابتداعها وإدخالها على اللغة الأم.

وكان من أثر ذلك أن أمد الله كل من اصطفاه من رسل إلى تلك المجموعات البشرية بالقدرة على أن يخاطب كل منهم قومه بلسانهم ؟ ... ولم يقل بلغتهم لأن اللغة تسمو على ما قد يكون دخيلا عليها ولا تفقد به شخصيتها المتميزة .

فخطاب كل رسول لقومه بلسانهم لا ينفي أن يكون أولئك الرسل قد تلقنوا لغة القرآن تأهيلا لهم للتخاطب مع الله ، ولا ينفي أن يكون الحوار الذي تم بين بعض أولئك الرسل وأقوامهم قد تم وفقًا للنصوص الواردة في القرآن خصوصا إذا علمنا أن تلك الأقوام إنما كانت تحتل الرقعة الوسط من الأرض التي بعث إليها الله رسله والتي لم تكن قد انفصلت عن العربية الأم كما يتضح من نسبة معظمها إلى العرب البائدة كعاد وثمود وطسم وجديس والعماليق ، ولعل أبرز ما تم استحداثه من مفردات طرأت على العربية إنما تمثل فيما يسمى باللغة العبرية التي لا تعدو حتى يومنا هذا أن تكون في معظم مفرداتها ونصوصها لغة عربية حاول التحريف المفتعل أن يخفي معالمها دون جدوى وهي لا تختلف في تسميتها عن العربية إلا بتقديم وتأخير بين حرفين من حروفها هما الراء والباء .

أما ما سوى ذلك من فصائل بشرية طرأت في المناطق النائية عن المنطقة الوسط التي أشرنا إليها ، فإنها لم ترتق (باستثناء البوذية في العهود الأولى لنشأتها) إلى مرتبة الأقوام الذين خصهم الله برسل من بينهم ، وبذلك ينتفي أن يكون لهم أي دور في رسالات السماء وإنما هيئوا ليتلقوا الرسالة العامة التي شاء الله أن يختص بها محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا (للناس كافة بشيرا ونذيرا ...).

وهذا ما يذهب بنا مذهب القول بأن الإسلام الذي شرعت منه شريعة محمد

الخاتمـة قام على مبدأ ناسخ للمبدأ الدي تضمنته آية : (وما أرسلنا من رسول إلا بلســان قومه ليبين لهم) بل وإنما ختمت بقوله تعالى (ليبين لهم) لتحمل إشارة إلى أن إرسـالهم بلسـان أقوامهـم لم يكن اعـترافا مـن الله بكل تلك الألسن التي ابتدعت وإنما كان لتمكينهم من استيعاب ما يتلى عليهم من أوامر الله وتعاليمه إلى أن يحـين الوقت في تقدير الله لبعثة خاتم الأنبياء الذي تبرز ببعثته مشيئة الله في أن يلتئم شمل الأسرة الإنسانية التي بدأت بآدم أبا وحواء أما والتي لا يتحقق فيها الامتثال لتعاليم الله والخضوع لمشيئته إلا بالتئامها حـول كتابه الخاتم (الذي التزم بحفظه والحيلولة بينه وبين التحريف والاختفاء ؟) وحول اللغة التي أنزله بها على محمد صلى الله علـيه وسلم دون أن يضمنه أي نص بالنسـبة للفظ (عربي) إلا فيما يخص هذا الكتاب واللسان الذي نزل به ليتحقق من خلاله (الإعراب) عن مشيئة الله الحقيقية(مـنذ الأزل) ويؤكـد به أن العربية هي لسانه تعالى وجعل محمدًا (صلى الله عليه وسـلم) يضـمن خطابه للناس قوله : (تعلموا العربية وعلموها الناس فإنها لسان الله يوم القيامة) وما كانت العربية لتكون لسان الله يوم القيامة لو لم تكن لسانه منذ الأزل ، (فهـو منـزه عن التغير في ذاته أو صـفاته) وهو أعدل من أن يخاطب عباده ويحاسبهم يوم القيامة بغير اللغة التي شرعها لهم منذ بدء خلقه إياهم ، ثم ألزم خاتم أنبيائه بأن يدعوهم لتعلمها وتعليمها للناس، حتى لا يحرموا شرف الاستيعاب لخطـاب الله الـذي سيتم بلسانه العربي (كمـا يفيد الحديث الشريف الذي يعد أمـرًا مـن أوامره صلى الله عليه وسلم الواجـبة الامتثال والتنفيذ . والتي يتوقف علـيها كل ما ينتظر من الناس من فهم مباشر للقرآن وإعجازه (الذي لا ينصاع للترجمة) وما ينتظر منهم بالتالي من إيمان برسالة الإسلام إيمانًا يكون يقينيًا أساسه القناعة التي لا تحتمل الشك أو التردد أو السطحية .

وما كان لشيء من ذلك أن يتحقق إذا تقاعس المسلمون الذين ميزهم الله بأن يتكـلموا لغة القرآن (العربية) ويكونوا (سـدنة) لهـا عن الامتثال للأمر النبوي

المتمـــثل في قوله عليه الصلاة والسلام : (وعلموها الناس ! ..) .

حضرات السادة الزملاء :

إن الـــتاريخ الإنســـاني الحق لا يمكن أن يســـتقى من خلال ما تعاقب من نصوص (مـــا برح الهوى منذ نشأة التاريخ يلعب دوره الفعال المؤثر) في تدوينه وفقا لمشيئة ذوي القـــوة والـــنفوذ وذوي المصـــالح والغالـــبين عـــلى اخـــتلاف عصورهم ونزعاتهم .

ولن يكون للإنسانية مصدر للتاريخ الإنســـاني الصادق إلا ما تحالف منه مع القـــرآن وقصصه وإشاراته . وسار على نهجه .

ونهـــج القرآن قد تحدد منذ اللحظة التي خاطب الله فيها ملائكته بقوله (العربي المـــبين !) : (إني جـــاعل في الأرض خلـــيفة)، فقد تلقى رد من خاطب من ملائكـــته بقوله (عربي مبين أيضًا) ، ثم تـــتالى ما تم من حوار بينه وبين ملائكته وآدم وإبلـــيس وما علم آدم من الأسماء كـــلها وما أطلقه من تسمية لآدم وحواء هـــي من صميم المشتقات العربية ثم ما تم من خطاب وحوار بينه وبين من تتالى من رسله منذ نوح عليه السلام ، وبين نوح وقومـــه والثمانين الذين حملتهم السفينة معـــه، والذيـــن انشؤوا أولِ مَدينة على الأرض فـــور نزولهم على سفح الجودي (وسموهـــا مديـــنة الثمانين) وقال عنها المســـعودي أنها لا تزال تحمل هذا الاسم حـــتى تاريخ تدوينه لهذا النص (أي سنة 332 للهجرة) في كتابه (مروج الذهب).

ثم ما تتالى من خطاب بين الله وبين رســـوليه هـــود وصالح اللذين كانا أول رســـولين بعد انحسار الطوفان أرسلا إلى قوميهما اللذين لم تختلف الآراء في كونهما (مـــن العرب البائدة) وما تم بين ذينك الرسولين وقوميهما من حوار دون القرآن أهمه ، ثم ما تتالى من خطاب وحوار بين الله وأنبـــيائه إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقـــوب والأســـباط وموســـى وداود وسليمان وعيسى من الرسل الذين بعثوا قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم .

وما تم بين كل أولئك وبين أقوامهم وبـــين الملائكـــة الذين أرسلوا إلى بعض أولئك القوم لمعاقبتهم وبينهم وبين الرسل،

مما دونه الله في القرآن الخالد ، كل ذلك لا يدع مجالا للشك ولا للقول بأن لغات أخرى قد اختارها لغة خطاب بينه وبين رسله وملائكته ، أو بين رسله وأقوامهم ، لأن في ذلك إيهامًا بأن القرآن لم يتضمن في هـذا الصدد إلا مجموعة من نصوص مترجمة وهو إيهام يصل إلى حد التطاول على مقام الله وقدرته وإعجازه الذي أودعه نصوص كتابه . وهذا ما لا يحل لمسلم مؤمن بالله وكتابه أن يعتقده أو أن يقوله ... تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا .

فالإيمان بكتاب الله يتطلب ضمنيًا الإيمان بلغته التي أنزله بها لأنها في ذاتها جزء من إعجازه حيث لا يكتمل ذلك الإعجاز إلا بها ، وهي على ذلك داخلة ضمن التزام المؤمنين بالقرآن وذلك بتعلمها وتعليمها إلى حد الإتقان ومراعاة سلامة قراءته بها دون لغة وسيطة ودون لحن . وعلى ذلك يمكن القول بأن تعليم اللغة العربية السليمة وحمايتها من عبث اللهجات الدخيلة عليها، مما يدخل ضمن الفروض الأساسية الملقاة على عاتق المسلمين المؤمنين بالقرآن وشمول دعوته وواجب تعميم تلك الدعوة باعتبارها موجهة للناس كافة .

وهو في حده الأدنى فرض كفاية يتعين على الصفوة من المسلمين أن ينهضوا به وفي مقدمتهم مجامع اللغة العربية وولاة أمور المسلمين في مختلف ديارهم وأمصارهم.

حضرات السادة الزملاء :

لقد كان لأحداث الطوفان وما لحقها من تدمير وإهلاك لقومي عاد وثمود وما لابس عهد نمروذ الذي امتد خمسمائة عام من طغيان وفتك ، الأثر الكبير فيما بدأ من انتشار في أطراف الأرض وتشتت عزل شراذم العرب بعضهم عن بعض وأدى إلى نشوء متطلبات اقتضت نشوء لهجات ومصطلحات وأسماء لما قد جد من مسميات خرج الكثير منها عن إطار اللغة الأم وتباينت فيه تلك اللهجات والمصطلحات والأسماء على نحو أدى إلى ما صار يبدو لغات مغايرة .

ولكن الله تدخلت إرادته وقدرته لحفظ اللغة الأم من خلال نبيه ورسوله إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام الذي تم على

يديــه التهذيب الأول الذي تمخض عما سمــي (باللغة الخالصة) وهي اللغة التي نـــزل بهـــا القرآن الكريم على محمد عليه الصـــلاة والسلام ، وقد رأى (المؤمنون الأولـــون) على حد التعبير الذي أوردته دائـــرة معـــارف القرن العشرين في هذا الصدد) إن هذه اللغة الخالصة قد أوحي بهـــا إلى إسماعيل عليه السلام باعتباره أبا للعرب المستعربة التي اقتضت مشيئة الله أن يبعث من بينها محمدًا خاتم الأنبياء الذي تلقى القرآن وحيًا من ربه والذي هيأه الله للرسالة العظمى العامة الشاملة بأن جعل دمـــه الـــزكي ملتقى لأزكى الدماء التي التقت في جده إسماعيل بن إبراهيم عليهما الصـــلاة والســـلام فلا يكون لفئة بعينها الانفـــراد بشرف انتمائه إليها وحدها . وهي حكمة بالغة جعلت عقلاء البشرية مـــنذ بعثـــته يضـــاعفون من إكبارهم واحترامهم له الأمر الذي بدا واضحًا في استقبال ملوك الأرض آنئذ لرسائله إليهم بكل ما ذكره التاريخ من تعظيم وتكريم).

وقد لعبت قريش دورًا واضحًا فيما تحقـــق من تهذيب (هو التهذيب الثالث عـــلى مـــا ذكـــرته دائرة معارف القرن العشـــرين) أدى إلى استمرار اللحمة بين (اللغـــة الخالصة التي سبق ذكرها) وبين لغـــة التخاطب التي تميزت بها قريش على سائر بطون العرب وفصائلها ، الأمر الذي هـــيأ العرب لاستقبال القرآن على النحو الـــذي جاء ميسرا وخاليا من كل تعقيد وتـــنافر وأدى إلى انطلاق فصحى قريش في ربوع الأرض تنشر الإشعاع الفكري عـــلى نحو أثار حفيظة من تصدوا لمحاربة الدولة الإسلامية ورسالتها الإنسانية فكان بـــدء الكيد للعربية باعتبارها قوة محركة لكـــل ذلك المد ، وتمخض الفكر المعادي عن حيلة دس اللهجات العامية وتشجيعها والـــتمكين لها على النحو الذي بدأ منذ العصـــر العباســـي يكسر طوق الفصحى ويحقق الانصراف المشئوم عنها في أوساط العـــرب إلى الحد الذي جعلها تختبئ في مـــدارك النخـــبة القلـــيلة من الدارسين والحـــانين علـــيها ، وما نزال نرسف في أغلال ذلك الكيد ، حتى انفصلنا أو نكاد عن ميراثنا وتراثنا العربي في جميع مقوماته المعـــروفة لـــدى كل من قرؤوا التاريخ

الصادق للعرب والمسلمين الأولين . لقد حرصت على أن أوجز ما وسعني الإيجاز، فلم انطلق بكل ما يقتضيه المقام من تحليل وتدليل تجنبًا للإملال ، ولكن يقيني من أن ما تعلمونه أكثر مما أعلمه هو ما حملني على أمر الإيجاز مكتفيًا بما أوردت في استمالة مداركم المحيطة لإعطاء هذا الموضوع ما يستحقه من تحليل وتكميل .

والله يوفقكم والسلام عليكم

علي رجب المدني

عضو المجمع من ليبيا

اللغة العربية في عصر تقنيات المعلومات

للأستاذ الدكتور محمود فهمي حجازي

١- الإطار الجديد

I- تقنيات المعلومات تتجاوز حدود المكان وتتيح الصلة عبر الأقطار والقارات.

II- حركة الترجمة تمثل رافدًا مهما لمتابعة الجديد في العالم ، ومن الضرورة أن تكون العربية لغة التعبير عن الجديد .

III- المعلومات التوثيقية أصبحت متاحة في المكتبات الكبرى في دول العالم المتقدمة في إطار شبكة قوية تمكن من المشاركة في المعلومات .

IV- المنطقة اللغوية العربية تضم مجامع لغوية وعلمية متعددة وجامعات كثيرة وهناك رغبة في التعاون والتكامل .

V- بنوك المصطلحات في عدة دول متقدمة قدمت على مدى نحو ربع قرن خبرة واضحة في توحيد المصطلحات وتقنينها في اللغات الأوروبية.

٢- المهام المتزايدة لمجامع اللغة العربية:

I- استمرار المهام التقليدية للمجامع : إعداد المعاجم، إثراء اللغة بالألفاظ والأساليب ،تيسير النحو التعليمي، المسابقات الأدبية،وتناقص الاهتمام بالبلاغة (قارن خطة الأكاديمية الفرنسية ١٦٣٥م ومجامع اللغة العربية بدمشق ثم القاهرة وبغداد وعمان والمجامع الجديدة).

II- نمو المتطلبات اللغوية للحياة المعاصرة في إطار تقدم العلم واستيعاب التعليم والإعلام لملايين الأفراد .

III- تزايد الاهتمام بضرورة التخطيط اللغوي للحفاظ على وحدة المنطقة اللغوية العربية لمواجهة

(*) ألقى هذا البحث في الجلسة السادسة يوم الخميس١٣ من ذي القعدة سنة ١٤١٨هـ الموافق١٢من مارس(آذار) سنة١٩٩٨م.

الانقسام والضياع في نسق المنافسة العالمية .

٣- **التقنيات المتقدمة :**

I- تتيح التقنيات المتقدمة في مجالات المعلومات درجة عالية من السرعة في الاتصال بين منتج المصطلح والمستفيد منه ، مع ضمان التجديد الدائم للمصطلحات والمعلومات المصطلحية والشمول في التغطية الموضوعية .

II- الإمكانات التقنية ممكنة بتكلفة عالية في حالة الإفادة عبر الدول والقارات من البحث الآلي المباشر (Online) ، ويمكن أن تقتصر هذه الطريقة على المؤسسات الكبرى.

III- تخزين المعلومات (المصطلحات والمعلومات المصطلحية) على الأقراص المكتنزة (CD-Rom) ذات الإمكانات الهائلة يجعل الإتاحة سهلة وزهيدة التكاليف.

٤- **معاجم المصطلحات :**

I- من المفيد إتاحة المصطلحات التي أقرها مجامع اللغة العربية (نحو ١٠٠,٠٠٠ مصطلح) من خلال الأقراص المكتنزة ، لأغراض خدمة المستفيدين .

II- من الممكن إتاحة المصطلحات التي وافقت عليها مؤتمرات التعريب .

III- من الممكن لأغراض البحث تخزين كل المصطلحات المتداولة مصنفة بأكثر من طريقة للنظر فيها والإفادة منها بعد إقرار المناسب منها.

٥- **التنمية الدائمة للمعجمات :**

I- أصبحت المعجمات العامة الصادرة عن جهات علمية في العصر الحديث أعمالا قابلة للنمو والإكمال والتجديد . ويحقق تخزين كل معجم ، وما يتضمنه من مداخل وشروح في الحاسب ، أن يتم عمل التعديلات بشكل دوري وهكذا تتاح طبعة جديدة في كل عدد من السنين.

II- المعجمات المصطلحية للعربية مع لغات أخرى يمكن تنميتها وتجديدها بمتابعة المعجمات الجديدة في العالم بالطريقة نفسها.

٦- **المصطلحات في الحاسب :**

I- يمكن تخزين المصطلحات في الحاسب طبقًا للمواصفات الحديثة المتعارف عليها في علم المصطلح، وذلك في إطار تصنيف محدد للفروع التخصصية ، يأخذ المصطلح مكانه في منظومة مصطلحات التخصص . وقد تتعدد مواقعه في حالة استخدامه في تخصصات متباعدة . ويكون مع كل مصطلح مقابلاته بلغات أخرى ، مع مجموعة المعلومات المعرفة للمفهوم والمحددة لدلالة المصطلح .

II- التعاون الدولي في بنوك المصطلحات ممكن ويوفر جهدًا كبيرًا ، وذلك بالإفادة من الجهود المبذولة في الحصر والتعريف والمقابلات ، ويكون العمل العربي هادفًا إلى إيجاد المقابلات العربية.

٧- **القضايا والقرارات اللغوية :**

I- القضايا اللغوية المتاحة في كتب النحو واللغة والمعاجم يمكن أن تخزن وتصنف بطرق مناسبة لتتاح للمستفيدين بطريقة سهلة .

II- قرارات المجمع في أصول اللغة والألفاظ والأساليب وغير ذلك تكون متاحة أيضًا من خلال التقنيات المتقدمة .

٨- **المهام التسجيلية :**

I- يقتصر التسجيل الميداني لألفاظ المهن وغيرها على خدمة أغراض البحث في المجامع والجامعات .

II- تكون المتابعة اليومية لمطبوعات مختارة من كل الدول العربية بهدف رصد الجديد وتقديمه للجان المختصة ببحثه لاتخاذ قرارات بشأنه ، وإتاحته بعد إقراره بشكل مناسب وعاجل .

٩- **المدونة العربية :**

I- استكمال الثروة العربية من المفردات والتراكيب من خلال رصد واسع للاستخدام الحقيقي عند أعلام التأليف وغيرهم على مدى القرون أصبح عملا ممكنًا بالإفادة من التقنيات المتقدمة على

نحـــو أسهل مما كان متعارفًا عليه مـــن قـــبل . وهـــذا عمل جليل وجديـــر بـــأن تخطط له المجامع اللغوية .

II- يمكـــن توزيع مهام تسجيل هذه الثروة اللغوية على عدة مؤسسات عربـــية تعمل في داخل أقطارها بتخطـــيط وتنسيق وإشراف من المجـــامع اللغوية . ويتكامل العمل بعـــدة طرق ومن خلال تقنيات متقدمة .

١٠- المعلومات اللغوية والمصطلحية :

يشـــارك أيضًا في تقديم المعلومات اللغوية والمصطلحية :

I- الباحـــثون اللغويون في الجامعات ودور النشـــر المتخصصـــة في المعجمـــات ، وذلك بهدف إثراء الثروة اللغوية والمصطلحية بإرسال مـــا لديهـــم للبحث ، ولا يتاح للاســـتخدام العام إلا بعد البحث والإقرار.

II- المـــترجمون يقدمون اقتراحاتهم في ضـــوء خبرتهم المباشرة في مجالات تخصصهم ومجالات ترجماتهم ، ولا تـــتاح المصـــطلحات المقـــترحة للاستخدام إلا بعد البحث والإقرار.

١١- المستفيدون :

يستفيد من إتاحة هذا الرصيد الكبير الـــذي أقـــرته أو تقره المجامع فئات من المتعاملين بالمصطلحات ، وفي مقدمتهم:

أ- المترجمون . ب- المؤلفون .

ج-الباحثون اللغويون .

د- الباحثون التخصصيون .

هـــ المنظمات الدولية .

ز- الناشرون ومؤلفو المعجمات .

ح - الإعلاميون .

١٢- العلاقـــة مـــع المؤسسات المعنية بوضع المصطلحات :

I- تكون خطة التنفيذ في المقام الأول في إطار شبكة تجمع المجامع اللغوية ومكتـــب التعريب بهدف تكامل الجهود.

II- إتاحة المصطلحات المعتمدة يكون لفئات المستفيدين من خلال البث المباشـــر في شـــبكة محلية أو من خلال الأقراص المكتنـــزة .

١٣- العلاقة مع الجامعات :

I- تكـــون الإتاحـــة المباشـــرة للمصـــطلحات لخدمة الجامعات عـــلى نحو يجعل المدة الفاصلة بين إقرار المصطلح في المجامع وإتاحته للمستفيدين تقل إلى الحد الأدنى.

II- إتاحـــة هـــذه المصطلحات على المســـتوى العـــربي بشكل موحد يقضـــي - إلى حـــد بعيد - على اتجاهات الانقسام .

١٤- شبكات المعلومات :

I- دخول هذه المصطلحـــات إلى شـــبكات معلومات دولية يكون قياسًـــا عـــلى مـــا يتم حاليًا في المعلومات الببليوجرافية .

II- دخول هذه المصطلحات المعتمدة إلى شـــبكات المعلومات يمكن من إتاحـــتها - أيضًا - للأفراد ، وفي مقدمتهم : المترجمون ، المؤلفون ، والباحـــثون مـــن مختلف فئاتهم ، والإعلاميون وغيرهم من يتطلب عمـــلهم الإفـــادة مـــن هـــذه المصطلحات ذات الأهمية المتزايدة في الحياة المعاصرة .

محمود فهمي حجازي

عضو المجمع



اللغة العربية وتنازع الاختصاص
بين أهلِ العِلم والتعليم والإعلام

للأستاذ الدكتور كمال دسوقي

١- المجامع أكاديميات لتعريب لغة العلم:

منذ نشرت بأهرام ٢٥ مارس ١٩٩٧م قرارات الدورة الثالثة والستين لمؤتمر مجمع اللغة العربية مؤكدة على لسان رئيسه الدكتور شوقي ضيف أن تعريب العلوم الغربية في جامعاتنا مطلب مصيري - يؤيده في ذلك رئيس مجمع الأردن د.عبد الكريم خليفة ورئيس مجمع السودان دكتور عبد الله الطيب وغيرهما ... وتقرير أمين المجمع الأستاذ إبراهيم الترزي أن قضية التعريب شغلت المجمع منذ دورته الأولى عام ١٩٣٤م وحتى الآن... وتطمين الدكتور حسين كامل بهاء الدين - الذي ترفع إليه بحكم منصبه قرارات مؤتمر المجمع السنوية الذي يفتتحه - أن وزارة التعليم تعمل على تحديث اللغة العربية وتطويرها ، وذلك بتيسيرها على الدارسين دون إخلال بقواعدها أو خروج على مراميها وأهدافها ...".

توالت منذ نفس اليوم • في نفس الصحيفة (أهرام ٢٥ مارس ١٩٩٧م) الحملات على مجمع اللغة : ممثلا في رجاله :" هل المجمع اللغوي وقف على الشيوخ الذين لا يُسلِّم الواحد منهم حتى يودع" ... وفي أعماله : مطلوب ثورة في مجمع اللغة العربية (الشعب ٢٢ /٩٧/٤) - في أعقاب مؤتمر تعريب العلوم الثالث بجامعة عين شمس - الذي يسأل المجمعيين : كيف تختارون الأعضاء والخبراء ... رحمكم الله ، وفي بطء إجراءاته : المجمع يحتاج إلى ٤٠٠ سنة لإنجاز معجمه الكبير إذا استمر أداؤه بنفس الأداء الحالي ... (كمحاكمة) لمجمع اللغة العربية في المجلس الأعلى للثقافة (الوفد ٣ مايو ١٩٩٧) - حيث كان احتجاج الدكتور كمال بشر على مكان عقد الندوة (الذي يفترض أن يكون المجمع وليس المجلس) وإشارته إلى تهامس البعض بسعي المجلس لسحب البساط من

* ألقي هذا البحث في الجلسة السابعة يوم السبت ١٥من ذي القعدة سنة ١٤١٨هـ الموافق ١٤من مارس (آذار) سنة ١٩٩٨م.

تحت أقدام المجمع فيما يتعلق بقضايا اللغة العربية، بدليل إعلان د. جابر عصفور في افتتاح الندوة عن تعاون وشيك بين المجلس ووزارة التعليم فيما يتصل بهذه القضية - التعاون الذي كان أجدر به أن يتم بين المجمع والوزارة .

فعلى خلاف الدراسات الموضوعية الجادة لقضايا اللغة العربية ، الغَيورة على "تحديث اللغة وتحديث الفكر " و "إنقاذ اللغة من الجمود والعزلة عن الحياة " باستشارة عقول أكبر من عقول اللغويين الخُلّص في أمر ما يُدرس للناس " - الأمر الذي لا يقضى فيه ببعض التوصيات ... للأستاذ الدكتور مصطفى ناصف ؛ إلى جانب رابع وخامس المقالات العلمية المتقدمة للأستاذ سامي خشبة عن الإيديولوجية اللغوية المصرية التي سبقت تكون الأيديولوجية القومية العامة لدى المثقفين المصريين الحداثيين الأوائل كتعبير عن الهوية الثقافية الحقيقية للمصريين (الأهرام ١٩٩٦/١١/٢٩) ... تجنح مقالات أخرى إلى الاتهام الصارخ لوزارة التعليم بأن سعي الدكتور شوقي ضيف (بشجاعة يندر أن نجدها عند غيره) إلى جعل التعليم في جامعاتنا عربيًا ؛ بأن المشكلة ليست في المجمع ، ولكن في القرار السياسي الملزم الذي (تؤيده) الحكومة - حتى لا (تُدفَن) قرارات المجمع في وزارة التعليم (الأخبار ٢٤/٧/ ١٩٩٦).

وفي (محاكمة) مجمع اللغة العربية بالمجلس الأعلى للثقافة عن " حاجة المجمع إلى ٤٠٠ سنة لإنجاز معجمه الكبير إذا استمر أداؤه بنفس المستوى الحالي " الذي اعترف الرئيس الجديد للمجمع (لمراسل الأخبار ٩٦/٧/٢٤) أنه هو الذي أوقف العمل به رغم وفرة الميزانية المخصصة له اعتراضًا منه (بعنف) على خطته الحالية وعدم اتفاق الإنجاز مع الإنفاق ... لكي يعاود العمل في بدء الدورة بعد تشكيل لجان جديدة من خارج المجمع ... يتكرر اتهام المجمع في هذه (المحاكمة) بأن العمل به رهين المحبسين) : الرغبة في الكسب السريع من ناحية (فيما يتعلق بجهود الأفراد والشركات التجارية) والبطء الشديد

والتمسك بالموروث فيما يتصل بعمل المجمع من ناحية أخرى !! ويفتأت على الراحل العظيم الدكتور مدكور بردّه حين طلب منذ سبع سنوات ترشيح من يشترك مع صندوق الإنماء العربي في إصدار معجم يعتمد على الحاسب الآلي قائلا : وماذا بعد المعجم الوسيط ؟ ليس في الإمكان أبدع مما كان !!!

ومن قبل – في " مواجهة ساخنة مع العميد السابق للدراسات العربية (الدكتور إبراهيم عبد الرحمن) نجد المطالبة بإعادة النظر – لا في جوائز الدولة التقديرية فقط – بل في عضوية المرأة والشباب بمجمع اللغة – حيث يقال " إن دور مجمع اللغة الجليل في خدمة اللغة العربية يتطلب اختيارًا(موفقًا) للأعضاء، لكننا نراه أحيانًا يحجب العضوية عن بعض الشخصيات التي يمكن أن تثريه ، كما أنه لا يزال حتى الآن عازفًا عن ترشيح المرأة رغم وجود (وجوه) نسائية تصلح لهذا الدور . فيعاود أمين المجمع الأستاذ إبراهيم الترزي الرد على هذا الاتهام الأخير – في إطار حديثه عن كيفية الترشيح وإجراءات الانتخاب للعضوية – بأنه ليس لدينا أي موقف ضد المرأة ، فمنذ الستينيات رشحت شخصيات نسائية شهيرة لم تحصل أي منها على الأصوات الكافية ... (العربي عدد ٤٥٠ مايو ١٩٩٦م) . أما السبب الذي لم يذكره فهو ما جاء بحديث الدكتور إبراهيم عبد الرحمن ذاته من انقسام أعضاء المجمع الذين يرشحون زملاءهم إلى فريقي اللغويين والعلميين وأن ضرورة تحقيق التوازن تحتم أحيانًا استكمال النقص في أعضاء اللجان العلمية المستحدثة – وآخرها الحساب العلمي والمعلومات ، الهندسة الوراثية ...إلخ بما لا يحتاج معه المجمع إلى مزيد من الأعضاء اللغويين إلا للانضمام لهذه اللجان العلمية المستحدثة .

ويظل اشتعال الآراء يحتد ، واضطرام الجدل يشتد ، ما بين تفاؤل بأن لغتنا العربية قادرة على مواجهة القرن الحادي والعشرين قدرتها في الماضي على توحيد الأمة الإسلامية وتحقيق القومية العربية (د.شوقي ضيف ، مؤتمر

جمعــية لسان العرب الرابع بجامعة الدول العربــية ، ١٥/١٦نوفمــبر ٩٧)، وفي معــرض كــون اللغويين يكتبون تاريخ القــرن بكلمات انتشرت في العالم كله (عمــاد غازي ، الدستور ، ٩٧/١٢/٣ بعــنوان " بكــرة أحلى من النهاردة " الكــلمات المائة عن جريدة التايمز لدار النشر كوليتز - أحمد غازي) ... والدعوة إلى عقــد الندوات والمؤتمرات عن اللغة العربــية ككائن حي مشحون بالتراث وكتعــبير عن الهوية : كيف ننقذها من أخطــار تتعرض لها داخليا وخارجيا - وأهمها : تحديات الواقع، العلاقة بالتنمية الشــاملة ، التشابك مع العامية (الأهرام ٩٧/٦/١٣) . فأخطاء الفساد والأفساد اللغويين ليس عيبًا - حيث خير الخطائين الــتوابون ، والأخطـــاء في ذاتها منهج للتقويم والإصلاح (الأهرام ٩٧/٥/٢٣)، وبالاتجـــاه " نحو فهم أشمل للغة وكسب للمســتقبل نحتاج إلى أن نعمل في وقت واحد على تطوير جذري لكل من علوم اللغة العربية والبحث العلمي التطبيقي - لغرض تطويع تكنولوجيا المعلومات للغة العربية ذاتها حتى نستطيع بناء الحاسبات الإلكترونــية وبرامجها المتنوعة ومكتباتها ومخازن معلوماتها بناء أصيلا باللغة العربية (ســامي خشبة ، الأهرام ٩٧/٧/١٨)، كما أن بالإمكان التوظيف (الثقاتنموي) للــبرنامج الــثقافي (محمد ماهر قابيل (الأهــرام ٩٧/١٠/٢٤) ونحــن بسبيل "البحث عن الثقافة العربية (د. محمد علي الكردي ، الأهرام ٩٧/١٠/١٠) ، وعن " أيديولوجية للتعليم المصري " د. محمد ســكران (نفــس العدد من الأهرام) بالــتجدد بدلا من القفز على الثقافات ، وبقــراءة تجربتي اليابان والاتحاد السوفيتي (أ.د. فــوزي فهمي أهرام ٩٧/٥/٩)، واســترجاع الــتجربة المشرفة في الثقافة العلمــية الــتي قــام بها العلامة المصري الدكــتور عــلى مصــطفى مشرفة في الثلاثينيات أو الأربعينيات مع الفارق في الإمكانــيات (أ.د. حامد عبد الرحيم عــيد .الأهرام ٩٧/١٠/١٠) مع مراعاة كــون ما يسمى الثقافة العلمية هو مجرد معرفة علمية - عند مراجعة دور أسلوبنا التعلــيمي فــيها (أهرام ٩٧/١٠/٣)،

ومـــراعاة " أولوية الهدف الاجتماعية في التعلـــيم ونقل التكنولوجيا " (أ.د. أحمد عبد الجواد ٩/٥/٩٧).

٢- والمـــدارس والجامعات مؤسسات للتعليم بالعربية :

يتضـــح إذن من الكتابات الصحفية الســـاخنة منذ بدء الحملة على توصيات مؤتمـــر مجمـــع اللغة العربية التي يتكرر التأكـــيد علـــيها كل عام تحميل المجمع مســـئولية كون " اللغة العربية في أزمة - سواء التي نكتبها والتي نحياها ، وأن لابد مـــن المناداة بإنقاذها من الجمود والعزلة عـــن الحـــياة وتحديثها بتحديث الفكر والشـــعر في عصـــر الثقافة الهشة الذي نعيشـــه (د. مصطفى ناصف ، الأهرام الأدبي ١/٧/٩٧). وينسى المزايدون على المجمـــع المســـددون سهامهم نحوه من خارجه من المسئولين عن التعليم والإعلام والـــثقافة والفكر أن انفتاح المجمع على جماهيرهم بتكرار توصياته السنوية إنما هو إبـــراء لذمـــته من التقصير في المسئولية كأكاديمـــية لتعريـــب لغـــة العلـــوم والتكنولوجيا التي تلزمهم ، فالأزمة التي يشكون منها إنما ترجع لعدم استجابتهم - كل في مجاله - للتوصية المجمعية بالأخذ بمـــا يكفـــل الانتفاع بما أنتج المجمع من قـــرارات ومـــا أعد من قوائم ومعاجم مصـــطلحات ، بل وبما أجرى بشأنه من اتصـــالات مـــع التنفيذيين في الوزارات المعنية بتلك القرارات.

إن المجـــامع اللغوية والعلمية - سواء نشـــأت كمجـــامع لغة أو لجان تأليف وتـــرجمة ونشـــر أو مجامع دار العلوم أو الكتـــب ... أهلـــية أو ملكية - في مصر وســـوريا والعـــراق والأردن منذ مطلع القـــرن - تنص مراسيم إنشائها الرسمية عـــلى أن تكون أغراضها أكاديمية تتمثل في: ١- المحافظة على سلامة اللغة العربية، وجعـــلها وافية بمطالب العلوم والآداب والفـــنون ، وملائمـــة لحاجـــات الحياة المـــتطورة ، ب - النظر في أصول اللغة العربـــية وأســـاليبها ، لاختيار ما يوسع أقيستها وضوابطها ، وييسط تعليم نحوها وصرفها، وييسر طريقة إملائها وكتابتها. ج - دراسة المصطلحات العلمية والأدبية والفنـــية والحضـــارية وكذلـــك دراسة

الأعلام الأجنبية ، والعمل على توحيدها بين المتكلمين بالعربية. د - بحث كل ماله شأن في تطوير اللغة العربية والعمل على نشرها ، هـ - بحث ما يرد للمجمع من موضوعات تتصل بأغراضه السابقة .

وتنص المادة الثالثة من قانون إعادة تنظيم مجمع اللغة العربية بالقاهرة رقم ١٤ لسنة ١٩٨٢م على أن تكون وسائل المجمع لتحقيق أغراضه :

أ- وضع معجمات لغوية محررة على النمط الحديث في العرض والترتيب ، ومعجمات علمية اصطلاحية خاصة أو عامة ذات تعريفات محددة .

ب- بيان ما يجوز استعماله لغويًا ، وما يجب تجنبه من الألفاظ والتراكيب في التعبير .

ت- الإسهام في إحياء التراث العربي في اللغة والآداب والفنون ، وسائر فروع المعرفة المأثورة .

ث- دراسة اللهجات العربية قديمها وحديثها دراسة علمية لخدمة الفصحى والبحث العلمي .

ج- دراسة قضايا الأدب ونقده ، وتشجيع الإنتاج الأدبي ، بالتنويه به أو بعقد ندوات ومسابقات فيه ذوات جوائز ، أو بأي وسيلة أخرى.

ح- إصدار مجلات أو نشرات أو كتب تحوي قرارات المجمع وأعماله وبحوث أعضائه وغيرهم - مما يتصل بأعمال المجمع .

خ- توصية الجهات المختصة باتخاذ ما يكفل الانتفاع بما ينتهي إليه لخدمة اللغة وتيسير تعميمها وانتشارها وتوحيد ما فيها من مصطلحات .

د- الدعوة إلى عقد المؤتمرات والندوات التي تتصل بأغراض المجمع والاشتراك فيما يدعى إليه المجمع من مؤتمرات وندوات تتصل بأغراضه .

ذ- توثيق الصلات بالمجامع والهيئات اللغوية والعلمية في مصر وفي خارجها .

اتخاذ أية وسائل لتحقيق أغراض المجمع .

ولقـــد نهض مجمع اللغة العربية الأم فـــور إنشائه باختصاصات لجان أصول اللغة ،واللهجات ، والألفاظ والأساليب، والأدب ، وإحياء التراث ... فيه - بإعداد وإصـــدار معـــاجم اللغـــة : الوجيز ، والوســـيط، وما تم من الكبير ، ومعجم ألفاظ القرآن الكريم ، ومجموعة القرارات المجمعية العلمية في أصول اللغة والألفاظ والأســـاليب ، ونشـــر من كنوز التراث العربي : عجالة المبتدي وفضالة المنتهى ، التكملة والذيل والصلة (ستة أجزاء) ، ديـــوان الأدب للفارابي (أربعة أجزاء)، كتاب الأفعال (أربعة أجزاء) ، كتاب الجـــيم (أربعـــة أجـــزاء) ، والتنبـــيه والإيضـــاح عمـــا وقـــع في الصحاح (جـــزءان) ، وكتاب الإبدال ، وكتاب الشوارد .. حتى إذا كاد يستوفي رسالته كمجمـــع لغـــة أضاف إلى ختصاصاته مهمة المجامع العلمية وشكل منذ منتصف الخمســـينيات بضـــع عشرة لجنة إعداد مصـــطلحات تعريفات العلوم الأساسية والكونية والإنسانية : التي أنجزت قوائم فمعـــاجم ستين ألف مصطلح (في تقدير الأســـتاذ الدكـــتور شوقي ضيف بالعيد الخمسين للمجمع ١٩٨٤) أضيف إليهما بعـــد ذلـــك حتى سنة ١٩٩٠ ولا يزال يضاف ثمانية آلاف مصطلح طب (الجزء الثاني)، خمسة آلاف كيمياء وصيدلة ، خمســـة آلاف أحياء وزراعة كجزء ثان ظهـــر سنة ١٩٨٨م) ، ٤٥٠٠ مصطلح فـــيزياء حديـــثة (جـــزء ثان ١٩٨٦م) ١٢٥٠ فـــيزياء نوويـــة ... وهكـــذا في معـــاجم علـــوم الرياضيات والهندسة ، والهيدرولوجـــيا ، الجيولوجيا ، النفط ، المعالجـــة الإلكترونية للمعلومات ... ولا تزال تضاف كل عام قوائم جديدة لكل عـــلم ممـــا يعرض على المؤتمر السنوي لإقـــراره . ولـــما تعـــذر إهداء ما تطلبه الهيئات والأفراد من أعمال المجمع أعدت قوائـــم بـــالموجود منها وما نفد لإعادة طـــبعه، وعهـــد إلى كبريات دور النشر بـــتوزيع هـــذه المطبوعات المجمعية بثمن الـــتكلفة ، وصدرت طبعات خاصة من الوجيز والوسيط لإمداد وزارات التعليم

بالبلاد العربية بما يلزمها منها للتوزيع على طلاب المدارس بمراحل التعليم الوسطى وقبل الجامعية .

ولم يكن غائبًا عن ضمير ووجدان أعضاء اللجان العلمية أن تعريب العلوم سواء عند إعداد قوائم فمعاجم المصطلحات الخاصة بكل علم ولدى الترجمة والتأليف في موضوعات العلوم المادية الحديثة - خصوصًا في البلاد التي كانت مستعمرة ولا تزال تدرس حتى في مراحل التعليم الأولى بالفرنسية أو الإنجليزية - أن هذا التعريب إنما هو لغرض التعليم والتدريس ، فحين يختلف خبراء إحدى اللجان حول ما إذا كان تعريب أحد المصطلحات ينقل بالترجمة أو بالمعنى، التراثي الفصيح أو الدارج العامي ... يرجح الجميع ما يفهمه الدارسون وما يجري الأخذ به عند أهل الصنعة - إدراكًا منهم أن تيسير نقل الثقافات المعاصرة إلى لغتنا هو أهم وسائل تقدمنا العلمي قبل أن يكون ضرورة قومية حتمية لجعل العربية صالحة لاستيعاب مستجدات العلوم والتكنولوجيا الحديثة . ولئن كان المجمعيون في القاهرة لم يتعجلوا (وربما لا يزالون مختلفين حول) المبادرة بالترجمة والتأليف باسم المجمع في علوم الطب والصيدلة والرياضيات والهندسة والزراعة والأحياء والفيزياء والكيمياء ... مثلما فعلت مجامع سوريا والأردن (وفي الجزائر وتونس والمغرب) التي نشأت كمجامع علمية - هي لجان ترجمة وتأليف ونشر - لدواعي وطنية قومية غايتها تخليص نظم التعليم من لغة المستعمر ، وتحرير العقل العربي من تغريب فكره وثقافته - فما ذلك إلا لأن التعليم في مصر - حتى أثناء الاستعمار - كان عربيًا في المدارس والجامعات الأهلية والرسمية - إلا ما استثنى لاتصاله بالعلم الغربي ووجود أساتذة أجانب ، وأن أساتذة الجامعة المصريين كانوا قد ترجموا وألفوا في هذه العلوم كتبًا أساسية ومعاجم مصطلحات بالقدر الذي يسد حاجة التعليم العالي منها ، فلم يبق على المجمعيين إلا التوصية بتعريب تدريس ما لا يزال الخلاف حوله قائمًا (كالطب) -

مستعينين في ذلك بما ظهر من آلاف مصطلحات الطب وتعريفاتها لغرض تمام تعريب دراسة الطب .

ومع أن المجمع - شأنه شأن كافة الهيئات الأكاديمية العلمية والبحثية - لا يملك إلا الخروج بتوصيات يضعها تحت نظر المسئولين عن التنفيذ واتخاذ القرار ، فهو لم يقف عند حد تعميم مطبوعاته من معاجم تحديد ألفاظ وصياغة عبارات ومفاهيم لغة العلوم والفنون والآداب ، وتيسير الحصول عليها لكل من يريد أو يلزمه الانتفاع بها ، فقد تجاوز رئيس المجمع بصفة أستاذيته لأجيال أساتذة تدريس اللغة العربية وآدابها بأقسام كليات الآداب المعروف بها قبل رئاسته للمجمع - بالاتصالات الشخصية المباشرة بالمسئولين عن التعليم والإعلام والثقافة والفكر لاستحداث إشاعة استعمال اللغة السليمة إن لم يكن الفصحى في شتى مرافق الحياة اليومية ويتلقى منهم الوعود بأنهم حريصون على الأخذ بما يوصي به في هذا السبيل . ولعل رجال التربية الذين هم الأكثر استجابة لتعريب التعليم وإعلاء تدريس اللغة العربية على اللغات الأجنبية وتعديل برامجها ومقرراتها وطرق الامتحان فيها ودرجات هذا الامتحان ... هم الأقل تعريضًا بالمجمع من أهل الثقافة والإعلام الذين يعجزهم التصدي لقضية استخدام اللغة السليمة في المقالات الصحفية وبرامج الإذاعة والتلفزة - بل لغة الشارع والخطاب الديني والسياسي . وتلبية مطالبات استصدار تشريعات وقوانين تُعاقب على عدم سلامة لغة الحديث والكتابة والإعلان عن السلع التجارية وعروبة لافتات المحال والأماكن العامة الأمر الذي لم يعد من الممكن السيطرة عليه في ظل الانفتاح على الثقافات الأجنبية - اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا في ظل ثقافة العولمة والشركات المتعددة الجنسيات ومدارس اللغات ولغات حوسبة وبرمجة المعلومات وشبكات الاتصال التي تعم كافة المجالات .

ففي الندوة التي عقدت تحت شعار "النهوض باللغة العربية " (أكتوبر٩٧) مع التسليم بأن " العربية مفتاح تراثنا

العـــربي والإسلامي " ، وأن "دار العلوم حافظت على اللغة العربية قرنًا وربع قرن ولا تـــزال " ، ومـــع التأكـــيد على أن "الـــتفكير الســـليم لا يســـتقيم إلا بلغة صـــحيحة" ... يقال إن " النهوض باللغة العربـــية لابد أن يسير في ثلاثة مجالات : الواقع السيئ للغاية اليوم في مناهج تعليم اللغة ومراحله المختلفة ، ضعف أداء معلم اللغـــة ومـــا يعانيه من ظروف اقتصادية متواضعة ، سوء تنظيم محتوى فروع اللغة الـــذي لازلنا نصممه بشكل منفصل : نحو/نصوص/قراءة ...كما يجري التساؤل: هل نعود إلى مناهج الأربعينيات لإصلاح اللغـــة العربية ؟ إن ما حدث في امتحان المـــرحلة الثانـــية لطلاب الثانوية العامة الحديـــثة كخطـــأ فني أو طباعي ينبغى محاســـبة المسئولين عن وقوعه ليدل دلالة واضـــحة خطأ نمط الأسئلة التي تطلب إعطـــاء ثلاثـــة مترادفات أو متضادات لكـــلمة معينة وتحديد أيها المطلوب ، ثم عـــلى أن كتب الوزارة في اللغة العربية خاصـــة يخضع تأليفها لنفوذ طائفة من الكبار داخل دواوين الوزارة أو خارجها - ولو أن الوزارة أرادت لعهدت بتأليف كتبها إلى أساتذة من الجامعات في لجان ســـرية بل محايدة أشبه بلجان الترقيات العلمية في نظامها الجديد !! (د. مصطفى رجب ، الأهرام الأدبي ، ٢٧ مايو ٩٧).

وفي آخر تساؤلات الأهرام أيضًا للكاتب إبراهيم حجازي (١٦ يناير ٩٨) : مع هذه المناهج ؛ إلى أين نحن ذاهبون ؟ نجد القـــول بـــأن الاتهـــام يشير إلى الكتب المدرسية التي تكرس الحفظ والاستظهار وتجعل لكل سؤال إجابة واحدة . فليس في الكـــتاب المدرسي تدريب على حل المشـــكلات أو مناقشة للأحداث الجارية أو توظيف للمعلومات بحيث يقبل عليها المتعـــلم لأنها ذات قيمة وذات مغزى في حـــياته . وما يزيد الطين بلة ، أن بعض مؤلفـــي الكتـــب الخارجية هم أنفسهم مؤلفو الكتب المدرسية . والمعلم المسكين المحشور بين أربعين تلميذًا في الفصل وبين الحصـــة ذات الأربعين دقيقة لا يملك إلا أن ينقل ما في الكتاب إلى أدمغة المتعلمين.

كـــل هـــذا - وكثير غيره كل يوم تقريـــبًا - ولا زال الأمين العام للمجلس

الأعـلى للثقافة الدكتور جابر عصفور يقـرر أنـه " بعد ثلاث ندوات قومية عقدهـا المجلس خلال هذا الموسم ؛ لم يحـدث تناغم كامل بين أدوات الثقافة والإعـلام والأوقـاف والتعليم في إطار المهمـة التي يراها المجلس للعمل بلجانه كعقـل للثقافة المصرية - وهي تأسيس الاسـتنارة وتأصـيلها وإشاعتها في كل مكان ، مادام يضم التيارات الفكرية التي تقبل بمبدأ الحوار والتعددية ، ويحترم حق الاخـتلاف ، ولم يسـتبعد نفسـه كالأصـوليين أو يقـف عقبة في سبيل الاستنارة والتنوير ويعمل ضدها كبعض مـناطق الرسالة المرئية في الإعلام ومخربي المشـروع القومـي للتعلـيم حتى على مسـتوى أساتذة الجامعات ، والتطرف والتعصب والجهالة والإظلام في الممارسة الديمقراطية(الأهالي ٢٢ أكتوبر ١٩٩٦م) كمـا لا تـزال ثقافـة الشارع تزحف وتسـيطر في كـل الأنحاء وعلى كافة الأصعدة : المرور ، اللافتات ، الطعام ، الطرز المعمارية ، النوادي والمقاهي - ممثلة في الضوضـاء والنصـب والاحتـيال (د.سـعيد إسماعيل على - أخبار الأدب ١١/٣٠ ، ١٩٩٧/١٢/٧م) وفي مؤتمـر بـور سـعيد الأدبي يضج المشاركون : الإهمـال يشـوه المشهد ، وثقافتنا بلا مشـروع (أخبار الأدب ٤ يناير ٩٨) ، ومن قبل ومن بعد يصرخ كمال حبيب (الشعب ١٧ مايو٩٧) ضد ثقافة الإثارة والـتحريض وتوصيات مؤتمر مجمع اللغة العربية السنوية التي لا تنفذ : كفى إذلالا للغـة العربـية ، أوقفوا زحف اللغات الأجنبـية !! إن اكتشـاف جامعـة أكسـفورد الـبريطانية العريقة أن نسبة مـلحوظة ممـن طلبة الجامعة خصوصًا دارسـي الأدب الإنجلـيزي لا يعرفون كيفية استهجاء الكلمات ، وعددهم في تضـاعف مسـتمر ... (الأهرام١/٢١/ ١٩٩٨) ومـأزق مواجهة نظام التعليم الأمـريكي تحديـات القـرن الحادي والعشـرين حيـث تتراجع أهمية مواد التعليم الأساسي - خاصة العلوم الإنسانية لصالح العلوم الحديثة المرتبطة باحتياجات السوق كإدارة الأعمال والمحاسبة وعلوم الاتصال ... (أهرام ٢٨ يناير ٩٨) الأمر

الـــذي يضعف قدرة الطلبة على التفكير الـــناقد والإبـــداع وتحويلهم إلى أدوات مبرمجة ... لم يؤديا برجال التعليم الإنجليز والأمريكان إلى اتهام اللغويين بظلم لغتهم القومية لحساب لغة الحاسبات وشبكات الاتصال - مادام أن هذا مصير القوميات في صراعها مع العولمة تأهبًا للاندماج في نظـــام عـــالمي جديد قبل حلول الألف التالث للميلاد .

٣- واللغة والدين قوام الهوية الثقافية والإعلام الثقافي :

ذلك أنه لما كانت الثقافة بالتعريف هـــي نماذج وأساليب الحياة الاجتماعية كـــلها - العائـــلي والاقتصادي والديني والأخلاقي والتربوي والجمالي والسياسي واللغوي والعلمي - خصوصًا المعبرة منها عن روح الأمة ونفسية الشعب ، وبما أن القومـــية قوامهـــا وحـــدة الفكر واللغة والجـــنس والأماني المشتركة بنمو وعي سياســـي أو (أيديولوجـــية) ولاء الفرد للوطـــن نتيجة الشعور بالانتماء ووحدة المصير ومسئولية اشتراك الجميع في تحقيق تلك الأهداف ؛ فاللغة هي أكثر عناصر الـــثقافة ثـــباتًا إذا قيست بعوامل الجنس والديـــن والمصـــير المشـــترك التي تزخر الساحة الثقافية بتعدديتها وتنوعها ليضج المُعـــتَرك الثقافي عند مناقشة أي قضية أو مشـــروع يـــراد به النهوض بالأمة إلى غاياتهـــا (بالنظر في حاضرها لاستلهام ماضيها واستشراف مستقبلها) بخلافات تسمية الحركة تجديدًا أو تحديثًا ، صحوة أو بعثا أو تنويرا ، عقلانية أو علمانية ... وبالـــنظر إلى متغيرات العصر ومتطلبات السياســـة القومـــية والمحافظة على الهوية الثقافـــية تعـــم الاتهامـــات بالرجعية أو التقدمية ، الأصولية أو العلمانية ، التراثية أو العصرنة ، وفي الانفتاح على ثقافات الغـــير : الـــندية أم التبعية ... بل تسود مهاترات الوصف بالظلامية الانغلاقية في مواجهـــة الانفتاحية التنويرية ، النفطية العروبية ، الاستثمارية ، الشرق أوسطية (لـــتمرير الصلح مع إسرائيل) ... فلكل شيء في حياتنا ثقافته - على نحو ما أن " ثقافة الفساد أو الجنس في البيت الأبيض ليســـت غريـــبة على المجتمع الأمريكي "(الأهـــرام ٤ فـــبراير ٩٨) ، وأن ثقافة

البطالة تنتشر في أوروبا (الأهرام ٨ فبراير ٩٨). لكن أهم ثنائيات الثقافة - في عصر الإرهاب والعنف المتطرف الذي نعيشه - هي الصراع بين الرَّجعية والتنوير، الأصولية والحداثة وما بعد الحداثة .

ويتجلى صراع هذه الثنائية البالغة من التطرف حد عدم إمكان الوسطية والاعتدال - أول ما يتجلى - في ساحة التعليم بالعربية - بالنظر إلى أن تعليم اللغة القومية يرتبط بتعليم الدين والدراسات الإسلامية فيواجه وزير التعليم الذي يئن من الشكوى من تنامي التطرف بين جدران المدارس ولا يكف عن الدفاع - حتى فيما يرفع عليه من قضايا أولياء الأمور - ضد حجاب التلميذات ، ونظام التحسين بين الإقرار والإلغاء ، وإنشاء أو إلغاء كليات الطب الخاصة وفروع الجامعات الأجنبية في مصر ... وسط حملات الصحافة الصارخة : مَن يرُد للتعليم اعتباره ؟ ٦ وزراء وضعوا ست استراتيجيات للتعليم خلال ١٥ سنة فقط، ٥ مليارات جنيه حجم الإنفاق الشهري، ٤٠% من مدارس مصر غير صالحة،والدروس الخصوصية تهدم الأسرة الفقيرة وتشيع السلبية بين الأغنياء، الشهادة لم تعد تعبر عن خبرة حاملها أو مؤهلاته الحقيقية - أعيدوا للمدرس احترامه المادي والأدبي ثم تحدثوا عن التعليم (الأحرار ٩٦/٩/٣٠) ... فالتجارة بالتعليم كارثة ، ورفع يد الدولة عن التعليم خطر على الأمن القومي (الأهرام ٤ نوفمبر ٩٧) ، وعن الامتحان الصعب لمجلس الشعب في قانون الثانوية المعدل : القانون غير مدروس ويحتاج من جديد لإعادة عرضه على المتخصصين ، تطبيق التعديلات الجديدة هذا العام مخالف للدستور (الأهرام ١٠ ديسمبر ٩٧) - هذا بينما في رؤية عميد سابق : نظام الدراسة بكليات التربية فاشل (الأهرام ٣٠ يونيو ٩٧) ، وفي تحليل أستاذ التربية العريق سعيد إسماعيل على هناك " شروخ في جدار كلية التربية - أهمها أن التحسين لم يكن راجعًا إلى تحسين في نظم وبرامج كليات التربية بأنواعها المختلفة - خصوصًا بحث

أوضاع كليات التربية النوعية وتطويرها وضمها إلى الجامعات بدعوى توفير معلمين لبعض التخصصات التي لم تكن تُعد لها كليات التربية (الأسبوع ٥ يناير ٩٨) - مع رجاء الكثيرين إلى وزير التعليم العالي التريث في اتخاذ هذه الخطوة...

يواجه وزير التعليم ووزير التعليم العالي - اللذان أصبحا يعملان في وزارة واحدة لتنفيذ السياسة التي يقرها مجلس الوزراء (الأهرام ٤ نوفمبر ٩٧) القضية التي أثارها المسئولون بكلية الآداب جامعة الزقازيق فرع بنها (وغيرهم) بقولهم : إن الحرص على مستقبل الثقافة في مصر يقتضيهم إعادة النظر في لوائح أقسام اللغة العربية التي تقلل من الاهتمام بالثقافة الإسلامية بشكل يتدنى إلى نصف الاهتمام بالثقافة الأجنبية الحديثة حتى لو كانت هذه اللوائح قد نفذت بالفعل ... هذا الاهتمام المكثف الذي هو أكثر من الزحف الذي يتمثل في واقع توزيع الساعات المقررة طوال السنوات الأربع بل الطغيان للثقافة الأجنبية على الدراسات الإسلامية - التي حصرها أصحاب القضية في ثماني ساعات علوم قرآن وتفسير وحديث بالفرقتين الأولى والثانية ، وجاء في رد العميد أنها اثنتان وعشرون ساعة باعتبار الفلسفة الإسلامية والتصوف الإسلامي والحضارة الإسلامية مواد ثقافة إسلامية بالمفهوم الواسع لا الضيق الذي نشر به الأستاذ سامح كريم محرر صفحة الأهرام الأدبي عن هذه القضية - يقينًا منه بأن اللغة العربية وآدابها نشأت في أحضان بلاغة العلوم الإسلامية وخاصة القرآن والحديث فوضع المسألة تحت نظر المسئولين بأسلوب هادئ إيمانًا منه بأسلوب أدب الحوار الذي يليق بأهل العلم فلَم ينله إلا غضب العميد ورئيس الجامعة مما حسبوه استجارة بالصحافة فاتُّهِمَ بضيق الأفق وعدم الدقة في حقائق القضية التي جوهرها تجريح الزملاء بعضهم لبعض لتحقيق مآرب شخصية ... واكتفى بنشر رد الأستاذة والأستاذ المساعد مع رد العميد معتذرًا عن عدم النشر لأصحاب الردود والبرقيات التي

جاءته من الأساتذة وأولياء الأمور والطلاب وكلها تطالب بإعادة النظر في هذه اللائحة .

معنى هذا أن الداعين للاهتمام بالدراسات الإسلامية في قسم يجمع اللغة العربية والدراسات الإسلامية لا يعتبرون الفلسفة الإسلامية والتصوف الإسلامي والحضارة الإسلامية .. دراسات إسلامية بالمعنى الواسع تضيف أربع عشرة ساعة إلى ثماني ساعات علوم القرآن والتفسير وعلوم الحديث بالفرقتين الأولى والثانية بالمفهوم الضيق لهذه الدراسات ؛ كأنما علوم اللغة وعلوم الدين نقيضان لا يجتمعان ، مثيرين بذلك ضرورة التفرقة بين ما هو عربي وما هو إسلامي سواء في الفكر الفلسفي والحضارة العربية - بالنظر إلى وجود علماء وفلاسفة غير مسلمين (من النصارى واليهود بل المجوس والصابئة) ومفكرين من الفرس والأتراك والتتار ليسوا عربًا (باعتبار الدين والجنس على الترتيب) هذا الخلاف الذي لا يزال قائمًا وتتوارثه الأجيال والثقافات كلما تجددت منذ المستشرقين في القرن التاسع عشر لأغراض في نفوسهم فات أوانُها ولا داعي لتجديدها كقضية زائفة حتى لو حسمت بخصوصية العروبة كقومية داخل عالمية الإسلام كدين ، مؤكدين على أن إهمال التفرقة بين ما هو عربي وما هو إسلامي هو سبب مشاكلنا الثقافية كلما ثار الخلاف حول ما بين الحكمة والشريعة من اتصال ، وعلاقة القياس والإجماع في أصول الفقه وفي أصول الحكم (اللذين تصدى للدفاع عن عروبتهما الأخوان مصطفى وعلي عبد الرازق) بمنطق أرسطو اليوناني - إلى حد الاتهام بالقول بدين عربي وفلسفة إسلامية - وتكفير التفكير في تأويل التنزيل ، إعمال العقل في النقل ، وازدواجية الوصل الظاهر مع الفصل الباطن بين الحقيقتين عن تقية لا تقوى ... وفي فلسفة ابن رشد العلمانية التنويرية التي لعروبتها لا لإسلاميتها مهد بها الغرب لنهضته الأوروبية الحديثة ويراد استعمالها اليوم لأغراض سياسية إعلامية: هل هوية الفيلسوف عربية أم إسلامية ؟

وهل الفلسفة الإسلامية المشرقية بيانية عرفانية كامتداد لعلم الكلام والمغاربية عقلية برهانية كامتداد للمنطق والرياضيات ؟

وبينما ينعقد بكلية دار العلوم في الفترة من ٥ إلى ٦ إبريل ٩٧ المؤتمر الدولي الثاني للفلسفة الإسلامية تحت عنوان : الفلسفة الإسلامية وبناء الإنسان المعاصر حيث تتخذ توصيات نبذ التعصب والانغلاق والدعوة إلى معرفة (الآخر) والتحفظ على منجزات العلم حين يصطدم بالمبادئ الأخلاقية ... ضمن استراتيجية ثقافية تعمل على تنمية الحس النقدي وترسيخ جذور الانتماء لدى المواطنين مع الاهتمام بالتكوين الأخلاقي للفرد باعتباره الدعامة الرئيسية في حركة التنمية الشاملة ... " تنظم وزارة الثقافة المصرية ندوة تحت عنوان ندوة ضد الثقافة الإسلامية باستخدام مصطلحات الظلام والظلامية والانغلاق والتعصب والرجعية بدلا من الاسلام - ويتساءل محرر جريدة الشعب (٢٠ مايو ١٩٩٧م) كيف يتأتى لنا أن ندعو إلى دور حضاري إسلامي لمصر في أفريقيا والسلطات المصرية تحاصر الدعوة الإسلامية والعمل السياسي للإسلاميين والمفاهيم الحضارية الإسلامية في عقر دارنا ؟ - هذا مع صورة مكبرة للدكتور محمد السيد حبيب والدكتور الشيخ السيد عسكر في قفص الاتهام : إن الحكومة المصرية تضرب أفضل قوى الأمة عندما تضرب الحركة الإسلامية ، وبعنوان ضخم بعرض الصفحة كلها : المصالحة بين الحكم والإسلاميين ضرورة لنهضة مصر وتطوير دورها الحضاري في العالم الإسلامي .

وفي ندوة فكرية موسعة عقدت بحزب العمل لمناقشة " حقيقة رسالة فيلم المصير " يقول جمال البنا " إن أزمة يوسف شاهين مخرج الفيلم تعود إلى اغترابه الثقافي في تناول موضوع ابن رشد مثلما فعل في فيلم المهاجر وأن علينا لذلك الاحتراس منه :"فالعلمانيون الآن يختزلون ابن رشد في المنظومة الفكرية المادية " - كما قال عبد الوهاب المسيري، "والمعاصرون ينهج بعضهم نهج

الاستشراق الالحادي الغربي في التشكيك في إسـلامية ابن رشد " - على حد قول الدكـتور حسن الشافعي " . وفي نفس الصفحة بجريدة الشعب عن الندوة (٢٤ أكـتوبر ٩٧) " المسئولون بهيئة الكتاب يواصلون العبث بالقيم والعقيدة ، جريمة بحـق العقـيدة الإسلامية في إصدارات مهرجات القراءة للجميع " . أما في ندوة مركز ابن خلدون قبل ذلك بعام (٣٠/٩/٩٦) فـيقول حـاتم جمال الدين تحت عنوان : العلمانيون والإسلاميون ألعوبة في يد السلطة ، فهي تشجع هؤلاء على أولـئك تـارة وأولئك على هؤلاء تارة أخـرى - بدلـيل موقف د. محمد سيد طنطاوي من قضية د. نصر أبو زيد حين قـال وهو لا يزال مفتي الديار المصرية " إن كـتابات نصـر أبو زيد ليس بها ما يسيء ، ولكنه بعد توليه مشيخة الأزهر تبدل رأيه هذا إلى النقيض . ففي حالته وحالة زميله الدكتور حسن حنفي أحد أقطـاب اليسار الإسلامي في مصر تظل المصايد منصوبة للإيقاع بهم في هذا الفخ لـيخرجوا كاسـبين المعركة الإعلامية وينخرطوا في معارك أخرى قضائية - ولو بنشـر الـتقارير العلمية بضغط الحزب الوطـني - مـع خصـومهم من التيار الإسلامي المتطرف .

ولنسترجع معًا عناوين صفحة الدين والحـياة بجريدة العربي على مدى ثلاثة أسـابيع الخـامس والثاني عشر والتاسع عشـر من مايو ١٩٩٧م - تؤيدها مقالة جريدة الأهالي بتاريخ ٧ مايو ١٩٩٧م- بعنوان مفاجأة : كاتب بيان تكفير حسن حـنفي لم يقرأ كتبه ، من الذي يسمح لـ (جـبهة العـلماء) بخرق قانون الجمعـيات ؟ بقـلم عبد اللطيف وهبة الـذي قدم لها بقوله : بعد إدانة د. فرج فـودة وفيلم المهاجر ، مرة أخرى تخرج علينا مدافع جمعية "جبهة علماء الأزهر " إيذانًا ببدء عصر جديد من تكفير رموز المجتمع المصري الثقافية والمستنيرة . وبعد د. نصـر حـامد أبو زيد بدأت فصول نفـس السـيناريو ضد د. حسن حنفي أسـتاذ ورئـيس قسم الفلسفة بجامعة القاهـرة . وذلـك من قبل أعضاء تلك الجمعـية الذين خشوا المواجهة الفكرية

وآثروا المواجهة الظلامية - طبقًا لما ورد مــن الأحداث التي صاحبت إقامة ندوة عــن الشيخ محمود شلتوت بكلية أصول الديــن بجامعـــة الأزهر ... حيث كانت عــناوين جريدة العربي بعد ذلك بأيام : دراسة هامة يكتبها الدكتور عبد المعطي بــيومي : ليس دفاعًا عن حسن حنفي لكن دفاعًا عن سماحة الإسلام : البعض يمارس شهوة الاستعلاء على الناس باسم الحــرص على الإسلام ، من حسن حظ الدكــتور حــنفي أن مهاجمه ليس في مقدرتـــه في فهـــم عـــلم الكلام ، الآن نستطيع القول أن الأزهر غزاه المتطرفون وهـــذا شيء خطير ، وأحذر من كارثة ستصيب الجميع إذا لم نطهر الأزهر من التطرف . وكما أوردت صفحة الأهالي ضمن مقالها : اتحاد الكتاب يقول : بيان علماء الأزهر يهدد الاستقرار الاجتماعي ، يـــورد مقـــال العربي تعقيبًا : علماء الأزهر يطالبون وزيرة الشئون الاجتماعية بالتصدي لانحرافات "جبهة التكفير " - كما يقرر سليمان شفيق بجريدة الأهالي أن مصـــادر أزهـــرية مطلعة أكدت أن تكفـــير د. حسن حنفي من قبل الشيخ يحيى إسماعيل حبلوش ترتبط بالصراع بين جـــبهة عـــلماء الأزهر من جهة ورئيس جامعة الأزهر الدكتور أحمد عمر هاشم وفضـــيلة شيخ الأزهر د. سيد طنطاوي مـــن جهـــة أخرى - حيث كانت قد عقـــدت جلســـة مصالحة بين الطرفين بمكتـــب رئيس الجامعة في يناير الماضي ولكـــن الخلاف تجدد بعد دعوة رئيس الجامعة الدكتور حسن حنفي في الندوة الشـــهيرة التي عقدت بمقر جامعة الأزهر وحاولـــت جبهة كبار العلماء منعها . وعلمت الأهالي أن الدكتور حسن حنفي سوف يؤم طلبة الأزهر للصلاة قريبًا بمقر الجامعـــة - في إشارة منه لدحض تكفير حـــبلوش - له ، وتأكيدًا على أن الصراع لـــيس بـــين اليســـار واليمين ، بل بين الأفندية والمعممين الإسلاميين .

وكانت عناوين صفحة الدين والحياة بجريدة العربي في الخامس من مايو بالبنط العـــريض والصور الفوتوغرافية : عملية تكفـــير الدكتور حسن حنفي : عجزوا عن مناقشته فاصدروا فتوى بخروجه من

الإســلام. جــبهة علماء الأزهر تواصل هوايــتها في تكفير المثقفين بعد أن قتلت فرج فودة وشردت نصر أبو زيد . عميد أصــول الديــن يقول : أعضاء الجبهة يمارســون الإرهــاب علــنًا ومطلوب التصــدي لهم قبل خراب البلاد . رئيس جامعة الأزهر : لا صلة لنا بهذه الجبهة . الســعدي فرهود : كنت رئيسًا للجبهة وأعلــن براءتي من كل ممارساتها . وفي نهايــة الصــفحة بــيان مركز المساعدة القانونية لحقوق الإنسان بعنوان " تكفير الدكتور حسن حنفي بمثابة تحريض على القتل " . وتستمر عناوين صفحة الدين والحياة بجريدة العربي في العدد التالي ١٩/ ٥/٩٧" وملف جبهة التكفير على مكتب وزيــرة الشئون الاجتماعية : " حتى لا تــتكرر المأساة .. الحل هو الحل . شيخ الأزهــر : لا أعرف شيئًا اسمه " جبهة علماء الأزهر" ، ودور الأزهر لا ينتهي عــند الثانية ظهرًا . لجنة الفتوى : ليس مــن اختصــاص هــذه الجبهة إصدار الفــتاوى. وزير الأوقاف : إنهم يجعلون أنفســهم أوصــياء على الناس ويسيئون للإسلام . عضو سابق بالجبهة : لم أكن أتصور أن يلعبوا دور محاكم التفتيش .

ولا تكاد تهدأ العاصفة الهوجاء حتى تهب أكثر تخريبًا ودمارًا بإيضاح حيثيات الحكــم بــبراءة كتاب " رب الزمان " (للدكتور سيد القمني) أن التعارض بين وجهــتي نظر التكفير الأزهري وكفالة حرية الرأي والتعبير التي قررها الدستور إلا بــأن يناضل الطرفان لإثبات الأمر أو نفيه وصولا إلى وجه الحق .. بما لا يمثل ضررا عامًا يستوجب الحجر على حرية المؤلــف ... فقد " صدر في أوائل نوفمبر الماضــي كــتاب تحت شعار : كتاب بكتاب ورأي برأي - في أربعمائة صفحة مــن القطــع الكبير ، على صدر غلافه شــيطان بشع الصورة ، عنوانه الآيات البينات لما في أساطير القمني من الضلال والخرافات ، بقلم الدكتور عمر عبد الله كــامل ، قــراءة وتقديم الدكتور يحيى إسماعــيل أمين عام جبهة علماء الأزهر الشــريف ، إصــدار مكتــبة الــتراث الإســلامي - كإعادة محاكمة تحت مظلة الشــرعية الدينــية مــع حيثيات الإدانة

والقرار والحكم ... ليقول المؤلف أنه لن يقــوم بالرد على ما جاء به من " فتوى القــتل وفلسفة التزوير " - وهو عنوان المقــال في جــريدة الأهــالى ١٤ يناير ١٩٩٨) بــل يعمــد إلى كشف حجم المســاحة المطاطــية التي يتمتع بها ضمير التأســلم السياسي ومنهجه في المحاكمة ومــدى شرف وسائله في الإدانة واتخاذ القــرار بمــا أورده مــن مجموعة التهم الــتكفيرية ". وإلى جانب صورة غلاف كــتاب " النبي إبراهيم التاريخ المجهول" للدكتور سيد القمني نقرأ عناوين صارخة بالنــبط العريض : مناهج الألباب فيما يحويــه الــتكفير من خراب . المكفرون يــرون الــتاريخ المصري كفرًا وإنجازاته أصــنامًا . فقهــاء الظلام أعداء القومية والمصرية والعلم والتاريخ والعقل - مثلما الخطاب الديني " في الفصل الثاني منه عن الــتراث بين التأويل والتلوين كتعسف تفســير ، وكمشروع لليسار الإسلامي في مصر .

٤- تشــويه مقدسات التراث وتجريح رموزنا الفكرية :

هكذا وصل الإيقاع برموز الإسلام الــثلاثة : شيخ الأزهر الحالي الذي كان من قبل مفتيًا " يختلف عن شيخ الأزهر الســابق د. جاد الحق على جاد الحق في شخصــيته كمعــلم بينما الآخر قاضي شــرعي ملتزم " - وبين مفتي جمهورية مصــر العربية د. نصر فريد واصل (قبل وبعد ولايته) والدكتور أحمد عمر هاشم رئــيس جامعــة الأزهــر - الممثلــين للمؤسسات الإسلامية الدينية في مصر) التي انتهت بعد دفاع مرير يوميا وفي كل المناســبات وبشــتى وسائل الإعلام إلى إصدار بيان للناس (١٥/٢/٩٨) تعلن فيه اعتزازها بقبول النصح من كل ذي رأي أو قــلم شريف وتحذر أصحاب الأقلام الصــفراء مــن ممارســة الإفك وافتراء الأكاذيــب والولوغ في الفحش بالطعن في الأعــراض واقــتحام حمى الحرمات الأســرية والشخصية ... بما يترتب عليها مــن الفتــنة وحدوث ما لا يحمد عقباه دفاعًــا عن الشرف والعرض ... وتضع الأمــر كلــه بين يدي القضاء المصري العــادل الــذي يملك وحده أن يردع

(الباحـثين عـن الشهرة) من المنحرفين برسـالة الصـحافة المصرية عن دورها الكـبير في خدمة الحق والحقيقية الذين يستغلون حرية الصحافة لتجريح الشرفاء ويوظفـون حرية الكلمة لخدمة أهوائهم المشـبوهة .. الإيقـاع بين هذه الرموز الممـثلة للأزهر (مشيخة وجامعة) ودار الإفتاء ووزارة الأوقاف والمجلس الأعلى للشـئون الإسـلامية ومجمـع البحوث الإسلامية من جهة ... وبين علماء الأزهر الذيـن بـرزت منهم " جبهة علماء " اختلفت مع الشيخ من قبل في تغيير فتواه وهـو مفتي بما صدر عن مجمع البحوث الإسـلامية ١٩٦٦ مـن أن المعاملات البنكـية معاملات ربوية ، وكذلك في قضـايا الختان ونقل الأعضاء وتكفير د. حسن حنفي (الذي أشرنا إليه)... وأخيرًا معارضة استقبال السفير الإسرائيلي الذي (رفـض الفـنانون والفنانات استقباله واسـتقبله مـع الأسـف شيخ الأزهر (دكتور يحيى إسماعيل ، الدستور ١٢/١٠/٩٧) - بدعوى أنه لا حق له أن يتسامح في دين الله ، وأن ينحاز للحكومة بحكم تعيينـه في منصبه بدل انتخابه - خلافًا لنـيافة الأنبا شنودة المتمسك بموقفه من التطبـيع ورفضه بغير مواربة الذهاب إلى فلسـطين ، ولفتوى الشيخ محمد عليش مفـتي المالكية بالديار المصرية (ردًا على سـؤال المجاهد الكبير الأمير عبد القادر الجزائري) علماء مصر حول موقف أحد سلاطين المغرب الذي قدم العون والغذاء للفرنسـيين المحتلين للجزائر ... أن ذلك حرام قطعًا بإجماع ضرورة - التي يرجو حازم غراب (الشعب ٢٢/١٠/٩٦) من التذكير بها أن لا يعلق شيخ الأزهر فتواه فـيما يسـمى " المؤتمر الاقتصادي " المعروف أنه حرص أمريكي على تعايش المصـريين والعـرب مع دولة الصهاينة اقتصـاديًا واجتماعيا وسياحيا ونفسيا على إرادة أهل الحكم والقرار .

وواضـح أن ما يقصده بيان ممثلي المؤسسـات الإسلامية بالأقلام الصفراء المـنحرفين مـن الكتاب بحرية الصحافة وحرية الكلمة إلى تجريح العلماء الشرفاء لخدمة أغراضهم المشبوهة .

فمـع أن وسـائل الإعـلام المرئية والمسـموعة لم تسـلم من النقد اللاذع لـبرامجها الثقافـية (فضلا عن الترفيهية والفنـية) الـتي تهـدد هويتنا العربية والإسلامية باختراقها في عقر دارها (على حـين وقفـت فرنسا ضد إتمام اتفاقية الجـات لخوفهـا على ثقافتها من غزو الثقافة الأمريكية). فالدكتور محي الدين عبد الحليم رئيس قسم الصحافة والإعلام بجامعـة الأزهر يؤكد أنها كثيرًا ما تفتقر إلى التخطيط العلمي والكوادر المبدعة - مما أدى إلى الاعتماد بشكل مكثف على الـبرامج الأجنبية التي تحمل من المفاهيم والمعـاني ما قد يؤثر بالسلب على عقل المـتلقي ووجدانه . أما " الكابتن غزالي" فهـو يعلن تشاؤمه من وضع استراتيجية صـحيحة للإعـلام المصري . " فطوال الأربعـة والعشرين عامًا الماضية سُيِّدت برامج شوهت الشخصية المصرية ، والآن والوطـن في خطـر حقـيقي ألا يمكن تصحيح هذا الوضع قبل فوات الأوان ؟ (أخبار الأدب ١٤ ديسمبر ٩٧) : أية ثقافـة وأي إعلام ؟ مؤتمر أدباء الأقاليم "مكـلمة " عاديـة جدًا وفرصة للقاء الأصـدقاء - برامجـنا الثقافية مهمشة ، وهويتنا مهددة بالاختراق .

وفي لقـاء الوزير : التفاصيل تطغى عـلى قضـايا الثقافة الحقيقية ، الأدباء يقولـون : المحور عن الثقافة ، والإعلام الـذي تجاهلَـنا - الحـوار أو انقراض المثقفين، النقاد : ما المسروق بأفضل من السـارق. - هذا فضلا عن اتهام فاروق جويدة للتليفزيون بامتهان التاريخ قائلا : كـيف تسمح الدولة من خلال أخطر أجهزتها الإعلامية بأن تقدم صورة مزيفة عـن أحـداث تاريخية لا أساس لها من الصحة؟ لقد كانت خطايا التليفزيون في حـق التاريخ صارخة للغاية على موائد الشـهر الكـريم هذا العام ، وهي تحمل دلالات خطـيرة جدًا في أكثر أجهزتنا الإعلامـية انتشارًا وتأثيرًا . نحن لا ننكر قـيمة التاريخ لأنه ذاكرة الأمة ، ولكن هـناك فرقًا بين أن يكون التاريخ درسا وأن يكون التاريخ ملهى ليليًا أو قصص حـب ساذجة . مثال ذلك : تخبط ثوار يولـيو في سـراديب القصـور الملكية

يطـاردون الأمـيرات (على شاشات التلـيفزيون) ، برنامج كوميدي يسخر مـن صـلاح الدين الأيوبي ويجعل منه مدربًا كرويًا في فريق المقاولون العرب، ومـن فتح القدس مباراة كروية ساخرة وسخيفة تهزأ من حوار البطل العظيم مع أعدائه (الأهرام ١/٢/٩٨).

لكن الشكوى المريرة في بيان ممثلي المؤسسـات الدينـية الإسلامية - وفي خطـاب الأسـتاذ أنيس منصور للسيد الرئيس بعاموده اليومي في جريدة الأهرام بـنفس الـيوم - هـي من حملة الأقلام الصفراء الذين يترلقون إلى ممارسة الإفك ، وافـتراء الأكاذيـب ، والولـوغ في الفحـش بالطعن في الأعراض واقتحام حمى الحرمات الشخصية والأسرية ... التي رفـع بشأنها الرجل الفاضل العالم الكبير وزيـر الأوقـاف دعوى ضد ما نشرته جريدة النبأ - ففي مناظرة عقدتها جريدة الدستور تحت شعار (منصور يا دستور) بين الدكتور سيد البحراوي أستاذ النقد الأدبي بقسـم اللغـة العربية كلية آداب جامعة القاهرة والدكتور محمود الربيعي أسـتاذ الأدب العـربي المقارن بالجامعة الأمريكية قال الأول - في كلمات صريحة ومخـيفة عـن الدسـتور الصـحيفة والصحفيين: الدستور سعت إلى جذب الجمهور فانساقت وراء " الجمهور عايز كـده" ، والرغبة في تحطيم المحرمات تتم بخفـة وطـيش . قـارئكم لا يهتم إلا بالإفـيهات والجنس وأخبار الحفلات ، الدسـتور تستخدم لغة الحرفيين وسكان حواشـي المـدن ... بيـنما قال الثاني: الدسـتور نجحت في جذب القارئ لكل صـفحة فيها . جريدة كانت ضرورية لكسـر الأحاديـة والركود السائد ولا يمكن التخلي عنها . شبعنا من الموافقة ثم الموافقة - أحيانًا باسم الاستقرار وأحيانًا باسـم الأخـوة . سألني أحدهم : همه بيجيبوا الكلام ده كله في أسبوع منين ؟ وبـالفعل فإن عناوين صفحات جريدة الدستور ٧ إلى ١٠ بتاريخ ١٠/١٢/٩٧ كانـت كالـتالي : تحت عنوان كتاب السـلطة / السـلطة والكتاب : هيكل سكن عقل عبد الناصر وأسكن السادات عرش مصر . قال له السادات : الناس لن

يظلــوا يقرأون لكاتب واحد فرد عليه : ألــيس ذلــك أفضل من أن يكتب كل الكتاب لقارئ واحد هو أنت ؟ إحسان عــبد القــدوس : طــريقة هيكل دائمًا الاســتيلاء عــلى الرأس الكبير في أي مكــان. ناصــر الدين النشاشيبي : عبد الناصر كان ينهي خطابه ويسأل هيكل إيــه رأيك فيرد هيكل : تمام يا فندم ! دكــتور فــؤاد زكــريا : هيكل يقدم للســادات وجهًا ساطعًا في ٧١ ووجهًا مظلمًا في ٨٣ ويخدع القراء ويبرئ نفسه دائمًا ! عبد الناصر : هيكل يسكن داخل عقلي ويعرف ما أريد حتى لو لم أبح به.

أما عناوين مانشتات " الدستور" عن أنيس منصور كأحد كتاب السلطة فهي: أنــيس الجليس لسيادة الرئيس : جيهان السادات قاومت نفوذه لأن دمه ثقيل ، وأنــيس كان يصطحب فايز حلاوة إلى الرئــيس لفرفشته . طفل فلسطيني قال للســادات في القدس يا يهودي فشتمه أنــيس . السادات قال له : عبد الناصر فصّلك بسبب مقال (حمار الشيخ) وأنا شايف إنك تستحق الشنق . وعن موسى صبري تقول الجريدة : على طول الخط رفع شعار : تمام يا فندم . السادات قال عــنه : الوحيد اللي فاهمني ثم أهانه على شاشة التليفزيون وقال له : معلهش أهي جت فيك . اصطدم مع أستاذيه مصطفى أمــين والحمامصــي وعمل رقيبًا على مقالاتهما من أجل السادات . النشاشيبي: كــان يميل إلى إرضاء زوجة الزعيم قبل إرضاء الزعيم نفسه . وأخيرًا عن إبراهيم ســعدة ككاتب للسلطة تقول الدستور بالبــنط العــريض : قطع السادات كل الألســنة الــتي طالبــت برقبته . طلب الســادات فصله مرتين ثم عينه رئيسًا لــتحرير أخبار اليوم نكاية في مصطفى أمين واحسان عبد القدوس . طلب من الرئيس مبارك حوارًا أو خبرا لــ (مايو) كــل أســبوع و لم يلب الرئيس طلبه . صــلاح نصــر طلــب منه تقارير عن الصهاينة ... وهيكل سأله : لماذا تهاجمني وأنــا لم أســيئ إليك ؟ ثم سمير رجب عنوان واحد كبير : من القطار إلى صالة كبار الزوار . ولا تقف اراجيف الدستور عــند المعاصرين من الكتاب وإنما تخوض

في أسرار الساسة : السابقون كيف يرون بعضهم : ففتح الله بركات يقول : لا أئتمن خالي سعد زغلول على فرخة ، وعبد الرحمن فهمي ضم فتح الله إلى الوفد لكي يمنعه من الحديث عن سعد زغلول بما لا يليق في مجالسه الخاصة ، وعدو الشعب (إسماعيل صدقي) يقول : كانت له أخطاء ، ومن الذي لا يخطئ ؟ عيوب سعد كانت كما يقول الفرنسيون عيوبًا تلازم الصفات الكبيرة وقد أوقع بيننا الكثيرون و لم ينجحوا - إذ توفى سعد وهما أصدقاء بينهما كل حب وإعجاب . الجبرتي يتعاطف مع المماليك ويهاجم محمد علي ويسخر من أسرته ... فيدفع ابنه ثمنًا لذلك، وتلك كانت الوسيلة الوحيدة التي نجح بها محمد علي في تكميم فم الجبرتي إلى الأبد ... وأخيرًا عن خناقات كبار المؤرخين مع بعضهم البعض هل هي علاقات وئام أم صدام؟

ويضج عدد ١٤ يناير ٩٨ من الدستور أيضًا بعناوين الإثارة الصارخة . ففي صفحة ١٥ " صوت عالي وصدى أعلى " : لا يا شيخ الأزهر ... لا تُشبِّه لقاءك بحاخام إسرائيل بلقاءات الرسول (ص) ليهود المدينة - غلطة وزير الثقافة التي وقع فيها زميله الياباني بعد نصف قرن: هل ستحتفل اليابان بقصف أمريكا لها كما نحتفل بغزو الفرنسيس ؟ بعد الصراع بين النجمة المعتزلة شمس البارودي والممثلة الناشئة ريم البارودي . . نحن نفتح ملف عائلة البارودي ! مصيبة: رئيس جامعة القاهرة يهاجم أبناء العشوائيات ، فمن أين إذن جاء زعماء مصر ومشاهيرها ... وهي مقالات بعث بها قراء جريدة الدستور الذين تشبعوا بطريقتها في التهويل والتشهير . أما صفحة ١٦ من نفس العدد بكاملها تحت عنوان : سطور ساخنة : فتخصص لكبير مفكري الإسلام السياسي الذي حل مؤخرًا في جريدة الشعب مكان الشيخ محمد الغزالي - الذي عمره الآن ٦٧ سنة قضى منها عشر سنوات كاملة في صفوف الماركسية حيث كان قيادة بارزة في الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني (حدتو) ودخل السجن متهما بالشيوعية لست سنوات قبل أن يفرج عنه ويقذف

به نظام عبد الناصر إلى شاطئ الإسلامية إذ يقـول ردا عـلى متهمـيه بالتحول الفكـري: إن المتحولين نوعان : الأول يـنكر ماضيه ويمحوه بأستيكه وأحيانا يهيل عليه التراب ، والثاني يعتبرها مرحلة قـد مضـت وحلقة فكرية من حلقات تطـوره العقلي لا ينكرها بل يعود إليها بإصلاح ونقد ذاتي ، وربما اعتمد بعضا مـنها ضمن مشروعه الفكري في مرحلة مـا بعـد التحول. وأنه من النوع الثاني هذا، فلم يحدث له تحول فكري بل تطور (كمـا حدث للأشعري والشافعي وطه حسين)، و"عندما رأيت ليلة القدر وأنا يسـاري" . فأشـجع المتحولين فكريا هـيكل باشا ، وتحول طه حسين كان سـلبيا ، أما سلامة موسى فكان عميلا حضـاريا .اليسـار كـان يترك الناس يـلحدون بإرادهم . نعم كنت قيادة في (حدتو) وسجنت بتهمة الشيوعية لست سنوات . محمود أمين العالم مؤهل ليكون شـيخ طريقة . د. رفعت السعيد يلبس جلبابا أكبر من حجمه . د.حسن حنفي أفرغ الإسلام من محتواه . العشماوي لا يعـرف الفرق بين الفطرة والفطيرة . ما كتبه د. نصر أبو زيد يتناقض مع إعلانه الإسـلام . الشـعراوي اجتذب لاعبي الطاولة والدومينو من على المقاهي . لا أتصور أن سيد قطب راض عن جماعات العـنف . والعنوان الرئيسي لهذه الآراء الفاضـحة بتلك " السطور الساخنة" : قـتل السـادات أخَّرَ المصريين ولم يغير النظام .

لكن الأعجب من هذا كله أن يلحق بـنفس العدد من الجريدة " مجلة خاصة تصدر في شهر رمضان باسم (الراشدون) "عـن الخلـيفة الثالـث " عثمان ذو الـنورين" - إليك عناوين أربع صفحاتها الكـبيرة : بـدءا بما كتبه المفكر الكبير حسـين أحمـد أمين عن ثالث الخلفاء ورابـع من استجاب لدعوة الإسلام : عثمان : أتعبه عمر وأحبته قريش وأنقذ الأمـة مـن اخـتلاف في القرآن - إلى تسـاؤلات : هل كان عثمان بن عفان حاكمًا فاشلا ؟ولماذا ثار المسلمون ضده؟ في عهـده أقـبل المسلمون على طيبات الحـياة الدنيا ، فارق كبير بين المعارضة

التي قادها أبو ذر الغفاري والتآمر على الدولة بقيادة يهودي ادعى الإسلام - صدق أو لا تصدق : ابن أبي بكر أحد المتهمين بقتل خليفة المسلمين . وفي أعلى الصفحة الأولى للمجلة : لماذا قاد ابن أبي بكر مؤامرة قتل عثمان ؟ الدور الخفي لمعاوية في قتل عثمان - أبو ذر زعيم المعارضة في عهد عثمان : هل كان اشتراكيا ؟ صورة بالحجم الطبيعي لسيدنا عثمان - المصريون ودورهم في قتل عثمان. وأسفل الصفحة - بعد تساؤل محمد عبد القدوس السابق - يأتي اتهام سيد خميس لعثمان بأنه - رغم سوابقه البيضاء في الإسلام التي لم تمنع من انفجار بدايات الفتنة الكبرى في عهده - لم يستمع لنصائح عمرو بن العاص بأن يقتدي بسلفه الفاروق عمر ، فالمليونيرات في عهد عثمان : جمال الدين الأفغاني والمسعودي وسيد قطب ومحمد عمارة يرسمون ملامح الغنى الفاحش في ذلك العصر (اكرم القصاص)؛ ولبلال فضل : أبو ذر زعيم المعارضة في عهد عثمان لم يكن المعارض الوحيد ، بل كان معه عمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود ، فهل كان اشتراكيا أم ضحية اليهود ؟ إن أحمد أمين يزعم أن أبا ذر كان منفذًا لأفكار اليهودي ابن سبأ ، لكن ابن سبأ لم يكن إلا وهما من الأوهام. حسن البنا تحدث عن اشتراكية أبي ذَرّ ، لكن لجنة الفتوى طعنت فيه إرضاء للملك فاروق . الخلافات بين المسعودي وابن الأثير ومحمد عماره وسليم العوا حول ما إذا كان أبو ذر قد اختار منفاه أم نفاه عثمان . وعن مسئولية ابن سيدنا أبي بكر عن حادث اغتيال عثمان ؛ يقول نزار يونس : لم يكونوا جماعة من التأثرين بل كانوا أشخاصًا معروفين ومحددين ، وعن الدور الخفي لمعاوية بن أبي سفيان في قتل سيدنا عثمان : يقول بلال فضل أيضًا أنه "راح ضحية الأقارب العقارب " فلم يدرك خطورة دورهم ولا خطورة أهدافهم . فقميص عثمان كان وسيلة قريش للاستيلاء على السلطة ، وقتل عثمان كان أكثر فائدة لها من موته على فراشه. عثمان أخطأ عندما قرب مروان الذي

نفـــاه الرسول إلى الطائف . مروان هو الـــذي زور كتاب عثمان المزعوم وهو الـــذي كان المتآمر الأساسي على قتله - وعلى الصفحة الرابعة في (مُخربشات) تراث الأمة لعماد غازي : المصريون لعبوا دورًا أساســيًا في اغتـــيال عثمان لهذه الأســـباب ، رغـــم أنه كان هناك أيضًا مصـــريون متشـــيعون لعثمان ، الحزب العـــثماني في مصـــر ســـاعد معاوية في الاســـتيلاء عليها (أشرف أنس) ، قصة ذات الصواري - أول طلعة بحرية (حمدي عـــبد الرحيم)، وعما إذا كان ما حدث لعثمان مشاغبة دهماء لم تجد من يكبحها - كما قال العقاد: يقول حلمي النمنم : إن تولـــية عثمان لعبد الله بن أبي السرح كانـــت شـــؤمًا على المسلمين فقد ظلم المصـــريين ففـــتح بـــاب الفتنة وكانت الكارثة عندما واجه مسلمو مصر عثمان : إن كنت كاذبًا استحققت الخلع - أما قـــراءة عـــلاء الدين عرفات لرؤية طه حسين لعثمان فهي أن " الفتنة الكبرى " كانـــت ســـتقع لا محالـــة بعـــثمان أو بغيره .

لا غـــرابة إذن - بعـــد هذا التشويه لمقدسات التراث القومي والديني وتجريح رموز الثقافة العربية الإسلامية - أن يسود الشـــقاق والانقســـام وجهـــتي الـــنظر المتطرفتين لكل ما يعرض للنقاش والحوار مـــن قضـــايا الـــثقافة والإعلام - فمع تخصيص ملحق للأهرام عدد ١٩ نوفمبر ٩٧ عن " ملامح العالم في القرن الحادي والعشرين " عناوين مقالاته الرئيسية على ثمـــاني صـــفحات " العالم مشدود بين الكونـــية والقومـــية ، دنيا محمولة على كابلات ، العالمية ثقافة من لا ثقافة له ، لكن المحلية تقهر العالمية أحيانًا، في أوربا صـــراع أفكار أم حرب أعراق ، أفريقيا تسقط في هاوية التمزق ، النازية هل تجد موطـــئ قـــدم في ورسيا ، الشيوعية في شرق ووسط أوربا تطارد اقتصاد السوق الحـــرة ، أجراس الكنيسة المحافظة تقرع بموجـــة جديدة من التطرف ، التطرف الصـــهيوني خطر على إسرائيل أيضًا ... وعمومًا ليس هذا هو العالم الذي نتمناه - ونحن نتطلع إلى " ثورة يابانية في مجال العمل " ، وإلى " وظائف أكثر وأفضل "

... وفي غير وعي بما يتهدد الثقافة العربية في بلادهـا من نكسات " المحاكمة ثمنًا للدفـاع عـن اللغة العربية في الجزائر " حيـث مَـثُل أمام محكمة الاستئناف في العاصـمة الجزائرية رئيس جمعية الدفاع عن اللغة العربية الدكتور عثمان سعدي في دعوى كانت قد رفعتها ضده جمعية الأمازيغية المعبرة عن الثقافة البربرية لمقاله الـذي تعرض فيه لنشاطات الأكاديمية الـبربرية في باريس ومحاولتها منع تعميم العربـية ونشـر اللغة البربرية بالحروف اللاتينـية وتقسيم الشعب الجزائري على أساس لغوي (العربي ١٩ مايو ٩٧) ... أو لمحاولـة إعادة " تتريك الإسلام " في الاحتفال بالذكرى الستين لوفاة أتاتورك - الخامسـة والسـبعين لقيام الجمهورية التركية التي نشرت عنه يوم ١٧ نوفمبر جـريدة "صـباح " التركـية الواسعة الانتشـار بعنوان: آخر وصية لأتاتورك العـبادة باللغة التركية - حيث في نادي طـوزلا الروتاري تحدث المثقف التركي جمـال قوطاي العلماني البالغ من العمر تسـعين عامًـا مذكـرًا بخطبة أتاتورك (٤ فـبراير ١٩٢٣) في جامع زاغانوس باشـا بمديـنة باليق أسير التي استمرت ساعة ونصف كأول إشارة منه لرغبته في تتريك العبادة (الذي وضع مشروعه سنة ١٩٣٦م) ومطالـبًا الرئـيس ديميريـل بضـرورة تحقيق هذه التوصية ... مما رد علـيه الدكتور محمد حرب رئيس مركز بحـوث العـالم التركي بفشل تنفيذ أمر الأذان للصـلاة بـ (طائرى أولو دور) بدل الله أكبر ، وعودته إلى الرفع بالعربية عـام ١٩٥٠م، وأن ترجمة معاني القرآن الكريم لا تجوز الصلاة بها ، كما لا يمكن أن يكـون هناك قرآن تركي يتلى كما يتـلى القرآن بلغته العربية ... كما يقول العـالم الإسلامي الأستاذ الجامعي خير الديـن كـرمان في مقاله بجريدة الشفق الجديد (٢٣فبراير ٩٧).

وإذا كان المثقفون الأتراك مدركين أن عناصـر وضباط الجيش التركي هم حمـاة الكمالـية العلمانية التركية تنفيذًا لخطـة المُنظِّر اليهودي العثماني للحركة القومية العلمانية التركية مائير كوهين في كتابه "الروح التركية " الذي يجردها فيه

من كلا القومية العربية والدين الإسلامي بادعائه أن " مبدأ العلمانية أحد الأعمدة الرئيسية في تركيا الجديدة ، وأنه يطابق كل المطابقة النظام السياسي والاجتماعي للأتـــراك القدماء قبل الإسلام - حين لم يجعلـــوا في أي وقت من الأوقات ولا في أي عهد من العهود أدنى أهمية للدين في حـــياهم العامة . فالأتراك بالفطرة ليسوا في حاجـــة ماسة إلى الدين ، ولا كانوا مهتمين قط في أي عهد من عهودهم قبل إسلامهم أدنى اهتمام بالعقائد الدينية !!! فمـــا بال المثقفين المصريين لا يدركون خطورة هدمهم للتراث العربي الإسلامي وهم يتناولون كل قضايا الثقافة التي تمس هويتهم الذاتية والقومية ويتحاملون على الذيـــن يدافعون أكثر إيمانًا منهم بتراثهم الحضـــاري الـــتاريخي والإنســـاني من المستشـــرقين والمستعربين إلى حد اعتناق الإســـلام عن اقتناع ويقين ؟ فجارودي الـــذي يحـــاكم بـــتهمة معاداة السامية لانتصـــاره لهم ودعوته لوحدة إسلامية بعـــيدًا عن الاختيار السياسي أو المذاهبي ووقـــف مفاوضـــات الســـلام المهزلة والكفـــاح المسلح وسحب أموال العرب من أمريكا ... يُهرع البعض للدفاع عنه بيـــنما يشكك آخرون في صدق إسلامه ونوايـــاه وعقيدته، وكتاب أثينة السوداء الـــذي يرد اعتبار الحضارة المصرية بقوله إن الأوربـــيين لصـــوص سرقوا حضارة مصـــر القديمة لأنفسهم بالأدلة والبراهين التاريخـــية والأثرية القاطعة يعارضه بحدة مـــراد وهـــبة قائلا إن المصريين القدماء عـــرفوا التطبيقات العملية لا النظريات العلمـــية في الرياضـــيات والعلوم - حتى الفراعـــنة لم يملكـــوا علومًا بل خرافات أســـطورية وفكـــر ديـــني والتنويريون الأوربـــيون هم الذين أقاموا عصر العقل وحققوا نهضة علمية . والدعوة للاحتفال بالذكرى التنويرية للحملة الفرنسية على مصـــر يقـــوم الشجار حول ما إذا كان يُحتَفل بغزو الفرنسيين بدهاء تاريخي أم بترودولاري في حملة ثورة يوليو لتحرير اليمن،وفي إعادة قراءة التراث : هل سرق ابن خلدون نظريات إخوان الصفا؟ وهل كـــل رموزنا الفكرية الأخرى منذ امرئ القيس شخصيات وهمية أم لصوص؟

٥- انعدام التكامل الثقافي على المستويين الفردي والاجتماعي :

لما كانت اللغة العربية - لغة القرآن وعقيدتنا الإسلامية - هي الثابت بين متغيرات الجنس والدين والأماني المشتركة التي تولد روح الأمة ونفسية الشعب بوحدة الفكر في القومية والوطنية والانتماء والولاء ومسئولية الجميع في الإيمان بالمصير المشترك - في مجالات الحياة الاجتماعية بمؤسسات العلم والتعليم والإعلام والثقافة التي تعمل على تكامل الهوية والثقافة للفرد والمجتمع - ولكل من هذه المؤسسات أجهزته وأدواته التي تعمل لجانها ومجالسها ومجامعها وجمعياتها على توحيد لغة العلم والتعليم والفكر والإعلام والثقافة الجماهيرية فيما يوجه كل منها من خطاب تربوي وسياسي علمي خلقي ديني واقتصادي وأدبي واعلامي ... فإنه يحدث حين يتعذر على المؤسسة - في جو التنافس والتسابق الذي يؤدي إلى التفرق والتشتت وصراع الآراء لتداخل الاختصاصات وتعدد العوامل المؤدية إلى الهدف المشترك ... أن تتنصل من عدم نجاح مساعيها بإلقاء اللوم على غيرها لتشركه معها في المسئولية - وفي أحسن الظروف ، ابتغاء التعاون والتواصل والتنسيق والاندماج - وربما الانفتاح عليه وغزوه في عقر داره لتحميله المسئولية كاملة .

فإذا نظرنا لمؤسسات العلم والتعليم والتعلم والثقافة والإعلام وجدنا لمجمع اللغة العربية ومعاهد وكليات الجامعة والمجلس الأعلى للثقافة ، نفس اللجان والأقسام العلمية والأدبية التي تمارس كل منها اختصاصاتها الرسمية المحددة لها بقانون إنشائها وحكم لائحتها وأعضائها المنتخبين أو المعينين . وكثيرًا ما يحدث أن يجمع عضو إحدى المؤسسات بين أستاذية الجامعة وعضوية المجمع اللغوي ولجنة الثقافة والإعلام - وربما عضوية المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، أو مجمع البحوث الإسلامية، أو أكاديمية البحث العلمي ... فيؤثر ذلك على تفرغه لطبيعة العمل في كل جهة إن لم تؤد به إلى خلط المهام المكلف بها كل منها أهي

مجـــرد تعريب العلوم وتيسيرها أم عملية تعلـــيمها للأجيال أم التثقيف والتخاطب أم أســـلمتها وتراثيـــتها وأجنبيتها .. مما يحـــبط عمـــل زملائه في الجهة الأخرى الذين يتطلعون إلى الفوز مثله بالجمع بين عضوية مجمع الخالدين والترشيح لعضوية الـــبحوث الإســـلامية أو جائزة الدولة الـــتقديرية بـــالمجلس الأعـــلى للثقافة أو أكاديمـــية البحث العلمي ، أو الصحافة والإعـــلام ... هذا في الوقت الذي يوجد بـــه في كـــل تلـــك المؤسسات خبراء وعـــاملون لعشـــرات السنين لم تؤد بهم الترشـــيحات المتعاقبة في مواقعهم للفوز بتلك العضويات المرموقة التي يتطلع إليها ويفـــوز بهـــا الساعون لنيلها من خارج المؤسســـة ؛ مما يساعدهم عليه ويؤيدهم فـــيه المنفتحون على الغير لتبادل المؤازرة والتعضيد في الجبهتين .

ولقـــد كـــان مجمع اللغة العربية في عهـــده الجديـــد هو الأكثر انفتاحًا على الجامعـــات والجمعيات العلمية والثقافية الأخـــرى وهو يتعدى مهمته في تنسيق وتوحـــيد تعريـــب مصطلحات العلوم والفنون والآداب مع اتحاد المجامع اللغوية والعلمـــية الـــتي يرأسها فيتوسع في ضم الجديد منها ويقبل للعمل تحت مظلته وفي رحابه مؤتمرات جمعيات خاصة كلسان العرب وجمعية تعريب العلوم ... بما يخشى معه أن لا تؤدي التعددية والخصوصية إلى التوحـــيد والاتفاق بدل التفرد والافتراق فـــيما لم تلـــتزم به مجامع شقيقة عضو بالمجمع الأم في المشرق والمغرب ولا تزال - كمـــا في كتابة الأرقام بحروف عربية أصـــيلة ، والحاسوب بدل الحاسبات ... إلخ ، ويضـــطر المجمع إلى تبني الخلافات المحلـــية والاجـــتهادات الفردية والجهود الأهلية في استعمال اللغة الفصحى كلغة للتأليف والتعليم والإعلام بما يسبغ عليها مـــن مشروعية - مثلما أن إنشاءه للجنة ثقافـــية تعقد ندوات مناقشة قضايا اللغة والأدب تنقل إلى ساحته الشماء خلافات العلماء والأدباء (الذين لا يرون أنفسهم أدنى مـــن أن يكونوا أعضاء بالمجمع) في طـــروحات مواقفهـــم المتميزة من هذه القضـــايا وهـــم يعرضونها على جمهور الحاضـــرين من أعضائه وعلى المعجبين

بـــآرائهم وتجديداهم التي طالما استمعوا إلـــيها في نـــدوات ثقافية أخرى خارج المجمع وهم إنما حضروا ليوجهوا الأسئلة والتعقيبات المؤيدة لها أو المعارضة في مقر المجمـــع اللغوي العتيد - للتصديق عليها وتوثيقها .

ويقينًا فإن انفتاح المجمع على الإعلام الصحفي خصوصا الذي تعدى مجرد نشر توصيات مؤتمره السنوي (التي لا ضَيْرَ في تكـــرارها في حـــدود اختصاصه) إلى استقبال الصحفيين والإدلاء لهم بأحاديث تبشـــر بعدم اقتصار المجمع على النهوض بمســئولياته عـــن تعريب العلوم وتيسير الانـــتفاع بهـــا بـــل الاتصال الشخصي بالمســئولين عن التعليم والإعلام للأخذ بهـــذه التوصيات - مما عبر عنه الصحفي بعبارات اتمام لهؤلاء (بدفن) القرارات في وزارة التعلـــيم ، وسحب المجلس الأعلى للـــثقافة البساط من المجمع للتعاون بدلا مـــنه مـــع وزارة التعليم ، وعدم صدور القـــرار السياسي بالتعريب الذي تؤيده الحكومـــة ... ورغم وصف الرئيس بـــ (الشجاعة) التي يندر أن نجدها عند غيره، وبـــ (العنف) الذي أوقف به سير العمل بـــالمعجم الكبير رغم توافر الميزانية ليبدأ العمل فيه بلجان جديدة ... فقد انعكس هذا الاتهام للآخرين اتهامات للمجمع في حجـــب العضوية عن الشخصيات التي يمكن أن تثريه، وعزوفه عن ترشيح المرأة، وأن العمـــل به لا زال (رهن المحبسين) التمســـك بالموروث والرغبة في الكسب السريع ، وتطويع تكنولوجيا المعلومات للغة العربية لإمكان بناء برامج الحاسبات المتـــنوعة ومكتباتها ومخازن معلوماتها ... وعموما (محاكمته) والدعوة إلى إحداث (ثـــورة) على رجاله وإجراءات اختيار أعضائه وبطء سير العمل به ... وتحميله المســئولية أولا وأخـــيرا عن أزمة الهوية الثقافـــية التي نعيشها بسبب جمود اللغة وعزلـــتها عن الحياة ... الأمر الذي تنزل بـــالمجمع من علياء سمائه في برجه العاجي إلى معـــترك الحـــياة الثقافـــية التي تموج بالاتهامـــات بـــل المهاتـــرات لأغراض شخصية-وكما تدين تدان،والبادي أظلم.

وليس خافيًا أن جهود المجلس الأعلى للـــثقافة التي لا تكل ولا تمل من الحوار

بالندوات والمؤتمرات (التي تعقد يوميا بل العديد منها في اليوم الواحد بأكثر من مكان) إنما تهدف إلى عبور الهوة بين الأصالة والمعاصرة ، التراثية والكمبيوترية ... للوصول من التقاء الثقافتين إلى ثقافة واحدة قبل أن تسد هذه الفجوةَ إجباريا المحليةُ الخصوصيةُ داخل المعلوماتية الكوكبية . لكنها وهي في سباقها مع الزمن لتحقيق تلك الغاية تصطدم بعراقيل التطرف والإرهاب الفكري الذي يسود مؤسسات المجتمع المدني الأسرية والتربوية والدينية والسياسية والاقتصادية والسياحية- مما تواجهه الدولة (إلى جانب الإجراءات الأمنية) بحشد جهود هذه المؤسسات المدنية للتصدي لهؤلاء المتطرفين الذين يضرون بأرواحهم وأرزاقهم . ولا تقتصر مواجهات أصحاب الرأي والرأي الآخر على من هو أهل لقرع الحجة بالحجة في جو من حرية التعبير عن وجهة النظر ، بل يتطوع من ليس أهلا أو غير ذي صفة أو مصلحة في رفع دعاوى إن لم يكن بالردة للمطالبة بتطليق الزوجة .. فإلي الحد الذي دفع بالدولة إلى تقنين دعاوى الحسبة . ولعل أول محاكمة منذ سقراط الإغريقي لأستاذ فلسفة كانت يوم ١٥/ ٩٥/٥ حين مثل الدكتور عاطف العراقي أمام محكمة (جنايات) المنصورة بتهمة تأويل بعض الأحاديث النبوية التي رفعها عليه قبل ثلاثة أشهر من المحاكمة أحد المحامين بالسنبلاوين استنادًا إلى ما نشرته مجلة اللواء الإسلامي على مدى أربعة أسابيع وصدور الحكم بالبراءة في نفس الجلسة . وكما كان النشر الصحفي هو المحرض على رفع دعاوى الاتهام ، فإنه هو أيضًا ناشر الكسب الإعلامي بالبراءة ... على أن يترك للفرقاء (الأهل) في التخصص التقاضي حول خصوماتهم الفكرية .

فلا سبيل إذن أمام المجلس الأعلى للثقافة ، للتعجيل بتهيئة بلادنا لدخول عالم الكوكبية المعلوماتية الجديدة ، غير مواصلة عقد ندوات حوارات المثقفين فيما بينهم ، ابتغاء تحقيق التكامل الثقافي على مستوى المجتمع العام – على غرار ما حدث في ندوتين عقدهما في رحابه

خـــلال شهر فبراير الجاري ، في ذكرى رحـــيل اثنين من كبار الشخصيات التي تحقــق لهـــا التكامل الثقافي كنموذج - الأولى للعـــالم المـــنطقي الطبيب الأديب الموســيقي الإنســـان دكتور أبو شادي الـــروبي - وقـــد طـــبق عليه نموذجه في الـــتكامل الـــثقافي مهندس البرمجة الرائع الدكـــتور نبيل علي ، والثانية لفيلسوف الوضـــعية المنطقـــية العقلاني الوجداني التـــنويري المجـــدد للعقل العربي وأستاذ فلاســـفة ومفكري الجيل الدكتور زكي نجيـــب محمود - وقد ختمت أنا المناقشة حوله بتطبيق نموذج التكامل الثقافي هذا على شخصيته المبدعة الخلاقة .

وخلاصـــة نمـــوذج تحقيق التكامل الثقافي على مستوى الفرد (الميكرو) أن يدخل في مفهوم التكامل عمومًا مفاهيم أساسية هي : التوازن والاندماج وتعدد الأبعـــاد والتناسق والتمحور والتواصل والفاعلية ، وأن يعمل التكامل الثقافي في عصـــر المعلومات على سد الفجوة بين الثقافـــتين اللغويـــة والكمبيوترية ، بين تكنولوجـــيا المعلومـــات والإنسانيات ، وتوظـــيف المعـــرفة لا الطنطنة بها بحيث، تكـــون المعـــرفة ممارسة عملية وفعلا لا قـــولا، وأن تتخذ الثقافة كمحرك أول للتغير المجتمعي بحيث يجيئ التكامل الثقافي عـــلى مســـتوى المجتمع العام (الماكرو) حصـــيلة تكـــامل الخطابات : العلمي ، الـــتربوي الأدبي، السياسي ، الإعلامي ، الاقتصادي، الديني ... وتصارعها ، ربط التعـــلم بتظرية التعليم الكمبيوترية(كما في الهندســـة الوراثـــية وتعلـــيم الخلايا السرطانية أن لا تنتشر) وبنظرية التعلم الـــذاتي لبياجـــيه وتوظـــيف الذكـــاء الاصطناعي في التنبؤ ورسم سيناريوهات حـــل المشـــاكل الآنية والمستقبلية . وفي الـــتعامل مـــع ظواهـــر فرط المعلومات وضخامة المعلوم وتعدد الثقافات لا غنى عـــن مداومة التثاقف لتنمية القدرة على التثقف وتنوع القدرات الذهنية للمثقف: بتوسيع ذاكرته لا لمعلومات بل لمفاهيم. وحيـــث تكنولوجـــيا المعلومات تعطينا العديـــد من الحلول يتدرب المثقف على عدم التطبيق الصارم للقواعد ، واستخدام الأســـاليب غـــير القاطعـــة ، والتواصل

والتعاون مع الآخر (الذكي) . وللصمود إزاء التعقد في الحياة اليومية الحديثة بسبب تداخل العلوم في كل موقف، لابد من تكامل الخريطة الذهنية للفرد بين الأدب والفن مع الزمان والمكان ونظام الحكم والقيم واللغة - مهما يكن أن اللغة أكثر قبولا من غيرها للحوسبة - حيث لا علم في المستقبل المنظور إلا إذا كان قابلا للتسجيل بالحاسبات ، ومهما يكن أن تكامل تكنولوجيا المعلومات والإنسانيات تسحق بُعدَي المكان والزمان .

كمال دسوقي

عضو المجمع

رثاء العلامة محمود محمد شاكر

للأستاذ الدكتور عبد الله الطيب

جـــــاءَ بنـــعيٍ ثم عـــزّاني ... لـــم يدركـــــمْ أشــعلِ نيراني

نيرانَ حُـــزنٍ شـــبها نعْـــيُهُ ... يــا صــاحِ مـــا أعظم أحزاني

مازلـــت مُـــذْ مـــات أخي دمعتي ... تُســعدني أبكـــــي لإخـــواني

أبكي لأحبـــابي وأبـــكي قـــرا ... باتـــي وأخـــــداني وأقـــراني

أبكي بأشـــعاري وشـــجوي كما ... أبكـــي بدمـــعٍ لـــي هـــتّـــان

ولُـــدتُ بالصـــبر ، وذو الصبر قد ... يُشـــفى بتفـــويضٍ وإذعـــانِ

يأتيـــك بالأخبـــار من لم تـــزوِّ ... دْه محـــبٌّ لـــك أو شـــــاني

وقـــد نعى المنيـــاعُ شـــيخًا ولا ... شبْـــهَ لـــه من انْسٍ أو جـــانِ(١)

نعى أبـــا فِـــهرٍ وزُلْـــفى وقـــد ... نعلمـــه مـــنْ خـــيرِ إنســـانِ

يـــزورُه الطـــلابُ في منـــزلٍ ... رحْبٍ بنورِ العلـــم مُـــــزدانِ

مأوى أولي الألبـــاب في داره الـــ ... جـــوُدِ وفيـــها زادُ أذهـــانِ

وأمُّ فهـــرٍ كمْ أعانـــت على الـــ ... برِّ هـــمُا فـــي البِـــرِّ صنـــوانِ

أذكـــــر لما جئـــتُـــه زائـــرًا ... صاحبَ درديـــري وحيّانـــــي(٢)

كان كتـــابٌ منـــه قد جـــاءني ... يمدحُ ســـفرًا لـــي فـــأرضـــاني

ووجهـــهُ أشـــرقَ في منـــزلٍ ... بالبشـــر فيـــــه قـــــد تـــلقّاني

ســـجيّةٌ من حَســـبٍ لم يشُبْــ ... هـــا ريـــنـــاءٌ أو إدهــــانِ

قلتُ لنـــاعيه ألا قـــد نعى ... طـــودًا ركيـــنًا مثـــل ثهـــلانِ

لم يتحلْحَلْ حينـــما خُلْحِل الـــ ... كـــونُ ولـــم يخضـــعْ لطُغيـــانِ

(*) ألقيت هذه القصيدة في الجلسة السابعة يوم السبت ١٥ من ذي القعدة سنة ١٤١٨هـ الموافق ١٤ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٨م.

(٢) الأستاذ الدرديري أحمد إسماعيل رحمه الله كان سفير السودان بمصر حينا ومن قبل كان وكيلا لوزارة شؤون السودان بمصر. كان قانونيا فاضلا من أوائل من تعلموا العلوم الجامعية من أبناء السودان ، درس بجامعة ليدز في بريطانيا في بعثة الأمير عمر طوسون رحمه الله.

عزيزُ نَفْسٍ ذو حِفاظٍ وذو ... صَدْرٍ لكنزِ العلمِ خزَّانِ

أبنوه قد كان امرأً عالـمًا ... بمصرَ معروفًا وسودانِ

أسَّس فينا معهدًا خيرَ تأ ... سيسٍ على مذهبِ نُعمانِ

أقام في الخرطومِ كليةً ... كأنَّها صَرْحُ سُلَيْمانِ

بحجر الرمل بَنوْها والآ ... جُرِّ وبالجِصِّ وصَوَّانِ

في بلدٍ لم يَبْنِ في أرضه ... من قبلُ غير الطينِ من باني

سوى الطرابيل التي قرب شنـ ... ـدى في تلالٍ بينَ كُثبانِ

ومَرْخٍ وادٍ ثَم آثار صهـ ... ـر لحديدٍ عند حزَّان (١)

قيل لنا شيَّدهَا معشرٌ ... كانوا هنا غابرَ أزمانِ

وغيرَ قُبَّاتٍ بناها لأشـ ... ـياخٍ لهم أصنافُ حِيرَانِ

قد أعتق الإسلام أعناقَنا ... من أَسْرِ أوثان ورهبانِ

وجاءنا صوفية مكَّنوا الـ ... ـدينَ بإيمانٍ وإحسانِ

وقد بنى شيخُ بني شاكرٍ ... محمَّدٌ أمتَنَ بُنيانِ (*)

أَعَدَّ للقاضي فيقضي بها ... لائحةً أعْدَلَ ميزانِ

و العلمُ في آلِ بني شاكرٍ ... قام على أثْبتِ أركانِ

هم شُرَفاءُ وحُسَينيَّة ... مِثلُهُمْ لَمْ تَرَ عَينانِ

مُحدِّثون بأسانيدهم ... وراسخو تأويلِ قُرآنِ

وقد تلا هارون قُرَّاءةٌ ... شَيخانِ في الظلمة نجمانِ

ثم المراغيُّ ومَنْ بَعدَهُ ... قضاةُ شَرْعٍ أهْلُ عِرْفانِ

والشيخُ مُحيي الدين مُذْ جاءَنا ... ما فَضْلَهُ دَهري أنْساني

سَمِيُّ جار الله من بعدهم ... عالمُ وادي النيلِ ذو الشانِ

---

(١)المرخ هو الشجرة التي يستخرج منها النار ، وكان للمرويين معامل بناحية جبال المحمة وغيرها لصهر الحديد .

* هو والد الشيخ محمود محمد شاكر كان أول قاض للقضاة بالسودان وأسس قسم القضاء الشرعي بالكلية ووضع لائحة القضاء على المشهور من مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه .

بقيــةٌ من سَــــلَفٍ صــــالحٍ ... لــم يكُ في الديــنِ بوَهــنَّانِ

أنفــاس جـــار الله في كتبــــه ... بالنَّفَــسِ السَّاخِــنِ تَغْشَــاني

مُذاكشــرُ حَبْرٌ أخــو خِبــرةٍ ... فــردًا بهــا ليـــس لــه ثاني

أتْبـــعَ تفســـيرَ أبي جعفــرٍ ... تعليــقَ تحقيـــقٍ وإتقـــانِ

لو أنَّــهُ أكمــلَــه لاكْتَـــفى ... به إذَنْ عن غـيــره الغــاني

يَنْــمِي الأحــاديثَ إلى أصلِهَا ... عند مدينيٍّ وشَــيبــاني(٥)

يرجــع بالشــعر إلــى مَنْ روا ... ه بين قيـــسيٍّ وقَحْطَانــي

وكـــان بـــحَّاثًا بعيـــد المــدى ... صاحـــبَ تنظيــرٍ وبُــرهانِ

مُشـــتمِلِ النَّفــسِ علــى قُــوّةٍ ... كأنها ثــورةُ بُــركــانِ

ذو أســهُمٍ مثل أخـــي الخضير ... يرميهنَّ عن كبداءَ مــرنان(٦)

وشـــُهُب يقـــذِفُها عــن سمــا ... ءِ الحــقِّ تُردي كلَّ شيْطَــانِ

فنســألُ الله لـــه منـــزل الــر ... روضات فـــي جناتِ رضوانِ

يُجزَى جزاءَ الضِّعْفِ عن حُسْــ ... نِ ما أسدى بعفـــوٍ وبغفرانِ

وبركـــات في ذويه مع الأجـــ ... ــرِ الذي مـــن غـــيرِ نُقْصانِ

والحمـــدُ لله عَلَى ما حبـــا ... نَا نعَمـــاً كَيلاً بـــرُجْـحَانِ

ثُـــمَّ صلاةٌ لنبي الهدى المخْــ ... تَارِ من صفـــوة عــــدنانِ

تُتْــلَى بتســـليــمٍ على آلِــهِ ... والصَّحْبِ مَاكرَّ الجديـــدانِ

عبد الله الطيب

عضو المجمع من السودان

---

(١) إشارة إلى علي بن المديني وأحمد بن حنبل الإمام رضي الله عنهما .

(٢) أخو الخضر هو عامر الخضري الرامي يقول فيه الشماخ :

قليل التلاد غير قوس وأسهم ... كأن الذي يرمي من الوحش تارز

وفيه الزائية التي للشماخ وعلق عليها الشيخ محمود رحمه الله بقوسه . العذراء والكبداء القوس . والمرنان التي لها رنة حين الرمي عنها .



من قضايا اللغة العربية

العربية ومشاكلها في مجال المصطلحات العلمية
(مناقشة حال هذه المصطلحات بين التعريب والوضع)

للأستاذ أحمد شفيق الخطيب

بسم الله الرحمن الرحيم

سيادة أستاذنا الموقر الدكتور شوقي ضيف رئيس المجمع .

السيدات والسادة والعلماء الأكارم :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تمهيد :

كتبَ شيخُ العربية الحديثة أحمد فارس الشدياق في تقديمه للطبعة الأولى من لسان العرب أواخر القرن التاسع عشر يقول:

" وبعدُ ، لقد اتفقت آراء الأمم ، العرب منهم والعجم ، الذين مارسوا اللغات ودروا ما فيها من الفنون والحكم وأساليب التعبير عن كل معنى يجري على اللسان والقلم ، على أن لغة العرب أوسعها وأسنعها ، وأخلصها وأنصعها ، وأشرفها وأفضلها ، وآصلها وأكملها . وذلك لغزارة موادها واطراد اشتقاقها وسَرادة جُوادها واتحاد انتساقها ... مما لا تجد له في غيرها من لغات العجم شبيها".

وكتب أُسقُفُ قُرطُبة، أكبر مدن أوربا في القرن العاشر ، يقول: " إن اللغة العربية قد فتنتنا بعذوبة ألفاظها وبلاغة إنشائها حتى لا نكاد نجد فينا من يقرأ الكتب المقدسة باللاتينية . وشبابنا الأذكياء جميعًا لا يعرفون غير لغة العرب وآدابهم ؛ وكلما قرأوا كتبها ودرسوا آدابها ازدادوا إعجابًا بها . فإذا حَدَّثْتَهُم عن كتاب من الكتب اللاتينية سخروا منه وقالوا إن الفائدة منه لا تساوي التعب في قراءته . وهكذا نسي المسيحيون لغتهم وجهلوا كتابتهم وبلاغتها وحذقوا اللسان العربي - حتى ليكتبونه نثرا ونظما بأسلوب أنيق يفوقون به العرب أحيانًا ".

وفي إشارة إلى هذه الفترة من ازدهار الحضارة العربية واللغة العربية تقول

(*) ألقيت هذه المحاضرة في الجلسة الثامنة يوم السبت ١٥ من ذي القعدة سنة ١٤١٨هـ الموافق ١٤ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٨م.

الكاتبة زيغريد هونكه في كتابها "شمس العرب تسطع على الغرب " :"لقد أضحت العربية لغة العلماء بل لغة الشعوب التي دخلها الإسلام ، وكانت لغة العلم وحدها لا تنازعها تلك المكانة أي لغة أخرى . لقد استطاعت العربية استيعاب جميع العلوم التي بلغتها الحضارات التي سبقتها - مضيفة إليها علوما جديدة بمصطلحات ومفاهيم جديدة . وفيها كانت تؤلف الكتب ، وبها يتحدث العلماء ويديرون الحوارات في ما بينهم مهما اختلفت أصولهم ".

١- والأدلةُ على المكانة العلمية للغة العربية حينئذ لا تُعوِزُنا - فهناك مئات الألفاظ في الفلك والصيدلة والكيمياء والطب والفيزياء والجغرافية والرياضيات التي أخذتها اللغاتُ العلمية والغربية عنها ؛ وكذلك المؤلفات التي ظلّت تُدرَّس في جامعات أوربا طوال عِدّة قرون .

ولستُ أقصدُ بهذه المقولات انفعالا عاطفيا يذكر بمقولة البيروني الفارسي الأصل "وإلى لسان العرب نقلت العلوم من أقطار العالم فازدانت وحلت في الأفئدة ، وسرت محاسنها في الشرايين والأوردة ... إلى أن يقول " والهجو بالعربية أحب إلّي من المدحِ بالفارسية ".

فكل ما أريد أن ألفت إليه هو أن المشكلات التي تواجه العربية في مجال "اللغات العلمية " اليوم ليس سببها عجز اللغة العربية أو قصورا جوهريا في خصائصها . إنما العلة أو العلل ، في أهلها - في العرب العرباني النزعة ، في استراتيجياتهم القبلية والإقليمية الضيقة وتجاهلهم منطق العلم والتاريخ ، وفي بيئة الجمود والاتكالية الغيبية ومختلف عوامل الوهن القومي والاجتماعي والسياسي الذي أخذ يطغي على الوطن العربي منذ أواخر العهد العباسي ومراحل الانحطاط التي أعقبته ، بخاصة بعد الاكتساح المغولي - مما عطل قوى الإبداع والمسار العلمي والأنشطة الرائعة التي كانت العربية أداتها كلها .

وزاد الطين بلة مجيء العثمانيين ليبسطوا سلطاتهم وسياساتهم التتريكية والتجهيلية على الوطن العربي ويجعلوا التركية لغة الدواوين ودوائر الدولة

والمــدارس - عــلى نُدرتها وأساليبها في تدريس كُلِّ المواد، حتى مادة اللغة العربية، بالتركــية ، في كتب وضعت بالتركية ، وعلى يد معلمين أتراك غالبا . ولا تسل عن مناخ الجهل الدامس الذي راح يتزايد ويعــم حــتى شمل البلاد والعباد باستثناء بعض الأديرة والجوامع .

وتُشــيرُ إحصــاءاتُ اليونسكو أنه بســبب هذا الركود - حتى أوائل القرن العشــرين - لم يدخل اللغة العربية سوى خمسين مصطلحًا .

الذيــن يلومون العربية ومصطلحاتها لعــلهم يتناســون أن اللغــة إنما تعكس أوضــاع الأمــة وحيويــتها وإنجازاتها وسلطانها - هكذا كان شأن اليونانية أيام الإغــريق ، واللاتينــية في عهد قيصر ، والعربية في زمن بني العباس ، والإنكليزية الأمريكية في أيامنا هذه .

العربية في بدايات عصر النهضة الحديثة:

مــع بدايــات عصر النهضة الحديثة أوائــل القــرن الماضي بخاصة ، انطلقت العربية تأخذ طريقها مجددا إلى دنيا العلوم الحضــارية نتــيجة للتحولات السياسية والاجتماعــية والثقافية والاقتصادية التي أحدثتها الاحتكاكات بالغربْ في مختلف المجالات . وقد بدأت تباشير هذه النهضة مشــرقيا في موقعــين كانــا دوما أرضا خصــبة للانبعاث والتطور - عنيت مصر ومنطقة شمالي سوريا ولبنان.

فإثــر الحملة النابليونية الفرنسية التي فتحــت الأعين ، بخاصة أعين الحكام ، عــلى الحضارة الأوربية ، وما أن تسلم محمــد عــلي مقاليد السلطة في مصر ، حــتى عكــف عــلى نقل مدنية الغرب عن طريق البعثات والمعاهد والترجمات . وكــان طبيعــيًا أن تــتخذ معــاهد محمــد علي القاهرية ، منذ تأسيسها عام ١٨٢٥م ، في الطــب والهندسة والزراعة والعســكريات ، اللغــة العربــية وسيلة لهــا في تعلــيم المــناهج عــلى كــل المستويات .

لقد جعل محمد علي الترجمة إحدى وســائله العملــية لــنقل علوم الغرب وحضــارته ، فأســس قلم الترجمة عام ١٨٤١م ، وكــان يفرض على المدرسين وتلامــيذ البعثات أن يترجموا الكتب التي

تعـين لهـم وأن تكـون ترجماهم متقنة وسليمة من الخطأ .

ومن المعالم المشهودة في هذه الفترة ما تم بجهود كلية الطب في القاهرة التي بدأت تدريس الطب بالعربية عام١٨٢٦م. فقد شعر ناظرها الدكتور بيرون ومساعدوه ، بمسيس الحاجة إلى ترجمة معجم شامل في العلوم الطبية - فاستحضر من باريس "قاموس القواميس الطبية " لفابر ، في ثمانية مجلدات ، تشمل جميع الاصطلاحات العلمية والفنية في الطب والنبات والحيوان والعلوم الأخرى .

وقد تعاونت مدرسة الطب بكل هيئاها على ترجمة هذا القاموس إلى العربية، فوزعه الدكتور بيرون على مهرة المدرسين (بإشراف أستاذه في العربية محمد عمر التونسي) لينجز كل منهم قسما منه. ولم يكتف الدكتور بيرون بذلك ، بل أراد أن يكون القاموس الجديد جامعا أيضًا للألفاظ والمصطلحات الطبية القديمة. فأتى بالقاموس المحيط للفيروزأبادي ، ووزعه على أفراد الهيئة ، وأمر كلا منهم أن يراجع الجزء الذي بيده ، وينتقي منه كل لفظ دل على مرض أو عرض ، وكل اسم نبات أو معدن أو حيوان .

ولم تكن جهود الرواد في الكلية السورية الإنجيلية (الجامعة الأميريكية في بيروت لاحقا) ، أواسط القرن الماضي ، أقل شأنا . فقد كانت مؤلفات المستشرقين الأمريكان ، من أمثال كرنيليوس فانديك ويوحنا ورتبات وجورج بوست ، بمعاونة أساتذهم العرب من أمثال بطرس البستاني واليازجيين ناصيف وإبراهيم ، ويوسف الأسير وأحمد فارس الشدياق ، تغطي برامج الدراسة في علوم الطب والفيزياء (الفلسفة الطبيعية حينئذ) والكيمياء والصيدلة والرياضيات والفلك وسواها بلغة عربية سليمة ومستوى علمي راق قرابة ربع قرن (من ١٨٦٧ إلى ١٨٩٠) . فلم يكن يخطر ببال رواد النهضة ، عربا أو أجانب من المخلصين ، التدريس بغير العربية - تطبيقا لمنطق علمي نفساني صحيح .

وقد كان يرجى للغة العربية في هذا العهد أن تبلغ أعلى درجات الرقي لو أتيح لها أن تكون ، وتستمر ، لسان حال

النهضة العلمية العصرية . لكن سياسات الغــرب الــتي تعرفوها جيدا حاليا كما سالفا، ما كانت تخطط لمثل هذا الانتعاش في مســيرة اللغــة العربــية وقد أخذت تســتوعب أســباب الحضارة ومتطلباتها العلمية بنجاح في القاهرة وبيروت . فما أن ثبت الاجتياح البريطاني أقدامه في مصر حــتى عرقل هذه المسيرة - أولا بتحويل الــتدريس في مدرســة الطب إلى اللغة الإنكليزية عام ١٨٨٧م (بعد سبعة عقود مــن الإنجــازات الــرائعة - ليس أقلها اكتشــاف جــرثومة البلهارسيا ودورة حــياتها ، وهو إنجاز لما تحقق مثله أي من جامعاتنا السبعين) . ثم أكمل البريطانيون إجهــاض المسيرة تلك ثانيا ، بقرار عام ١٨٨٩م بــأن تكــون لغــة التعليم في مخــتلف المعاهد المصرية اللغة الإنكليزية . فأغلقــت مدرسة الألسن . ونفي رفاعة الطهطــاوي ومؤيــدوه إلى السودان ، ووجهت البعثات إلى إنكلترا (بدل فرنسا وإيطاليا) .

وما هو إلا عام أو بضعه ، حتى حذا الأمريكــيون في الكلية السورية الإنجيلية حذو البريطانيين ، فتحول التدريس فيها ، أيضًا من العربية إلى الإنكليزية .

وهكــذا حُرمــت اللغة العربية من فُرصــتها الذهبية ، وغُرِسَت بذور الشك والريــبة في نفوس أبناء العربية بلُغَتِهم - بأهم مقومات أصالتهم وحضارتهم . وفي يقين الكثيرين ، ويقيني ، أنه لو استمرت جهــود معــاهد العلوم الطبية والهندسية والزراعــية وسواها في القاهرة ، لتتضافر مــع جهــود العاملين في الكلية السورية الإنجيلية بمختلف فروعها ، معززة بجهود الميامين من رجال المعهد الطبي في دمشق الذيــن حولــوا ، بنجاح مشهود ، لغة الــتدريس في ذلك المعهد من التركية إلى العربية عام ١٩١٩م - أقول ، لو تم لهذه الجهــود أن تتضافر ، لكان حال العربية اليوم غير ما هو عليه ، ولكنا تجاوزنا منذ أجيال هذه الحلقة المفرغة التي مازلنا فيها نحوم وندور.

المشــكلات التي تواجه العربية في مجال المصطلحات العلمية وتقلبها :

في رأيــي هــنالك مشكلة واحدة أساســية تنــبع منها كل المشكلات التي

تُواجِـه اللُّغـى العلمية العربيَّة اليوم - إن كانت من حيث المصطلحات وتواجدها وتقبـلها ونشــرها ، أو من حيث توافر المـراجع العلمية العربية التي تعالج مختلف المفاهـيم العلمــية من كتب ودوريات ومــراجع مُتجَدِّدة ، أو من حيث ضعف اللغــة العلمية العربية عند غالبية المتعلمين وعـدد غــير قلــيل من المعلمين . هذه المشــكلة - المشكلة الأساس ، هي تعليم العلوم بغير العربية .

وإذا نحل هذه المشكلة ، تُحلُّ مُعظَمُ تلك المشاكل ، إن لم يكن كلها تلقائيا .

إنــك لا تكــاد تجدُ بين أمم العالم صــغيرها وكبيرها أمة تقدم العلم لأبنائها بغير لغتهم سوى في عالمنا العربي المتعثر - فلا صعوبة كتابة اللغة اليابانية والصينية ، ولا صــغر حجم بعض دول أوربا ، ولا فقــر بعــض دول آســيا ، ولا شُــحَّ مصــطلحات اللغة التركية ، ولا موات اللغــة العــبرية طــوال عشرين قرنا ، حالــت دون أن تكــون اللغــة القومية هــي لُغــةَ تدريــس العلــوم في تلك البلاد .

في إحدى الندوات أخبرنا زميل زار شمال أوربا في جولة تربوية ، في فنلندة ، أنــه في إحــدى المــدن ، وسكانها لا يــتجاوزون الربع مليون ، ٩٣% منهم يتكــلمون الفنلندية و٧% يتكلمون اللغة السويدية - وكلتاهما لغة رسمية قومية هناك كليــتان للطــب - إحداهما تدرس باللغة السويدية والأخرى باللغة الفنلندية .

وأذكــر أن المرحوم الدكتور حسني ســبح في حديــث له عن "عملية تتريك التعليم - أسبابا ووسائل" ، قال:

إثــر حملــة تولاهــا من سموا فيما بعد "الطــلاب المجــاهدين" وأيدها الصحافة والــرأي العام، استدعى رئيس الشورى العسكرية ، أسعد باشا ، ثلاثة من كبار هيــئة التدريس الأجانب وسألهم : أيها أجدى وأعود بالنفع على الأمة - التدريس بلغــة أجنبــية أم بلغتنا القومية ؟ فكان جوابهم الصريح : التدريس بالتركية طبعًا أجدى - فكان التتريك !

ويــتابع الدكــتور سبح - وهو زار الكــثير من المؤسسات التربوية ، بخاصة الطبية منها ، في تركيا - ليقول : أتدرون،

إن تـــتريك الطـــب كان في الحقيقة شبه تعريـــب ، إذ إن حــــوالي ٩٠% مــــن مصطلحاتهم كانت ألفاظًا عربية .

ومــــا دمنا في مجال الحكايات فهذه حكاية معبرة أخيرة :

أوائـــل العشـــرينيات من هذا القرن افتتحت الجمعية اليهودية الألمانية " معهد التخــنكو " في حــيفا ، وكانت أنشأته بـــأموال ألمانـــية ، وجهود من أعضائها وخبرائها الألمان . وارتأت الجمعية جعل الألمانـــية لغـــة التدريس في المعهد ، لأن العـــبرية ليست متطورة إلى القدر الذي يســمح باستعمالها في مجال تعليم العلوم والتكنولوجـــية . فقامـــت الدنـــيا هناك بموجـــات الاحـــتجاج وإضراب المعلمين والتلامـــيذ وبدعم من الصحافة والرأي العـــام - معتـــبرين ذلـــك إهانة قومية . واضطرت الجمعية إلى التراجع ؛ فكانت الـــدروس تترجم من الألمانية لتلقى على الطـــلاب بالعـــبرية . وأذكـــر أنـــه في الثمانينـــيات ، أي بعد حوالي نصف قرن من تأسيسه ، عقدت في هذا المعهد ندوة دولية في شـــؤون الـــذرة والنـــوويات ، وكانت العبرية لغة الندوة الوحيدة .

وبالمقـــابل فـــإن دساتير جامعاتنا في العالم العربي في غالبيتها العظمى تنص على أن لغـــة التدريس هي اللغة العربية - مع جواز استخدام لغة أجنبية في بعض المواد مؤقـــتًا إلى حـــين يتيسر تدريسها باللغة العربـــية . فكـــان الاســـتثناء أقوى من الدساتير!

اللغة العربية نالت اعتراف العالم منذ ١٩٧٣م ، وأصـــبحت لغـــة رسمية مع اللغات الخمس الكبرى في مؤسسات هيئة الأمـــم المتحدة كافة عام ١٩٨٢م ، لكن العالم العربي ، مع الأسف ، يتنكر للغته.

المســـؤولون في العالم العربي يُكثِرون الحديـــثَ عـــن التنمية في هذه الأيام ، ويُركزون مشاريعها على النواحي المادية؛ ويااليـــتهم لا يتناسون أن تنمية الإنسان العربي هي الأساس في عملية التنمية ، وأن لا تنمـــية دون تعريـــب التعليم ، تعريبًا شاملا في مختلف القطاعات - لا الجامعية والأكاديمية فقط ، بل الصناعية والتجارية والزراعـــية والحياتـــية عامة ؛ وإلا كيف يصـــلُ العلمُ إلى الفلاح والنجار والحداد

والسمكري وسائق السيارة وغيرهم من أفراد المجتمع ؟

كيف يصل العلمُ إلى هؤلاء إذا كانت كليات الزراعة والصيدلة والطب والصناعة والهندسة والكيمياء تخرج لهم من لا يستطيعون إيصال ما يتعلمونه إليهم؟

إن مستقبلنا العلمي والحضاري مرتبطان بقضية تعريب العلم والتعليم - فلا يُعقَلُ أن نخوضَ مجالات العلم الحديث ونواكب تقاناته ونَنْعَمَ ماديا بمنجزاته ، وتبقى لُغتُنا غريبة عن أجواء العلم وديناميكيته وتقنياته وإبداعه . لقد آن أن تصبح اللغةُ العلمية العربية جُزءا من حياتنا اليومية ، في المدرسة والبيت والمصنع ، وأن تَغْدو الثقافةُ العلميةُ جزءا من ثقافة الصانع والطالب والمعلم والصحافي والأديب وصاحب الاختصاص الفني .

٢- يَدَّعون أنهم يُعَلِّمون بالإنكليزية حفاظًا على مستوى . لكنْ أيُّ إنكليزية هي؟ لعل أدَقّ ما قيل فيها هو ما جاءَ في مقال لأستاذنا الزميل الموقّر الدكتور محمود مختار (في الجزء ٣٥ ص١٧٨ من مجلة المجمع) يقول فيه : "في الكليات العلمية اليوم لُغة لا هي بالعربيَّة - كما تقضي اللوائح ، وكما يجب أن يكون عليه الأمر ، ولا هي بالإنكليزية تَمشّيًا مع الاستثناء الوارد في اللوائح . ولكنها لغة ثنائية ، إن جاز لنا أصلاً أن نُسَمِّيها لُغة ؛ فهي لُغة تخلطُ بين اللغتين معًا - ويا لَيْته خليط مفهوم . فهو خليط عجيب بين لُغة عربية ركيكة ولُغة إنكليزية أكثر ركاكةً مُنْدمَجتيْن معًا .

ويُتابع سيادته :"هذه الصورة المضحكة المبكية لما آلتْ إليه حال اللغة العلمية اليوم في الجامعات وغيرها هي ، في نظري ، ناقوسُ الخطر الذي أدُقه للمجمع العريق لكي يزيد جُهودَه الموفقة التي بدأها على الطريق السَّوي خدمة للعلم والتعليم ، وإنقاذًا للغة العلمية مما هوتْ إليه من حضيض "

والواقع أن الناقوس الذي يدُقُّه الدكتور مختار هو ناقوس خطر لا للمجامع فقط بل للرأي العام ولأولي الأمر المسؤولين عن مُستقْبَل الأجيال في الوطن العربي .

إن قضية تعريب العلوم - وقد عالجها الكثيرون - تعترضها صعوبات ومُعوقات، وتتطلب جُهدًا (بل جُهودًا) دائمة ، وسعيا متصلا . لكن كل هذه الصعوبات والمعوقات تتهاوى وتذلل ، وكُلّ الجُهود والمساعي تتوافرُ ، بالإرادة المصممة .

المهم أن نُريد ، وأن نبدأ بتصميم لا تراجُعَ عنهُ ولا تلكؤ فيه . ونحنُ حاليا لنْ نبدأ من الصفر ، كما كانت الحالُ عند كثير من الأمم ، فما لدينا من مؤسسات ومجامع ومعاهد ترجمة ، ومصطلحات مُستقرة وشبه مُستقرة ، وما في العربية من طواعية ومرونة وهاضمية ، وما هو مُتوافر لدينا اليوم من سُبُل اتصال وطباعة ونشر، كفيلة بإمكانية التطبيق الفوري لمخطط تدريجي يُحققُ عملية التعريب في سنين معدودات .

التعريب والوضع :

تحمل لفظة التعريب لغويا معنيين رئيسيين:

نقول : عَرَّب الكتاب والعلم - تعريبا- أي ترجمة أو نقله من لغة أجنبية إلى اللغة العربية . كما نقولُ عَرَّبَ اللفظ الأعجمي - تعريبا أيضًا - أي، نقله اقتراضا إلى اللغة العربية فكتبه ونطق به على منهاج العرب. والتعريب بهذين المفهومين هو أحد المناهج التي اعتمدها علماء العرب في بيت الحكمة، وغير بيت الحكمة ، لاستيعاب نتاج الحضارات التي سبقتهم وجَعْل العربية لغة العلم الأولى دون منازع طوال عدة قرون .

وغير خاف أنا حين نتكلم في محور بعنوان التعريب والوضع ، فإنما نشير إلى المفهوم الثاني للتعريب - التعريب الاقتراضي - كإحدى وسائل وضع المصطلحات .

لقد غدت المصطلحات اليوم ضرورة حضارية - باعتبارها مفاتيح للمعرفة الإنسانية ، في شتى فروعها ، ووسيلة التفاهم والتواصل بين الناس في مختلف المجالات العلمية والعملية . وقد انبرى المترجمون والأدباء واللغويون والعلميون والصحافيون والمعجميون ، وكذا المجامع والمؤسسات والاتحادات المهنية ، لوضع مقابلات لما يعترضهم أو يعرض عليهم من هذه المصطلحات . وهي اليوم ؛ بحمد

الله، تؤلـــف جزءا مهما من اللغة العربية، كمـــا مـــن كل اللغات المعاصرة - حتى لـــتكاد تجد معجما أو أكثر لمصطلحات كل فرع تقريبا من فروع المعرفة .

لكـــن المعـــرفة تـــنمو بسرعة هائلة والمصـــطلحات تتزايد بالعشرات يوميا - إضافة إلى المكدس منها بالآلاف ولما نعالجه.

إن وضـــع المصطلحات ، كما يقول الأمـــير مصـــطفى الشهابي ، سيظل مدة طويلـــة من الزمن عملا من عمل الأفراد قـــبل أن يكـــون من عمل المجامع اللغوية والعلمية نفسها . لذا من الضروري تحديد منهجـــية واضحة يسترشد بها من تتوافر فـــيهم المؤهـــلات والإمكانات والمزاج والوقـــت لذلك . وقد تحققت على مدى العقود الستة الماضية منهجية شبه متكاملة لوضـــع المصـــطلحات (*) ألخص بعض بنودها المهمة في ما يلي :

١- هـــناك شـــبه إجمـــاع على تفضيل المصـــطلحات العربية المتحراة من التراث التي تؤدي مدلول اللفظ الأجنبي أو تقاربه - مثل :

أبهـــر مقـــابل aorta وإثار مقابل brassiere وبـــريد مقابل post وبوتقة مقابل crucible وتذريـــب مقـــابل toilet traiming وساتل مقـــابل satellite وفرجار مقابل compasses وكـــثافة مقـــابل density وجـــبلة مقابل cytoplasm وهيولي مقابل protoplasm وغيرها كثير .

وهـــناك مـــن يجتهدون ، وأنا أؤيدهم ، باعتـــبار العامـــيات الشائعة في كثرة من البلاد العربية ، جزءا من التراث يسهم في تقـــديم مصطلحات تتوافر فيها متطلبات الدقة والتعبير ، مثل :

برغي وصمولة وترس وشتلة وصوبا وعتلة ومدماك وخابور وزردية وسنبك وصاج وتشـــحيم وتشـــوير وحوض ومكوك . وغيرها كثير .

٢- باب المجاز واسع في وضع ألفاظ تُمدُّ اللغـــة بمصـــطلحات مجـــددة تستجيب لمتطلـــبات الحياة المتجددة . العرب عرفوا المجاز بأنه ما تجاوز معناه الأصلي إلى غيره بقريـــنة مباشرة أو غير مباشرة تدل على ذلك. مثلا ، نقلوا مفهوم "الفصاحة"

(*) انظر الملحق المرفق تاليا ص ١٦ .

كميزة للبن الذي أزيل رغوه وبقي خالصه ، إلى مفهوم حسن الكلام وجودته؛ونقلوا مفهوم الشك من الوخز بشيء دقيق كالشوكة يؤلم الجسد ، إلى مفهوم الحيرة والشك وعدم اليقين مما يؤلم النفس والعقل .

ونحن اليوم لا نفهم البريد مسافة بين منزلين من منازل الطريق ،ولا الهاتف صوتا يسمع دون أن يرى صاحبه ،ولا العدسة حبة عدس ، ولا السيارة قافلة.

فالذهن يحملها على المعنى الجديد الذي اكتسبته اللفظة المصطلحة مجازيا ، فلازمها ولازمته . ومثلها طيف ودراجة ومصرف ودبابة ومُكثف (في الحرارة والكهرباء) وسلبية (في التصوير والجبر والسياسة) ولسان (في النجارة والجغرافيا) - وغيرها كثير .

والمجاز رغم كونه مرغوبا فيه أحيانا ، فهو في مجال توليد المصطلحات محدود من حيث إمكانية التوسع في استخدامه ، ومن حيث إمكانية التوافق بين أذواق المصطلحين في ارتجاله ، (ولعل بعضنا يذكر المسرة والإرزيز والسفير والندي ثم الهاتف - للتليفون) ؛ وهو أيضًا محدود من حيث طول فترة عملية الغربلة للاستقرار على واحد من هذه المجازات - إذ استغرقت فترة الاستقرار على لفظة هاتف، لتنافس (لا لتطمس) لفظة تليفون، قرابة نصف قرن .

٣- الاشتقاق هو الوسيلة الأفعل في توليد المصطلحات قديما وحديثا - والذين يعتمدون الإحصاءات يُقدرون أن الاشتقاق في العربية قرابة ٩٥% من مصطلحاتها .ولا غرابة ، فإمكانات الاشتقاق في العربية تفوق الحصر . فنحن نعرف منها للفعل الواحد خمسة عشر صيغة هي :

فعل وأفعل وفعل وفاعل واستفعل وافعل وافعال وافعوعل وافعول وانفعل وافتعل وتفعل وتفاعل وفعلل وتفعلل .

ومن كل صيغة من هذه ، يمكن اشتقاق مصادر بأوزان متعددة مثل :

فعل ومفعل وفعول ومفعولية ومفعالية ومفعلية ؛واسم آلة بأوزان متعددة: مِفعل ومفعَلة ومفعال وفاعول وفعالة وفاعولة؛بالإضافة إلى اسم الفاعل واسم

المفعــول واسم المرة واسم الزمان واسم المكان واسم التفضيل واسم المهنة ؛ عدا عشرات الأوزان اللامصنفة في اللغة مثل : فعــل (سِــجلّ) وتِفعال (تِمثال) وفعْوَل (معول) وفُعْل (عُشْر) وفَعَلان (جَيَشان) وفُعلــة (نُــتفة) ومَفعــلان(مــزلقان) وفُعال(صُداع) وفَعَل(رَمَد) وفُعالة(حُثالة) ومُفَــيْعلة(مُصَــيطبة) ومفيعِل(مُغيزِل) . وغيرها . بحيث لن يقل عدد الألفاظ التي يُمكنُ اشتقاقُها من كُلِّ فِعل عن مِئتين ، وقد يزيد على الثلاثمائة - لا نستخدم منها عادة بشكل فاعل أكثر من ثلاثين .

هــذا إضـــافة إلى الاشتقاقات الإلصاقية بالهمــز أو التضعيف أو ألف المشاركة أو يـــاء النســـبة وللتأكيد على مدى فاعلية الاشتقاق في توليد المصطلحات استشهد بدراســـة إحصـــائية للدكتور وجيه عبد الرحمن على ٣٠ ألف مصطلح في معاجم الطب والتشريح لاحظ فيها أن توليد هذه المصطلحات كلها تم بالاشتقاق من ١٥٠ جذرا لغويا فقط،إضافة إلى أعضاء الجسم.

٤- ومــن وسائل توليد المصطلحات ، وهو نادر ، النحت . وهو أن يختصر من كلمــتين أو أكثر من كلمة واحدة ؛ ولا يشــترط فيه حفظ الكلمة الأولى بتمامها بالاســتقراء ، ولا الأخذ بكل الكلمات ولا موافقـــة الحركات والسكنات - كما في شـــبيهات فعلـــل : مــن مثل بَسْمَل وحَوقَــل وفذْلــك - قديمًــا ، وبرمائي وشـــبغروي وكهرضوئي وبتروكيماوي وكهرمغنيطي؛ وكذلك مُشاكهة وحَلْمأة، حديثا .

لكــنَّ الســـليقة العربية ، وكأنها لم تستســـغْ هذه التراكيب ، لم تتقبل الكثير مــن هـــذه المنحوتات . ويقدرون أن ما قدمه النحتُ من المصطلحات الناجحة لا يتجاوز ٠,٠٥% .

ولعلَّــنا نزيدُ هذه النسبة إذا اعتبرنا التركيـــب المــزجي بالإلصاقات المنفصلة ضـــربا مـــن النحت ، في مثل لاسلكي ولاأخلاقي ولاشعوري ولاأدرية، أو فوق سمعـــي وفـــوق بنفســـجي وتحت تُربي وماورائي وأمثالها .

٥ - أما إذا تعذر وضع لفظ عربي سليم مناســـب يؤدي مفهوم المصطلح الأجنبي بأي من الوسائل السالفة - لا تقصيا من

التراث ، ولا مجازا أو اشتقاقا - وهو واقع لا يستطيع العارف بآفاق العلم إنكاره ، فيعمد إلى التعريب - بخاصة في المصطلحات ذات الصبغة العالمية أو ذات الأصل اليوناني أو اللاتيني أو أسماء العلماء المستعملة مصطلحات ، أو العناصر والمركّبات الكيماوية .

هذا التعريب ، أو ما وَصَفْنَاه سالفا بالتعريب الاقتراضي ، لم يُرهب العُلماء العرب قديما في لُغى أهل العلم. فالذي يراجع كتب المفردات ، يجدُ - كما يُخبرنا الباحث الدكتور إبراهيم بن مراد رئيس جمعية المعجمية العربية بتونس حاليا، أن نسبة الألفاظ المعربة في كتاب "الجامع لابن البيطار" تؤلف ٤٦% من مُفرداته، وفي "كتاب الأدوية المفردة لأبي جعفر الغافقي" حوالي ٦٥% . أولئك العلماء لم يخلطوا بين ما هو من صلب اللغة ، أو ما يتوقعون صيرورته من صلب اللغة - كون أهل اللغة كُلّهم يشتركون فيه،وبين ما هو لغة لأهل العلم خاصةً -. فعربوا ببالغ الحرص والانتقائية في الأول ، حتى لتكاد تَغْفُلُ عن كونه مُعرَّبا ، من مثل أستاذ وإبريق وبخور ودواة وزُلال وسيف وصراط وقلم وقفص وقنديل وكوفية ومسك ونَرجس ويَم وغيرها كثير- في حين عربوا بلا تحفظ في الآخر،من مثل: أنولوطيقا وغنطازيا واسطقس وأرثماطيقا وجيومطري وكتيغورياس (في الرياضيات والطب).

وبوريطس ومرقشيتا وبطراليون وخلقيدون (في الكيمياء).

وبريطون وقولون وبنقراس ومساريقي (في الطب).

وإطريفل وقنطريون وطرخشقون وفربيون وبوغلصن (في النبات) .

وبطلينوس وقبيون وطرستوج (في الحيوان) وغيرها كثير .

وقد نسج رواد النهضة الحديثة في غالبيتهم على منوال القدماء في توليد المصطلحات . فعربوا ترجمة ، المصطلحات التي يحتاجُ فهمُها وفَهْمُ مدلولها العلمي إلى فَهم أصلها ومعناها اللغوي - بخاصة تلك المصطحات التي تفرضُ نفسها على التداول الشعبي ، لا في مجالات العلم فقط ، بل في مختلفِ مجالات

الحياة أيضًا - من قبيل :

ذرة مقابل atom وجزيء مقابل molecule وقدرة مقابل power وطاقة مقابل energy ومناعة مقابل immunity ... إلخ .

وعربوا اقتراضيا ، في جَوٍّ من الاعتراضات يخفُتُ حينا ويشتدُّ حينا ، في ما سوى ذلك من أسماء كيماويات جديدة وأسماء أجناسٍ وأنواعٍ ومصطلحاتٍ عالية التخصص في الهندسة والكهرباء والإلكترونيات ؛ وكُلُّ فئةٍ من هذه ، كما لا تجهلون ، تُعَدُّ بالملايين .

والجدير بالذِّكر أنّ ضهذه الملايين من الألفاظ لا يدخُلُ منها عادةً إلى صُلْب أي لُغةٍ إلا القليلُ القليلُ مما يشيعُ استخدامُه في الحياة اليوميَّة . والشاهدُ على ذلك أنَّ معجم وِبْستَر الدولي الثالث الذي يستغرقُ اللغة الإنكليزية في قرابة نِصْفِ مليون مدخلٍ لا يُوردُ من ملايين هذه المصطلحات المتخصصة سوى بِضعَةِ آلاف.

نحنُ مثلا لا نستوعبُ معنى immunity إلا بمصطلح "مَناعة" - المقابل العربي الذي نفهمُ مدلوله من معناه ، كما لا نفهمُ impedance دون المقابل العربي " مُعاوقة" ، ولا نستوعبُ أسرارَ الـ gravity دون المقابل العربي "جاذبية " .

لكنا لا نحتاجُ إلى مصطلحٍ عربي كالمصدئ، لمعرفة الأكسجين ،

(١) أو المميه لمعرفة الهدروجين

(٢) أو الطاسل لمعرفة الإيثان

(٣) أو الجائل لمعرفة البيوتان

(٤) أو المقرم ، لمعرفة اليود

(٥) أو الشذام ، لمعرفة الصوديوم

(٦) أو الضواء ، لمعرفة المغنسيوم

(٧) أو الخطوط لمعرفة الغرافيت

ولا حتى المحوز لمعرفة الترانزستور ، أو علم الهلك لمعرفة الجيولوجية أو المشواف لمعرفة التلفزيون - وهي مُصطلحاتٌ خَلَّقَها الصَّفاوِيّون المتحمِّسون عاطِفيا لجلال اللغة الموهوم في مُحاولاتٍ لتحميل التعريب،ترجمة، ما يتجاوزُ إمكانياته. فلم يأتوا بأكثر من ألفاظٍ ساذجة ضبابية - رُبما عربيةُ الجرس،لكنها خاويةُ المعنى،وغالبا ما تكونُ مضللة بعيدة عن الدقة العلمية .

والذين يطلبون التعريبَ الشاملَ ترجمة ، ويعارضونه اقتراضا ، إنما يطلبون

مــا هو غيرُ عملي وغير مُستطاع - لا في اللغــة العربية ولا في سواها . وهم ، من حيــثُ لا يَــدرون ، يُسهمون في عَرقلة مســيرةِ الفكــر العــربي والعلمِ العربي والإبداع العربي ، ويُعطونَ أعداءَ العربية حُجــة مُســتمرَّة التجددِ لإعاقة تعريب التعلــيم بانتظار أن تتوافر له المصطلحاتُ وتتكامل .

ولــيسَ بالضــرورة في التعريــب الاقتراضــي هــذا إلزامُ المصطَلَح المعَرَّب بــالأوزان العربية وقصرُه على الحُروف الموجــودَةِ في العربــية . فتغــييرُ الكلمة الأجنبــية قد يفسدُ نظامَها ويُخلُّ بمعناها ومدلولها فتغدو غريبة - لا فصيحة تُردُّ إلى أصــل عربي ، ولا أجنبية يتجلى لها وجه في لُغــتها الأصلية - فيضيعُ الغرضُ الذي لأجلــه عُربَــت . ولا أستغربُ أن اتَّفقَ عُــلماءُ العَــرب القُدامى والمحدَثين على ذلــك- من سيبَويه وابن بَرِّي وأبو حَيان وعبد القادر البغدادي إلى إبراهيم مدكور وعباس حسن وصبحي الصالح .

فمثلاً كثرة من المسَمَّيات المعَرَّبة تَبدأ بالســاكن مثل غُرافيت وتُرايود وبروتون وكْلــور وسْبكتروسكوب ، أو من أسماء الأشــخاص ، سْميث وجْيوفاني وبْراون وفْلمنغ ...

إنَّ إضافة الألف التي يَزيدُها بعضُهم، أو تحــريكَ الحرفِ نفسه هما تَحريفٌ لا مُسَوِّغَ له يُبعدُ منطوقَ اللفظ عن مُسَمّاه. فَــ Brown مثلاً هو بْراون - لا إبراون ولا بُراون ولا براون أو بَراون .

كذلــك لا نُلــزِمُ المســمَّى المعرب بقــاعدة عــدم التقاء الساكنين - سواء اقتصــر الأمر على ساكنين اثنين أو عدة ســواكن - فنقول رُنْتجن وباوندْ وبُويْلْ وشارْلْ وكنغْسْتون.

والذيــن يُعربون قصرًا على الحروف العربــية ، كثيرًا ما يُخلُّونَ بمعنى المصطَلَح المعَــرَّب ومَدلولــه . وهــذا يَطالُ غالبا الأحرف ب (P) - فيُستبدَل به ت ، وف (V) فيُســتبدَل بــه حرف ف ، و جــ (اللامُعَطَّش) معطش (g) فيستبدل به جــ أو غ، وهذا يتنافى أحياناً مع الدقة العلمية - وإلا كــيف يُمــيِّزُ عُلَماؤنا في الطب والفــيزياء والكيمياء مثلا بين بيتا (beta) الإغريقية في مُشتَقّاتها المتعَدِّدة مُقابلَ ألفا

وغامـا ، وبـين – peta التي تعني ١٠ [١٥] ومُشـتَقّاهُا المتعدِّدة ؟ أو بين barotitis داء الأذن الوسـطى وبـين parotitis التهاب النكفية ، أو بين بورون (التي هكذا عربها المعجم الطبـي الموحَّد مُقابل purone أحد مُشـتَقّات حامض اليُوريك وبين العُنصر المعروف البورون boron ، أو بين كريبس krebs العـالم الألمـاني وكريـيس Cripps السياسي البريطاني ، أو بين فار بمعنى فلط أمـبير مفاعلي (اشتقاقا من volt-amperes reactive) وبـين فار mouse ، أو بين فانيلا vanilla وفانيلا flannel ... أو بين ستيفنسون مخـترع القاطرة وستيفنسون المرتبط اسمه بـآلات الرصـد الجوي ... إلخ . ومثلها فيـتامين وأمـبير وفازلين وجول وفلط (والواقع أن رجل الشارع يلفظها هكذا). واقرأوا ما يجره ذلك من مفارقات في أحد معاجمنا العربية حيث يفسر اللفظ غرام بما يـلي : الغـرام : الولوع والحب المعذب والهلاك ، ووحدة الوزن في طريقة القياس المتري .

وألفـتُ كذلـك إلى ضرورة إيجاد وسيلة خطية لرقن حرفي الواو والياء كي يُلفظـا بالشـكل الصحيح في المسميات المعربة – فنميز بذلك بين لفظ الواو رقيقة في مثل جول Joule وبول Boole وكوري Curie ، وبـين لفظها مفخمة في تور Torr وهول Hall وبور Bohr وبول Paul . كما نمـيز بـين لفظ الياء نحيلة في بيرد Beard وجـين Jane وويفـر Waver . ولا أنسى قائمة المركبات العُضوية الطويلة جدًا التي اضطررنا إلى لفظها بالألف ، فرنسيا ، في ميـثان methane وإيـثان ethane وبروبان propane وبـيوتان وبنـتان ... الخ ، لكي نمـيزها عـن إخوتها اللامشبعة في ميثين methene وإيثين ethene وبروبين وبيوتين ...الخ بهـذه المعطيات في المجالات العلمية تصبح أبجديتـنا ، وبالـتالي لغتنا ، قادرة على استيعاب المسميات العلمية على اختلافها بصورة مؤدية لعلها تفوق قدرة الكثير من اللغات العالمية في هذا السياق .

ملحق المبادئ الأساسية في منهجية وضع واختيار المصطلحات العلمية :

١- ضرورة وجود مناسبة أو مشاركة أو مشـابهة بين مدلول المصطلح اللغـوي ومدلوله الاصطلاحي ،

ولا يشترط في المصطلح أن يستوعب كل معناه العلمي .

٢- وضع مصطلح واحد للمفهوم العلمي الواحد ، ذي المضمون الواحد، في الحقل الواحد .

٣- تَجنُّبُ تعددِ الدلالات للمصطلح الواحد في الحقل الواحد ، وتفضيل اللفظ المختص على اللفظ المشترك .

٤- استقراء وإحياء التراث العربي ، وخاصة ما استعمل منه أو ما استقر منه من مصطلحات علمية عربية صالحة للاستعمال الحديث، وما ورد فيه من ألفاظ مُعَرَبة .

٥- مُسايرةُ المنهج الدولي في اختيار المصطلحات العلمية :

أ- مراعاة التقريب بين المصطلحات العربية والعالمية لتسهيل المقابلة بينهما للمشتغلين بالعلم ودارسيه.

ب- اعتماد التصنيف العشري الدولي لتصنيف المصطلحات حسب حقولها وفروعها .

ت- تقسيم المفاهيم واستكمالُها وتحديدَها وتعريفها وترتيبها حسب كُلِّ حقل .

ث- اشتراك المختصين المنتجين والمستهلكين في وضع المصطلحات.

ج- مواصلة البحوث والدراسات ليتيسر الاتصال على الدوام بين واضعي المصطلحات ومستعمليها.

٦- استخدام الوسائل اللغوية في توليد المصطلحات العلمية الجديدة بالأفضلية طبقا للترتيب التالي : التراث فالتوليد (بما فيه من مجازٍ واشتقاق وتعريب ونحت).

٧- تفضيلُ الكلمات العربية الفصيحة المتواترة على الكلمات المعربة .

٨- تجنب الكلمات العامية إلا عند الاقتضاء بشرط أن تكون مشتركة بين لهجات عربية عديدة ، وأن يشار إلى عاميتها بأن توضع بين قوسين مثلا .

٩- تفضيلُ الصيغة الجزْلة الواضحة وتجنب النافرِ والمحظور من الألفاظ.

١٠- تفضيلُ الكلمة التي تَسمحُ بالاشتقاقِ على الكلمة التي لا تسمحُ به .

١١- تفضيل الكلمة المفردة لأنها تساعد على تسهيل الاشتقاق والنسبة والإضافة والتثنية والجمع .

١٢- تفضيلُ الكلمة الدقيقةِ على الكلمة العامة أو المبْهَمة ، ومراعاةُ اتفاق المصطلح العربي مع المدلول العلمي للمصطلح الأجنبي ، دون تقيُّد بالدلالة اللفظية للمصطلح الأجنبي.

١٣- في حالة المترادفات، أو القريبة من الترادف ، تُفضَّلُ اللفظةُ التي يوحي جذرها بالمفهوم الأصلي بصفة أوضح .

١٤- تفضل الكلمة الشائعة على الكلمة النادرة أو الغريبة إلا إذا التبس معنى المصطلح العلمي بالمعنى الشائع المتداول لتلك الكلمة .

١٥- عند وجود ألفاظ مترادفة أو متقاربة في مدلولها ، ينبغي تحديد الدلالة العلمية الدقيقة لكل واحد منها ، وانتقاء اللفظ العلمي الذي يقابلها . ويحسن عند انتقاء مصطلحات من هذا النوع أن تُجمع كُلُّ الألفاظ ذاتِ المعاني القريبة أو المتشابهة الدلالة وتُعالج كلها كمجموعة واحدة مثلا ، في مفهوم المضادة الكهربائية على اختلافها ، لدينا من المصطلحات الإنكليزية المتقاربة واللامترادفة : impedance و inertance و reluctance و resistance فنقول فيها على التوالي: مُعاوقة ومقاصرة ومُمانَعَة ومقاومة.

١٦- مراعاة ما اتفق المختصون على استعماله من مصطلحات ودلالات علمية خاصة بهم ، معربة كانت أو مترجمة .

١٧- التعريب عند الحاجة وخاصة المصطلحات ذات الصيغة العالمية- كالألفاظ ذات الأصل اليوناني أو اللاتيني أو أسماء العلماء المستعملة مُصطلحات ، أو العناصر والمركبات الكيماوية .

١٨- عند تعريب الألفاظ الأجنبية يراعى ما يأتي :

أ- ترجيحُ ما سهل نطقه في رسْم الألفاظ المعربة عند اختلاف نطقها في اللغات الأجنبية .

ب- التغيير في شكله ، حتى يصبح موافقا للصيغة العربية ومستساغًا.

جـ- اعتبار المصطلح المعرب عربيا، يخضع لقواعد اللغة العربية ويجوز فيه الاشتقاق والنحت وتستخدم فيه أدوات البدء والإلحاق ، مع موافقته للصيغة العربية .

د - تصويب الكلمات العربية التي حرفتها اللغات الأجنبية واستعمالها باعتماد أصلها الفصيح.

هـ- ضبط المصطلحات عامة والمعرب منها خاصة بالشكل حرصًا على صحة نطقه ودقة أدائه .

المنهجية والتطبيق وسُبُل الانتشار بهدف مواجهة مُصطلحية ناجحة لمشاكل العربية مع "اللغات" العلمية .

إن تطبيق المنهجية في مجال توليد المصطلحات العلمية الجديدة ، هو دون شك ، أحد مستلزمات المجابهة الناجحة للمشكلات التي تواجه اللغة العربية في تقبل تلك المصطلحات . والواقع أن تحقيق ذلك التطبيق وتلك المجابهة يتطلب دراية مُعَمَّقة لا يسهُلُ عمليًّا إعطاءُ وَصفةٍ مُحددة لها .

يقال إن أحدهم سأل ألْدوس هَكْسْلي: بماذا تنصحُ من يريدُ أن يصبحَ كاتبا؟ فأطرق هكسلي ، وكأنه فوجئ بالسؤال؛ ثم تصنَّع الجدية وقال : يشتري قلما وورقا وقنينة حبر .

ويبدو لي ، مع الأسف ، مما أشهدُه ، بحكم عملي ، من النتاج المصطلحي على مختلف مصادره في العالم العربي ، أنّ عددا لا يُستهانُ به ممن يُحاولون "خدمة" العربية في هذا المجال لا يضيفون إلى "وَصْفة" هَكْسلي أكثر من " وبْضعَة قواميس" . وقد سبق لي في ندوات ومؤتمرات ومقالات عدَّة أن قدمتُ أمثلة مُسهَبةً على تلك الأعمال - أعتقد أن بعضكم قد اطلع عليها ، وأن بعضا منها على الأقل موجود في مكتبة مجمعنا هنا كما في ملفات الكثيرين ممن يهمهم

الأمـــر. ولا أرى المقام مناسبًا ولا الوقتَ مُتسعًا لإيراد المزيد منها.

الذي أريدُ تكراره رغم أنكُم تعرفونه بخـــبرتكم الشخصية ، ورغم تكراره على ألســـنة وأقلام الكثيرين بتعابير قد تختلفُ شـــكلا ولكـــنها تـــتفق مضـــمونا منذ مواصفات الجاحظ للمترجم الناجح ، هو أن أساســـيات العمـــل المصطلحي ، قبل الـــورق والقـــلم وبضعة القواميس - هي معرفة كاملة بالموضوع لدى القائم بترجمة مادتـــه أو وضـــع مُصطلحاته ، ثم معرفة كاملـــة باللغتين اللتين ينقل عن إحداهُما ويصطلحُ مُترجما في ثانيتهما - إضافة إلى دراســـة منظمة لما لدينا من مصطلحات تُراثية وعصريةٍ مُوثقةٍ حتى في غير مجالات حقلـــه ، والـــتعرف إلى المشـــهور منها واستيعابه واكتناه قواعد ووسائل اشتقاقه، والتدريـــب على تطبيقات مرجعية تقانية قبل ممارسة صياغة المصطلحات فعلا، لقد أضـــحى علمُ المصطلح اليوم، كما سائرُ المهارات ذات المسؤولية ، دراسة تخصصية تتطلـــب ، حـــتى فوق كل ما أسلفتُ ، قابلـــية شخصية ومُرونة لُغَوِّية وسَعَة أُفقٍ وصبرا وأناة وحبا عميقا للغة التي يصطلح فيها .

لقد عرفت العربيةُ مصطلحيين أفذاذا تحققت فيهم هذه المواصفاتُ والخصائصُ الذاتية والمكتسبة - علما ومنهجية وقابلية، فأثْـــرَوا اللغةَ بأعمالهم ، من أمثال رفاعة الطهطـــاوي وعمـــر التونسي وإبراهيم الـــيازجي وبطرُس البستاني وأحمد فارس الشـــدياق وكرنيلـــيوس فانْدَيك وخليل ســـعادة وأحمـــد عيســـى وثلاثي معجم كليرفـــيل - الخياط وخاطر والكواكبي - ويعقـــوب صـــروف والأمـــير مصطفى الشهابي وغيرهم ممن تعرفون .

لكـــنا بحاجة ، لا إلى أفرادٍ من مثل هـــؤلاء ، يبرزون على فتراتٍ وفي بعض ميادين فقط - بل إلى كتائب فاعلة منهم في كُـــلِّ مـــيدان - عُدَّة آنية ومُستقبلية لـــلحاق بالركْـــبِ الحضاري المتسارع ومواكبـــته . والسبيلُ العملي لإعداد مثل هـــؤلاء لعله ما كان ، ولا يزال مطبقا في الكليات العلمية في ما كان يُدعى الاتحاد الســـوفيتي حيـــث يَـــدْرسُ الطلابُ من مُختلف القوميات مختلف الاختصاصات

العليا باللغة الروسية ويُدمجُ تعليمُ الموضوع العلمي أو التقني ، للمُتخرجِ في مهنةٍ ، مع تدريبه على العمل في الوقت ذاته كمترجمٍ ومُصطلحي في حقل تخصُّصه . ويُشترْطُ فيه عند التخرُّج كتابةُ أطروحته بلُغته القومية التي ستكون لغة الممارسة في بلده تاليا .

إن ما قامت به بعضُ الجامعاتِ في العالم العربي من استحداثِ مساقات للترجمة التقليدية لم يعُدْ كافيا اليوم . وأذكُر أن الزميل الموقر في مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، رئيسنا في مجمع اللغة العربية الأردني الدكتور عبد الكريم خليفة، اقترح أكثر من مرة أن تقوم المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بإنشاء جامعة للمصطلحات يؤمها حاملو الدبلومات العرب من مختلف أقطار العالم العربي في مختلف الاختصاصات . وفيها يتثقفون بالاطلاع والممارسة في مجال المصطلح عموما ، ثم كل فريق في متطلبات وتراث اختصاصه ، ويتخرج واحدهم خبيرا مصطلحيا يظل على اتصال بجامعته والزملاء الآخرين في مجال اختصاصه ، وتتبادلُه جامعتُه مع زملائه في الجامعات الأخرى . فنضْمَنُ لهم وبهم الخبرة والتواصُل والمصطلح الجيد الموَحَّد .

ترويج المصطلحات :

أول وآخرُ سُبُل ترويج المصطلحاتِ العلمية العربية هو وَضْعُها في مُتناوَلِ أهلها وطالبيها . وأبسط قواعد الترويج المعروفة وألزمُها هو كَونُ الشيء مطلوبا أو جعله، بالوسائل الترويجية العملية والنفسانية ، مطلوبا . ولن يتحققَ هذا مطلقًا ما دامت العلومُ الحديثة الأساسية في مختلف مجالاتها تُدرَّسُ بلُغةٍ أجنبية .

يا سادتي ، المصطلح العلمي والأكاديمي يُعَمَّم وينتشر في الجامعات والمعاهد والحياة الثقافية عموما بتعريب التعليم . لقد تطرقتُ إلى هذا الأمر في بداية حديثي ، واسمحوا لي هنا أن أُضيفَ بضعَ كلماتٍ تطالُ هذا الموضوع من الجانب النفساني .

إن الشاب العربي - الطالب اليوم والمثقف غدا ، الذي يرى المواد الرئيسية تدرس بلغة أجنبية ، وأنه يتقدم للإمتحانات الحاسمة في مصيره بها ، يتأصل

في قــرارة نفســه - شتنا أم أبينا - دونية العربية في المرتبة عن اللغة الأجنبية . وهذا الموقف للأسف ، لا يقتصر على الطالب وحده بل إنه يتاصل في لا وعي الأهل في الكثير الكثير من الحالات - وأحيانا حتى في لاوعي الأساتذة والمسؤولين .

إن الاســتمرار في تدريــس العلوم والمــواد الرئيســية الأخــرى في مختلف جامعاتنا والكثير من مدارسنا بلغة أجنبية، هو إذلال ، لا للغة العربية والمصطلحات العربــية فقــط ، بــل للشخصية العربية والمعنويات العربية . إن رفع هذا الحصار والإذلال عن اللغة العربية منطلق ضروري وأساســي في تــرويج المصــطلحات وانتشارها واستخدامها .

كمــا إن وسائل الإعلام يُمكنُ أن تُســهمَ عــلى نطــاقٍ واســع في نشر المصــطلحات ، بخاصة ما له علاقة بأمور الحــياة اليومــية وما أكثرها ! فالجريدة الــناجحة تــوزع في يــوم ، كما المجلة الــرائجة، في أسبوع أكثر مما يوزع من كتــب علمــية أو أدب علمي في عام . والبرامج الإذاعية والتلفزيونية تبث إلى الناس طوال ساعات اليوم .

إن وسائل الإعلام ، للأسف ، كما تعرفون ، لا تستخدم استحداما مفيدا أو منتجا في الوطن العربي - بخاصة في المجال العــلمي ؛ فهي إلى المتعة أقرب منها إلى الفائدة ، وإلى إضاعة الوقت أكثر منها إلى الاســتفادة مس الوقت ، وهي إلى العمل السياســي أدنى مــنها إلى العمل العلمي الــدؤوب . ويقــيني أنه لو توفر لوسائل الإعــلام - والصــحافة بخاصة أن تطعم بالصحافيين - العلماء منهم والمصطلحيين، فإنها ستكون من أهم وأفعل وسائل نشر المصــطلح وتوحيده . ولا مثل أدل على ذلــك من المقتطف أيام ضم فريق العمل فــيها أمثال يعقوب صروف وفارس نمر وأنستاس الكرملي وشبلي الشميل .

والمعاجمُ الثنائية الجيدة الموثقة كانت وتظــل إحــدى أفعــل السبل في نشر المصــطلح وتوحيده . فالمعجم الجيد في موضــوع هو السفير الأنشط والأفعل في نشر وتوحيد مصطلحات ذلك الموضوع - فهــو محطــة اليد والفكر الأولى حين يواجه الطالب أو المثقف أو الصحافي أو

الإعلامي أو المحاضر أو المؤلف مصطلحا لمفهوم بلغة أجنبية ويريد استيعابه في حصيلته اللغوية ، أو في مناقشاته ودراساته ومقالاته ومحاضراته ومؤلفاته .

لقد لحظنا هذا الأثر جليا خلال ثلث القرن الماضي إثر صدور بضعة من هذه المعاجم التي ربما تعرفون في الطب والعسكريات والمصطلحات العلمية والفنية والهندسية ومصطلحات الحوسبة والحواسيب. وهنا أيضا أرى دورا مهما لجامعة المصطلحات التي أشرت إليها سالفا في مجال معاجم المصطلحات العلمية من حيث توثيقها وتنسيقها ومتابعة تحديثها.

وأخيرا وليس آخرا ، ونحن في عهد الحواسيب والمكانز وبنوك المعلومات وشبكات المعلومات المختلفة ، حبذا لو أن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، بالتعاون مع اتحاد المجامع واتحاد الجامعات العربية ، تعمل على تفعيل وتنشيط شبكة عربية للإعلام المصطلحي لهدف الإعلام عن النشاط المصطلحي العربي وإتاحة تواصله بين المتعاملين به بأيسر الطرق وأقل التكاليف ، وإقامة علاقات متبادلة بين هذه الشبكة والمؤسسات المصطلحية الدولية عن طريق شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت) أو سواها والاستعانة بما لديهم من خبرة وخبراء مما يمكن الإفادة منه في مجال توحيد المصطلح العربي ونشره . فمن خلال مثل هذه الشبكة الشاملة سيتسنى لنا بشكل أوفر مجاراة النشاط المصطلحي العالمي - وضعا وتوثيقا وتنسيقا وتوزيعا ومعجمة وتحديثا متواليا . وستكون هذه الشبكة مفتاحا إلى آفاق أوسع - لا آفاق نقل التكنولوجية ومصطلحاتها ومعارفها فقط،بل آفاق الإبداع المعرفي والتقاني الذي سيجعلنا من صانعي العلم ، ويجعل من بعض مصطلحاتنا ، مستقبلا ، مصطلحات دولية - وهو أمر سبق لنا أن حققناه.

وقبل أن أختم هذه الأفكار غير الجديدة ، على معظمكم ، أود التأكيد أن قولنا بتعريب التعليم لا يعني بحال من الأحوال حربا على اللغة الأجنبية ، بل على العكس - فالتعريب ، وبخاصة تعريب العلوم ، يفترض استمرارية التواصل باللغات الأجنبية على الطلاب كما على

الأساتذة.فلا أحد يجهل البون الشاسع بين ما وصلت إليه علوم الحضارة الحديثة وتقاناتها وما استوعبناه منها نحن حتى اليوم.

فكما يفترض التعريب أن يمارس المهندسون أو الأطباء أو الزراعيون أو الصيادلة أو سواهم ، مهنهم على الناس وللناس ، باللغة القومية - رابطتهم بهم ووسيلة تفاهمهم معهم ، فإن مستقبل مسيرة التعريب ونجاحها المستمر يتطلبان أن يكون المهندس أو الطبيب أو الخبير الزراعي ضليعا بلغة أجنبية يتواصل فيها وبها مع العلماء أو مع منجزاتهم لمتابعة الركب العلمي في تخصصه ، والوقوف على آخر ما توصل إليه زملاؤه في العالم من حوله - فلا تحصل فجوة علمية حضارية بين ما درسه هو كطالب وبين ما تم من تقدم بعد تخرجه كممارس ، ويكون هو في الوقت نفسه مؤهلا لأن يؤدي ما يجد من مسميات علمية في تلك اللغة بمصطلحات عربية سليمة .

مقولتنا بالتعريب ليست ضد تعليم اللغة الأجنبية ، فالحاجة إلى إتقان لغة أجنبية معاصرة هي اليوم مطلب تربوي أساسي لكل مثقف عربي أو غير عربي ، عالم أو غير عالم - إنما الاعتراض المبرر علميا وتربويا ونفسانيا وقوميا هو على إحلال اللغة الأجنبية محل العربية كلغة لتعليم العلوم .

اللغة الإنكليزية هي اليوم حاجة ضرورية يومية للعالم الفرنسي والفنلندي والألماني والروسي والياباني والكوري وأي عالم فيزيائي من أي قومية كان - لكن لا الفرنسيون ولا الكوريون ولا اليابانيون ولا الفنلنديون طرحوا مسألة اعتماد اللغة الإنكليزية في تدريس مواد العلوم في بلادهم.

أنظمتنا السياسية والتربوية الممثلة في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم طرحت منذ سنوات شعار :

"العربية لغة العلم عام ٢٠٠٠" لأن التكنولوحية وعلومها لا تنقل بل توطن . ونخشى أن يكون مصير هذا الشعار كغيره من الشعارات التطبيلية التي آن أن نتجاوزها ! شكرا لكم

أحمد شفيق الخطيب

عضو المجمع من فلسطين

أدلة جديدة على الأصول العربية لبنية التوشيح والزجل الدورية

للأستاذ الدكتور فيديريكو كورينتي

مـــن المعلوم أن النقاش حول كون أصـــل الشـــعر الدوري الأندلسي ، أي التوشيح والزجل، عربيا أو أعجميا ، كان ولا يزال من أهم ميادين الجدال الأدبي في قرننا هذا، إن لم يكن أهمها جميعًا ، وإنما ذلـــك لســـببين رئيســـين ، أحدهما أن الأخـــبار الموثوق بها عن تلك الأصول في الـــتراث قليلة غامضة، وثانيهما أن هذه القضية متعلقة بقضايا ومصالح أخرى غير علمية بحتة، مما أدى إلى تفسيرات مغرضة، عـــن وعي أو بغيره ، منبعثة من الحماس القومـــي ومـــن الحرص على حل تلك القضـــية على نحو معين، ولو كان ذلك بغير مقتضى مناهج العلم الصحيح ، ولا غرو ، فإن جميع قضايا الأندلس قلما تخلو مـــن صلة وثيقة بكل من العالمين العربي والغـــربي ، فـــلا تكاد تطرح على بساط المناقشة حتى يبادر كلا الطرفين إلى ادعاء حقـــه في المنازع فيه، وإن كان فيه أخذ ورد ، ولا أدلّ على ذلك من شدة اللهجة التي استعملها بعض الأساتذة المحترمين عند الـــتعرض لهذا الموضوع أحيانًا، ولكأنهم باعـــة بضاعة أرخص من العلم الغني عن المناداة ، فضلا عن المفاصلة والمشاجرة ، ومنهم من تجاوز ذلك إلى اتخاذ حيل غير لائقـــة بكـــرامة مراتـــبهم كحجـــب المخطوطـــات المحتوية على الأخبار الثمينة عـــن زملائهـــم بقصد الانفراد بمنافعها والـــتحكم في تفسير مضمونها ، بل بنية إجراء تحقيقها على وجه متفق وميولا غير علمـــية ، عن طريق تحريف الأصل وعدم التصريح بالتصحيحات المفروضة فيه، إلى طـــرق أخرى غير مقبولة عادة لدن أهل العلم والصلاح . ومن حسن حظ العلماء العـــرب أن معظـــم ذلـــك إنما جرى في الغرب، فتخلصوا من خوض غمار معركة قل من سلم منها وغنم فيها ، بل قل من رجع عنها بأكثر من خفَي حُنَيْن .

يـــرجع ذلـــك طـــبعًا إلى أن العلماء العرب، مع طول اطلاعهم على التوشيح

* ألقي هذا البحث في الجلسة التاسعة يوم الأحد ١٦ من ذي القعدة سنة ١٤١٨هـ الموافق ١٥ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٨م .

والزجل اللذين سموهما الفنين عادة واختصارًا ،لم يروا فيهما على مر القرون غير استنباط أندلسي طريف كانوا يعدونه من مفاخر أهل الأندلس التي شاركهم فيها المشارقة فيما بعد ، فلم يعلقوا على الأمر مزيدًا من الأهمية ، إذ رأوا المغاربة والمشارقة أجمعهم عربًا ، وحسبوا تراث الجميع تراثا واحدًا لم يختص ببعضه بعضهم دون بعض ، وهو رأي سديد قد أثبت صحته ما أسفر عنه النقاش في هذه الفترة الأخيرة ، ولا بأس على كل حال بهذا النقاش الذي زادنا يقينا ببراهين وأدلة ما كنا لنهتدي إليها لولا ما كان من النزاع .

أما العلماء الغربيون فإنهم ، عندما تعرفوا على وجود الفنين في أواخر القرن الماضي واطلعوا على عدد من نماذجهما في بعض المخطوطات المشرقية قبل المغربية، وكان رائدهم في ذلك الأستاذ الألماني هارتمان ، فسرعان ما لاحظوا الفوارق البنيوية الواقعة بينهما وبين الشعر العربي المُقَصَّد ، فتبادر إلى عقول بعضهم أنهما عسى أن ترجع إلى أصلهما الأندلسي، وليس هذا بعيدًا عن الصواب كل البعد كما سنبينه فيما يلي ، وظن بعضهم أن مصدر ذلك الاستنباط الغريب إنما هو بقاء تراث شعبي رومنسي أو أسباني قديم ذي شأن عظيم في أراضي الأندلس،بحيث إن العوام من الملل الثلاث، أي المسلمين والنصارى واليهود، ظلوا يؤلفون ويلحنون ويغنون أغانيهم الشعبية الرومانسية الأثرية بأعاريضها الأصلية وبنيتها الدورية ومواضيعهم الخاصة بهم زعما مدة من الزمن بعد غزو العرب ، كشأنهم فيما قبله ، ثم أتى بعض الشعراء الأندلسيين المعجبين بها ، فنسجوا على منوالها الموشحات في مرحلة أولى ، بلغة عربية فصيحة ما عدا خرجاتها العامية أو الأعجمية ، ثم تجاوزوا ذلك المقدار من الجرأة والتحرر من قيود التقاليد في مرحلة ثانية ، فوضعوا الأزجال العامية من أولها إلى آخرها ، وسنرى بعد قليل أن هذا التخمين خاطئ .

وانصرمت السنون وتعاقبت الأجيال وتوالى اكتشاف مراجع جديدة للفنين عقب تحقيق مخطوطات كثيرة محتوية على

موشحات وأزجال من أمثال " دار الطراز" لابن سناء الملك و " كتاب العاطل الحالي والمرخص الغالي " لصفي الدين الحلي و " جيش التوشيح " لابن الخطيب ، الخ ، واتخذ العلماء العرب وبعض المستشرقين معهم موقفا محترسا من هذه الآثار وما فيها من أخبار متناقضة وغوامض لغوية وعروضية في بعض الأحايين ، مزاولين للبحث في خصائصها الشكلية والمضمونية والجمالية ، معترفين بأن فيها ما يخالف المعتاد في الشعر المقصد مخالفة عرضية غير مطردة ، مع إمكان إرجاع ذلك إلى تطور الأساليب العربية في الأندلس على نحو شاذ نوعًا ما بحكم البعد الجغرافي والتاريخي واختلاف الذوق وتأقلمه .

على أن بعضا آخر من المستشرقين ، لاسيما منهم الإسبان مواطنيّ ، لم يقفوا عند حد هذا الاعتراف الناتج عن التواضع المفروض على كل عالم فرضا مطبوعا على شروط العلم الإنساني والاقتناع بأن اليقين غير حاصل إلا بعد طول التأمل والتذرع ببينات كثيرة ، وأسرعوا ، وفي مقدمتهم الأستاذ خوليان ريبيرا ، إلى القولة الثانية المشار إليها آنفا ، أي ، أن تلك المخالفة ، مع كونها عرضية فقط ، كانت تدل في زعمه على أن الموشح والزجل مشتقان حقا عن شعر رومانسي الأصل كان الأندلسيون قد عربوه تعريبا سطحيا، أي في اللغة فقط ، مع إبقائهم على أعاريضه وأدواره ومواضيعه الرومانسية الأثرية .

ولم يستطع الأستاذ ريبيرا أن يدلي ببرهان قاطع على رأيه هذا ، مع أنه معتمد في مذهبه على ما هو معلوم وثابت بالفعل من أن سكان الأندلس كانوا مزدوجي اللغة يتحدثون بالعربية والأعجمية معا إلى أيام المرابطين ، وعلى مقدمة خاطئة ، وهي أن ازدواج اللغة يترتب عليه ازدواج الثقافة على كل حال، وليس الأمر كذلك ضرورة ، كما هو معروف ، فلم يكن لزعم ريبيرا هذا كبير صدى في أيامه لاطراد شعور أهل العلم بأن أسس نظريته متقلقلة . ولكن المقادير شاءت أن تكتشف الخرجات الأعجمية الملحقة بالموشحات العبرية في

أواخر الأربعينيات على يد الأستاذ غارسيا غوميس ، وهو تلميذ ريبيرا المخلص لآراء معلمه ولعصبيته الغالية ، فجعلها هو أقوى دليل على صحة نظرية أستاذه المهجورة آنذاك ، وبدأ يدعو لها ثانية في سلسلة من الأبحاث ، من تحقيقه لنصوص تلك الخرجات ودراسته لدار الطراز إلى تحقيقه لديوان ابن قزمان الذي أبلى فيه بلاء حسنا وقدم به خدمة كبيرة للعلم بالنسبة إلى المحاولات الشبيهة السابقة له ، باذلا في هذه المبادرة كلها جهدا جسيما بقصد تقطيع جميع الموشحات والأزجال الأندلسية المعروفة عندئذ وفقا لمبادئ الشعر الإسباني . ولم يعدم هذا النشاط الجدير بالإعجاب والتقدير حقا لما اتصف به من الجد والاجتهاد أثرا ملموسا في الدوائر العلمية العالمية ، إذ تمكن من إقناع الكثيرين من العلماء الغربيين ، وحتى بعض العرب ، بصحة بعض نظريته أو كلها ، إلى درجة أن كبار المتخصصين في هذا الميدان ذهبوا مذهبه أو على الأقل أضربوا عن مناهضته إضرابا تاما أو كادوا، لما كانت الخرجات الأعجمية إلى جانب شواهد الازدواجية اللغوية الأندلسية تقارب في أنظار الجميع إثبات الازدواجية الثقافية التي هي أساس تلك النظرية ، وتحملهم على تصديق ما ادعاه غارسيا غوميس من أن للأندلسيين شعرًا رومانسيًا قائما بذاته موروثا من أسلافهم الجاهليين .

وكان عموم العلماء العرب المعتنيين بهذا الأمر أثناء ذلك ما برحوا يعتقدون أن البنية الدورية للفنين إنما تولدت من التسميط ، الذي اخترعه الشعراء المحدثون من أمثال أبي نواس في القرن الثاني ، وأن بنيتهما العروضية هي الأخرى مطورة من الأعاريض الخليلية المتأخرة التي وضعها بعض تلاميذ العلامة البصري في أيامه أو بُعَيْدها ، وكلا الأمرين صحيح ، ولكن هؤلاء العلماء المعاصرين ، وأخص منهم بالذكر المستحق بل الواجب أستاذنا الجليل الجهبذ المرحوم عبد العزيز الأهواني، لم يستطيعوا أو لم يريدوا أن يقفوا في وجه ذلك التيار الجارف موقفا مكافحًا مدافعين عن رأيهم ومضادين لعكسه ، أولا لأن الحجج الفاصلة لم تكن

متوفرة بعد ، إذ كان تقطيع الفنين الخليلي غـير خال عن بعض المشاكل العملية ، وثانـيًا لأنهم أو معظمهم ، على خلاف خصـمهم المـتحمس في نعرته القومية ، كـانوا يعطفون على الأندلس والإسبان معًا، فلم يثر حفيظتهم زعم وجود ثقافة أعجمـية في حوزتـه إلى جانب الثقافة العربـية ، بـل بدا ذلك لهم أمرا طبيعيا رحـبوا بـه و لم يحثهم على طلب الأدلة المفـندة لهذا الاحتمال البعيد ، مع أنها في متـناول اليد ، إذا أمعنا النظر في الحقائق التاريخية المثبتة وفي اختلاف معنى الألفاظ " أعجمي " و " رومنسي " و"إسباني" ، مع أن في المسألة إمكان إثارة جدال ملي نبا عنه حسن ذوقهم،فنعم علمهم وأدبهم!

على أن الأستاذ غارسيا غوميس كان قد شط في الأمر شططا لم يكن من اليسير التغاضـي عـنه عـندما اقـترح تقطيع الموشـحات بأعـاريض غير عربية ، فلم يلبث أن جاءه رد فعل صامت أو صريح من مصادر شتى، لعل أخطره شأنا وأدله على خطئه كتاب المرحوم الدكتور سيد غازي الصادر سنة ١٩٧٩م تحت عنوان "الموشحات الأندلسية " ، الذي لم ينبس فيه بكلمة نقد على نظرية غارسيا غوميس مباشـرة ، إلا أنـه حـدد بنى الأبيات والأنمـاط العروضية تحديدا مقنعا لا يدع محـلا للشك في أنها هي الصحيحة ، في حين أن بعض المستشرقين أخذوا ينتقدون تلك النظرية انتقادا صريحا فتح باب الشر بـين الطرفين الذي انتهى إلى كلام غير لائق بهما وبذكره هنا ، على أنه أنبه النيام وأطلـع الجميع على أنها مبنية على أسس غير راسخة فشارك في الجدال حول قضية العـروض خاصـة بحاثون مختلفون أولو نزعات متباينة ، يجوز تقسيمهم إلى طرفين متناقضـين تناقضـا تامـا ، هما أنصار العـروض الخليلي البحت ، وأكثرهم من تلاميذ شترن الإنكليز من أمثال ألن جونز وجريـر أبـو حيدر وثيودور غورتون ، وانضـم إلـيهم الأستاذ شولر الألماني ، وأصـحاب النظرية الرومانسية ، رئيسهم غارسـيا غوميس مع بعض أتباعه المحليين الأصـاغر مِمَّنْ لا نحتاج إلى تسميتهم ، وانضـم إلـيهم الأسـتاذ جيمز مونرو الأمـريكي ، فكانت اليد العليا للطائفة

الأولى ، على الرغم من عجزهم عن حل جميع مشاكل تقطيع الفنين على أساس العروض الخليلي بصورة كاملة مقنعة نهائية ، إلا أنهم أحلّوا الهزيمة بأصحاب النظرية العروضية الرومانسية بقوة حججهم وأظهروا رِكّتها، وإن لم يتخل أصحابها عنها ، فإنّ الرأي العام العلمي العالمي كان قد عاد إلى الصواب وأمسى يرتاب في صحة أقوال جرت العادة بتصديقها قُبَيْل ذلك حتى ثبت أنها مجرد أوهام .

وقد أجبرتني الظروف ريث ذلك على الضرب بسهم ونصيب في هذا الجدال ، مكرها لا بطلا ، بسبب اتصال الميدان وعلاقتي الودية إذ ذاك بالأستاذ غارسيا غوميس واهتمامي المعقول بأبحاثه في الزجل، إذ كنت عندئذ منكبا على دراسة خصائص عامية الأندلس . فحاميت عن شيخنا ما قدرت عليه وحَسُنَ بي ، إلى أن أدركت حقيقة الأمر، فاضطرني الصدق إلى مصارحته بأن أكثر الحق مع معارضيه ، فنبذني نبذا أعاد لي الحرية والحق في الإدلاء بآرائي ، فنشرت إثر ذاك تحقيقا أول لديواني ابن قزمان والششتري وسلسلة من المقالات أثبتُّ فيها أن عروض التوشيح والزجل عروض خليلي محور في الأندلس ليطابق كلام أهله المتميز دون الفصحى واللهجات المشرقية باستبدال النبرة بكمية المقاطع الأصلية ، وهي النظرية الثالثة المتوسطة بين النظريتين الأخريين الجابرة لخللهما ، وقد شرحتها بالعربية في مقدمتي لتحقيقي الثاني لديوان ابن قزمان الصادر بالقاهرة سنة ١٩٩٥م.

إلا أن هناك مجالين اثنين مازال أصحاب النظرية الرومانسية يتمنعون بهما مدافعين عنها متذرعين بحجج يزعمون أنها تفت في عضد القائلين بانتساب عروض الفنين إلى الطراز الخليلي ، هما بنيتاهما الموضوعية والدورية ، فقد ادعوا أن مواضيع الخرجات الأعجمية إسبانية الأصل والنوع ، مخالفة لمواضيع الشعر العربي المعهودة، كما قالوا إن تقسيم الموشحات والأزجال المميز إلى أدوار ليس نتيجة لتطوير التسميط، بل أسلوبٌ موروث عن الشعر الأعجمي الأثري المفروض وجوده على أساس خرجات

الموشحات نفسها لا غير. أما النقطة الأولى — أي افتراض الخلاف الجوهري بين مواضيع الشعر العربي المقصد وبين مواضيع الفنين أو بعض أجزائهما كالخرجات ، لاسيما منها الأعجمية ، فإن آخر الأبحاث قد بينت بطلان ذلك الرأي وصحة عكسه، ومن هذا الباب إثبات تلميذي الهولندي الأستاذ أوتو زفارجيس في أطروحته المقدمة إلى جامعة نيميخن سنة ١٩٩٥م وقد صدرت أخيرًا من مطابع دار بريل للنشر ، أن الخرجات الأعجمية لو ترجمت إلى لغة ثالثة لما أمكن فرزها من أخواتها العربية ، وإني قد قصدت نفس هذا الغرض ببحث ألقيته على حضراتكم في دورة سنة ١٩٩٥م وتحت عنوان "الخرجات المسماة بالأعجمية في الموشحات الأندلسية " ، خلاصته أن بعض القراءات المعتمدة سابقا لهذه النصوص في الغرب كانت تحرف أصولها أو تفرض عليها تفسيرًا خاطئًا يحولها عن معانيها الأصلية الدالة على سيطرة الإسلام والعروبة على المجتمع الأندلسي إلى معان مختلفة تغلب عليها المبالغة في إيهام أنه مجتمع مزدوج اللغة والثقافة ، متردد بين إسلام المولدين وتعربهم التدريجي ومسيحية الذميين وتمسكهم بالأعجمية ، على عكس الواقع المجرب من تساوي أهل الملتين من حيث سرعة التعرب ، ضربت مثلا لذلك تحويل عيد الأضحى إلى عيد الفصح ، وصوم رمضان إلى صوم الأربعين ، والسهو عن ذكر سورة يس إلخ ، ذلك إلى جانب تحريفات أخرى تقحم في تلك الخرجات الأعجمية بعض أساليب الشعر الأوربي كأغاني الصبح والأزواج الغيارى ومفهوم الحب الصالح ، وكل ذلك معدوم فيها ، وإنما خيل إلى محققي هذه النصوص أنه موجود لما ارتأوه من أنها منتمية إلى نموذج ثقافي أوربي ، ولا أقول إن هذا السلوك صادر عن المغالطة وسوء النية في جميع الأحوال ، بل أرى أكثر ذلك راجعا إلى الاغترار الناتج عن الحماس الفكري وعدم التضلع في اللغة العربية والحضارة الإسلامية.

على أنني كنت وعدتكم في عنوان هذه المحاضرة بإطلاعكم على أدلة جديدة

على الأصول العربية لبنية التوشيح والزجل الدورية ، وهذا هو الهدف الرئيسي من حديثي إليكم اليوم ، ولم يكن ما سبقه غير تهيئة له وتذكار بسوابقه، وقد حان وقت التصدي لقلب المسألة . وذلك أن موالي نظرية الأصل الرومانسي لهذين الفنين ما انفكوا متشبثين بإنكار تولدهما من التسميط ، مع كونه تعليلا معقولا جدا ، بحجة أن صيغة هذا أ أ أ هـ ، في حين أن صيغة الموشح الأصلية هـ هـ أ أ أ هـ هـ ، وصيغة الزجل الأصلية هـ هـ أ أ أ هـ ، ومن الجلي أن الفرق بينها جميعا يسير منحصر في مضاعفة القفل وإسباق البيت اختياريا بمطلع مشاكل في حالة الموشح خاصة ، وهذا ضروري في الزجل الذي لا يكاد يكون أقرع إلا في حالات نادرة جدا أو متأخرة ، مع عدم مضاعفة قفله على عكس الموشح . ولكنهم بالغوا في أهمية هذه الفروق ، فجعلوها مانعا حتميا دون إمكان تولد بعض هذه الصيغ عن بعض ، علما منهم بأن الاعتراف بذلك مزيل لأهم أسس النظرية الرومانسية، وأصروا على المطالبة بشرح كاف شاف لأسباب وقوع ذلك التطور وكيفيته ، وهذا ما لم يكن حتى الآن في متناول اليد .

ولكن الحق يتجلى ، ولو بعد حين ، ومن غريب الصدف ، أو بالأحرى من نتائج الاجتهاد والمثابرة اللذين يجب الاقرار بهما لمعظم المعتنين بهذه القضية ، أن الأستاذ مونرو الموالي للنظرية الرومانسية ، أثبت أخيرا أن خرجات كثيرة لموشحات مشهورة مقتبسة من أزجال شهيرة هي الأخرى ، فاستنتج من ذلك ، وهو برهان قاطع لا ينكر ، أن الزجل أقدم حتما من التوشيح ، على عكس الرأي السائد سابقا لدى العلماء من أنه مجرد تقليد عامي له . ولكن الأستاذ مونرو لم يهتد ولم يهتد غيره حتى الآن إلى أن أقدم الأزجال التي اقتبسها الجيل الأول من الوشاحين خرجات لموشحاتهم عند اختراعها ، أي عند تطويرها من المسمط ، لم تكن دورية البنية بعد كالأزجال المعهودة ، بل كانت أبسط من ذلك عبارة عن بيتين مقفيين فقط كالدوبيت المشرقي ، والغريب في

القصة أن الشواهد بذلك كانت أمام عيوننا منذ زمن طويل في مقدمة ابن قزمان لديوانه التي تحتوي ما لا يقل عن ستة أزجال من هذا الطراز البدائي ، كنا نخالها ، لاقتناعنا بأن الزجل لا يكون إلا دوريا دائما ، قطع أزجال عادية ذكرها ابن قزمان مختصرة ، وليس الأمر كذلك ، أولا لأنه يذكر زجلا آخر دوريا في نفس الموطن يثبت أنه لم يقصد الاختصار هنا ، وثانيا لأن لدينا زجلا آخر من نفس هذا الطراز البدائي راجعا إلى سنة ٣٠٠ ، وقد عثرت عليه أثناء تحقيقي للمجلد الخامس من المقتبس لابن حيان .

فيتبين من ذلك كله :

١) أن الزجل القديم كان عبارة عن دوبيت يقوله الشعب بالعامية أو بالأعجمية ببنية عروضية خليلية محورة من القرن الثالث فصاعدًا على الأقل ، كما يثبته تقطيع ذلك الزجل الراجع إلى سنة ٣٠٠ .

٢) أن ابن بسام قال الحق ، وأفادنا خبرا كان يكفينا لمعرفة حقيقة هذا الأمر لو لم تتسلط على عقولنا الهواجس ، عندما قال عن مخترع التوشيح محمد ابن محمود القبري الضرير إنه " كان يصنعها على أشطار الأشعار غير أن أكثرها على الأعاريض المهملة غير المستعملة ، يأخذ اللفظ العامي والعجمي ويسميه المركز ويضع عليه الموشحة " ، وفي كلامه هذا تلخيص عجيب قد أسيء فهمه مع إفادة كاملة للعناصر المميزة للتوشيح ، أي أن عروضه خليلي ، فإن الأعاريض المهملة جزء من العروض العربي ، وإن قل استعمالها ، كما بينه المرحوم الأستاذ سيد غازي في كتابه " في أصول التوشيح" (ص٦٥) ، وأن المركز أو الخرجة كلام عامي أو أعجمي موزون بالعروض الخليلي ، وإلا فكيف أمكن بناء الموشح عليه ، إلا أنه لم يسمه زجلا لأن هذا المصطلح كان قد أصبح مخصصا في أيامه للزجل الدوري المعهود الذي نشأ بعد التوشيح مقلدا لمبادئ بنيته الدورية ، عندما أراد بعض الأدباء المولعين بفنون الشعب من أمثال ابن

قـــزمان أن يُحَلُّوهُ بِحِليَ التوشيح مع الحفـــاظ عـــلى ملاحة لغته العامية ، فجعلوه مسمطا واتخذوا له مطلعا في مرحلة أولى ، ثم ضاعفوا أقفاله على غـــرار أقفـــال الموشح ، وهو الزجل الموشح المحدث بعد الزجل الأصلي ، وربمـــا أدخلـــوا فيه التضمين ، أي القـــوافي الباطنة في الأقفال ، فأخيرًا التضـــفير ، أي أمثالها في الأغصان ، وســـائر ما نجده من المحليات الشكلية في التوشيح من ترئيس وتذييل ، إلخ .

والآن فقد اتضح لنا ما كنا نجهله من قـــبل وهـــو سبب الاختلاف في صيغتي الموشـــح والـــزجل مع تولدهما معا من المســـمط ، فمـــن الـــبديهي أن مخترعي التوشـــيح، وهم شعراء مثقفون مولعون بـــالأدب الشعبي ، إنما قصدوا أن يزيدوا على ظرافة المسمط المتنوع القوافي بعض مـــلح كـــلام العوام ، فاستبدلوا بسمط الـــدور الأخـــير زجلا من الطراز القديم البدائي المتكون من بيتين مقفيين فقط على سبيل التصريع ، فاضطروا لأجل التناسب إلى مضـــاعفة الأسمـــاط الباقية كذلك ، وربما أسبقوها بمطلع مشاكل ، فتولد من ذلـــك الموشح الأصلي بمطلعه الاختياري وأدواره المتكونة من ثلاثة أغصان وسمطين أي قفلين ، وبخرجته العامية أو الأعجمية بـــدلا مـــنهما في الدور الأخير ، ثم إن بعضـــهم قطعـــوا شـــوطا جديدا وهموا باستنباط شعر موشح عامي كله ، فعادوا يلتفـــتون إلى التسميط بالطبع لكونه مثال الدوريـــة الأصلي في الشعر العربي ، غير أنهم في هذه المرة لم يحتاجوا إلى استبدال شـــيء مليح من أقوال العوام بسمط من أسماطهم ، إذ كانوا قد جعلوا الكلام كله عامـــيا عـــلى غرار الزجل القديم الشعبي الأصل ، وإنما صدروه بمطلع ذي سمطين شأن الموشح ، الذي كان قد أصبح أسوة مقـــتفاة ومـــثالا مرموقا ذا تأثير في جميع أصـــناف الشـــعر الدوري . ومن الجدير بالملاحظـــة أنهـــم ما كادوا يستغنون عن المطلع في الزجل ، على خلاف الحال في الموشح الأقرع ، وقد بان سبب ذلك الآن أيضـــا ، فإن الزجل الأقرع لا فرق بينه وبـــين المســـمط مـــا عدا اللغة ، ومن خصائص هذه الطائفة من الشعراء المحدثين

المغـــرمين بالفنون الشعبية الولوع بجميع أصـــناف الـــتجديد والإبـــداع شكلا ومضمونا بمقدار كرههم للتقليد والاتباع في هذيـــن البابين ، وهذا بعينه ما حملهم أيضًـــا عـــلى التكثير من التعديلات في الأعـــاريض الخليلـــية وعلى تعقيد البنية الدورية إلى درجة بعيدة، كما هو مشهور وجاء ذكره في جميع المؤلفين من أمثال ابن سيناء الملك والحلي ، وكما ينعكس فيما بلغنا من آثار الفنين .

والآن نفهـــم أيضًـــا لماذا يسمى ابن قـــزمان الزجل موشحا في بعض مواطن ديوانـــه ، مع أنه إمام الزجالين في أيامه وواضع الكثير من قوانين الزجل المحدثة ، وإن لم يكـــن مخترعه فقد كفاه ذلك أن ينسب إليه ، ولا شك في أنه كان أحرى من يعلم الفرق بينه وبين الموشح ، وبيان ذلـــك أن العوام المتعودين على الأزجال القديمـــة البدائية غير الدورية عندما وقفوا على أول الأزجال الدورية المحدثة أطلقوا عليها اسم الموشحات لتقارب نمطيهما ، فجرى هذا الاستعمال على ألسنتهم فمنها أخذه ابن قزمان المحاكي لكلام العوام في أزجاله ، ولو عرف الخطأ فيه ، ولا يمت هذا بصلة إلى ما اتفق في أيامه وبعده من أن بعـــض الـــزجالين لم يستطيعوا أو لم يريدوا أن يتبعوا قاعدة ابن قزمان في عدم جـــواز اخـــتلاط العامـــية بالفصحى في الزجل، فوضعوا أشعارا شأنها هذا تَسَمَّتْ بالمـــزنم ، وأشـــهرهم الششتري الذي لا يكاد يسلم شعره من هذه الصفة .

ويظهـــر عـــلى أساس ما تقدم أن تاريخ العـــروض العربي في الأندلس منقسم إلى فترات متتالية كما يلي :

١) في الفترة من الفتح إلى أيام الأمير عبد الرحمن الأوسط ، أي ، النصف الأول من القرن الثالث بالتقريب ، قد سقط العروض عن الاستعمال وضاع علمه لدى الأندلسيين ، اللهم إلا من رحل مـــنهم إلى المشرق وتعلمه فيه ، لتغير مقايـــيس لغـــتهم وفقدانها للإيقاع الكمـــي المميز للعربية المشرقية الذي يعتمد عليه العروض الخليلي ، وترتب عـــلى ذلـــك زوال قول الشعر عن ديـــارهم ، إلا مـــا قل وندر منه ، واشتهارهم بذلك العجز والجهل عند

المشارقة معروف، فلذلك ما نسب عباس بن فرناس إلى الجنون عندما حاول أن يشرح العروض لأهل بلده إثر رجوعه من العراق .

٢) عادت المياه إلى مجاريها بُعَيْد ذلك لعناية بني أمية القرطبيين بالثقافة العربية ورعايتهم للغة والأدب ، فبدأ الشعر يروج ويزدهر ثانية ، ومعنى هذا الواقع التاريخي والمثبت من وجهة تحليله اللغوي الفونولوجي أن العروضيين والشعراء كانوا قد اكتشفوا طريقة تسمح لآذان الناس بسماع إيقاع الأعاريض الخليلية ، ونظريتي في ذلك أن الوسيلة المتخذة لتمكين ذلك إنما كانت إقامة النبرة مقام كمية المقاطع ، كما أشرت إليه أعلاه ، وقد برهنت على ذلك في مؤلفاتي حول اللهجة لأندلسية وعروض الفنين .

٣) عمت البلوى بعد ذلك بالشعر الموزون جميع طبقات المجتمع الأندلسي، من الخواص -المجيدين للفصحى الذين وضعوا دواوين قصائد مأثورة ، إلى العوام الذين لم يعرفوا غير العامية أو الأعجمية ، فوضعوا بهما تلك الأزجال البدائية المذكورة آنفا المنعكسة في الخرجات واستودعوها رصيدهم من العواطف والعبر ، ومنها ولا شك ما رجع إلى أسلافهم الجاهليين من العجم والعرب والبربر والقوط واليهود إلخ، إلا أنها قاطبة قد صارت موزونة ومقفاة طبقا لقوانين الشعر العربي المجلوب من الشرق ، مع تحوير العروض على الطريقة المحلية الموصوفة فيما سبق .

٤) اهتم بعض الأدباء الأندلسيين خلال ذلك بكل ما أحدثه الشعراء المشرقيون الذين كان لهم نفوذ عظيم في أدب المغرب ، من عناية بتجديد الشعر شكلا ومضمونا ، وبفنون الشعب الشعرية ، فمن المفروض أن إحدى نتائج هذا النشاط ، وهو التسميط الذي راج رواجا لا باس به في المشرق ، استعمل في الأندلس أيضًا، كما يثبته إكثار الأدباء اليهود الأندلسيين من استعماله في القرن

الـــرابع عـــند أول إحيائهم للأدب العبري ، وهم يقلدون نماذج حضارة العرب في أدنى تفاصيلها عندئذ، وإن لم تـــرو لنا مسمطات عربية أندلسية لهذا العصر ، فلعل ذلك راجع إلى أن جامعي المنتخبات الأدبية أحجموا عن إدراجهـــا فـــيها لـــتطرف أذواقهم واعتـــبارها " خارجـــة عن أغراض الأدب العـــربي " ، على حدٍّ قول ابن بســـام في الموشحات ، أو أن اختراع التوشـــيح المبكر ربما أدى إلى إهمال ســـريع وتام للتسميط ومحا أثره قبل اكتماله وازدهاره ، مع أنه كان بكل تأكـــيد الحجـــر الأساسي الذي بنى أصـــحاب التوشـــيح اختراعهم عليه عندما ركبوا عليه الزجل القديم ، كما سبق شرحه .

٥) أقـــبل بعض أولئك الشعراء المحدثين المولعـــين بأدب العوام في مرحلة ثانية عـــلى التســـميط والزجل القديم من جديد، إلا أنهم لم يدعوا في أولهما في هذه المرة أي لفظ فصيح ، بل جعلوه فـــنا كل كلامه عامي ، مع مراعاته الدائمة للعروض المحور وللبنية الدورية المميـــزة للتسميط فبالتالي للموشح ، فنشـــأ من ذلك الزجل المعهود ، ثم الـــزجل الموشح المقلد لصيغة التوشيح تقليدا تاما ، فنجح كلاهما مثل نجاح التوشـــيح والشـــعر المقصد سابقا ، وراجت وازدهرت جميعا في الأندلس مكـــرمة معززة مطلوبة لدى الخاصة والعامـــة إلى نهاية أيامه ، وأما انتشار الفنين إلى سائر العالم العربي أيضًا فهي قصة مشهورة .

زملائي الأعزاء ، أقول لكم ، وهذا ختام حديثي إليكم اليوم ، إنني لست من الســـذاجة بحيـــث أظن أن الجدال حول أصول الشعر الدوري الأندلسي قد انتهي، إذ أعلم أن العناصر الفكرية المتصلة به لا تزال عاملة ، ولست أيضا من الإعجاب بحيث أتمنى أن ينقطع نقاش هذا الموضوع، لإنـــني أومـــن بأن في النقاش منافع شتى وأضواء كثيرة ، ولكنني ما كنت صريحا لـــو أخفيت تأكدي الآن ولأول مرة بعد زمـــن طويل من أن هذا التفسير لمراحل نشـــوء الشعر الدوري الأندلسي وعناصر

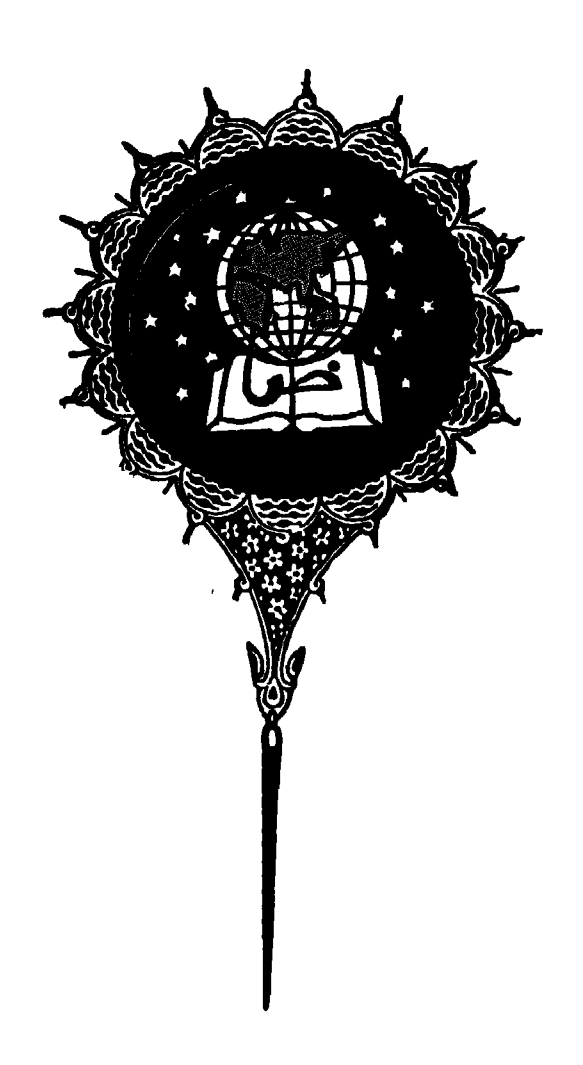
تكوينه والعوامل الفعالة في تطويره أقرب إلى الفهـم ، فبالـتالي في ظني أقرب من الصـحة ، من أية نظرية أخرى سابقة له بـنفس الصـدد . وإن كنت قد أصبت الحـق، فإن الفضل أو جزءا كبيرا منه لمن سـبقني وأرشـدني برشـاده أو وعظني بضلاله، وجزءا آخر كبيرا جدا لأساتذتي المصـريين، عبد العزيز الأهواني وحسين مؤنـس ومحمـود مكي وغيرهم ، الذين ألفيـتهم في إسـبانيا عند نعومة أظفاري محبين ومحترمين للثقافتين العربية والإسبانية معا مقسطين بينهما ، بينما كان آخرون يتعصبون ويظلمون خصماءهم وأنفسهم، فحظيـت أنا هكذا بمن علمني الإنصاف والحياد في القضايا العلمية ، وأن لا ولاء فيها إلا للحق . وإنني اليوم لمعتز بالتتلمذ عليهم ، شاكر لهم على تلقينهم لي بعض عـلمهم وخلقهم ، وخصوصا على هبة اللغـة العربـية الثمينة التي أسدوها إليّ وأثروني بها، والحمد لله الذي جمعني بهم ، ولا توفيق بدونه .

فيديريكو كورينتي
عضو المجمع المراسل من إسبانيا

مطابع الأهرام بكورنيش النيل







مجمع اللغة العربية بالقاهرة
١٥ شارع عزيز أباظة
(المعهد السويسرى سابقا) بالزمالك